****

**محمد صلى الله عليه وسلم**

**الرسول والرسالة**



جمع وإعداد/

ياسر تاج الدين

# دعـوة عامـة

أيها السيدات والسادة.... أعزائى:

حديثى إلى كل من له قلب ينبض وعقل سليم يفكر.

فكلنا يعرف أن له ربًّا خلقه، ودينًا اختاره الله له، ليكون منهج حياة نتعرف على الله من خلاله ونطبق ما فيه من أوامر ونصائح وشرائع، ونترك كل ما نهى الله عنه، لنُرضى خالقنا، وننال بذلك وعد الله لنا بالنعيم المقيم فى الدنيا والآخرة... ولأنه يخص حياتنا التى نعيشها ومستقبلنا بعد الموت والدفن، والبعث والحساب... فالأمر جَدُّ خطير.

فقد أردت أن أحدثكم عن السلامة فى الدنيا والآخرة والتى لن تكون إلا بمرضاة رب الكون وخالقه، ولن يرضى الله الخالق إلا بإتباع دينه الذى اختاره لنا، والإيمان برسله الذين أرسلهم إلينا ليبينوا لنا الحق من الباطل.

ولكن يبقى لنا سؤال: أى الأديان نتّبع.. هل دين موسى وكتابه التوراة.. أم دين المسيح وكتابه الإنجيل.. أم دين محمد (الإسلام) وكتابه القرآن؟

فلابد أن نعرف أيهم أحق أن يُتّبع، وأن نعرف أيضاً هل كلهم من كلام الله أم منهم من كلام البشر وهو افتراء وكذب على الله؟

ولكن كيف نعرف هذا وكلٌ منا يتَّبع دينا، يرى أنه على الحق، ويأبى أن يتعرف على ما جاء فى الأديان الأخرى.. ولقد أهلك الله أقواماً قَبلَنا كانوا يعبدون أشياء من دون الله، وعندما سُئلوا لِما تعبدون من دون الله ما لم ينزّل به سلطانا؟ قالوا: وجدنا عليها أباءنا وأجدادنا... فهل نكون مثلهم دون إعمال العقل؟...... أم نتمسك بكتاب دون غيره؟

لقد جاء فى التوراة \_: }أنا الرب... لا يكن لك آلهة أخرى أمامى{.

وجاء \_:} أنا الرب وليس آخر لا إله سواى{.

وجاء فى الإنجيل \_: } لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد}.

وجاء \_: } نعلم أنه ليس وثن فى العالم وأن ليس إله آخر إلا واحد{.

وجاء فى القرآن \_: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}.

وجاء \_: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آَمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}.

فكل تلك الكتب تقول أن الله واحد ولكن: أى إله نعبد وأى الطريق يؤدى إليه..؟

قالت اليهود: إن التوراة أُنزلت على موسى. ولديهم تعاليم التوراة ولم يشهدوا بما جاء فى المسيحية من إلوهية المسيح أو بنوته.

وقالت النصارى: أنهم على حق وأن اليهود قتلوا المسيح، وقالت أيضاً: أن المسيح هو الله وابن الله، برغم ما جاء على لسان المسيح ذاته فى كتاب الإنجيل عندما قال \_:} إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم }. فإن قال: أبى. فقد قال أيضا: أبيكم. وإن قال: إلهكم. فقد قال أيضا: إلهى..!!

وقد جاء على لسان بولس الرسول أنه قال: }لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح{.

ولأن التوراة كانت قبل الإنجيل فجاء فيها أنه هناك نبى يأتى إلى العالم. ولم يأت بها: أنه إله ولا ابن إله..!! فِلمَ لم يتّبع اليهود دين النصارى؟ ولِمَ لم يتبع النصارى دين اليهود؟.. أمر عجيب!

ثم يأتى بنا المقام لنذكر دينا آخر وهو الإسلام.. والذى جاء بلهجة تحٍد شديدة لِمن يُثبت أن القرآن ليس من عند الله، ومع ذلك فقد أقر الإسلام بنبوة موسى وعيسى، وأن كتبهم من كلام الله، ولكن تطاولت أيدى البشر على تلك الكتب فحرفتها.. والعجيب أن الإسلام جاء بأدلة على التغيير والتحريف.

ولكن، أين الحق؟

فإن كانت التوراة بها تعاليم وإخبار بالمستقبل، فالإنجيل به تعاليم وإخبار بالمستقبل، وجاء القرآن أيضاً بتعاليم أخرى، وإخبارات أيضا لما قد يحدث فى المستقبل من أحداث وحقائق علمية، ولعل فيها أيضاً من النفع والفائدة والصدق ما جعل علماء الغرب قبل الشرق من اليهود والنصارى يعلنون أن: ما توصلوا إليه فى بعض اكتشافاتهم العلمية قد سبقهم إليه دين محمد. وذلك ثابت بالأدلة والتاريخ... والأعجب أن كثيراً منهم آمن بدين محمد وشهد أنه ليس كلام بشر ودخل الإسلام، ومنهم من شهد لمحمد بالصدق ولكن ظل على ما هو عليه من دين.

فهيا بنا نبحث عن طريق الحق دون اتباع للهوى، ولا نكف عن البحث حتى نتيقن أننا على الطريق الصحيح الذى اختاره لنا الله. حتى نفوز برضاه ونعيمه وننجو من عقابه وعذابه... هيا بنا نبدأ من حيث انتهى الآخرون.

أما عن نفسى فقد بدأت من حيث انتهى الآخرون، وكيف ذلك؟

لقد قرأت عن الشبهات التى اتهم بها أهل كل كتاب أهل الكتاب الآخر وقرأت الرد عليها، واطلعت أيضاً على إشارات تلك الكتب للأحداث المستقبلية، حتى تسنى لى الوقوف على أرض ثابتة وتوثقت مما قاله هؤلاء وأولئك، ومن هنا اتضح لى بعض النتائج:

1- أن على وجه الأرض ثلاث كتب أصلية منزلة من عند الله وهى (التوراة– الإنجيل– القرآن).

2- أن كل تلك الكتب تدعو لعبادة إله واحد لا شريك له ولا منازع له فى ملكه.

3- أن تلك الكتب جاءت لتكمل بعضها وربما تنسخه، ولم تكن لتنقض سابقها.

4- أن الله اختص لتبليغ ما فى الكتب للبشر أُناسًا هم من أفضل الخلق على الإطلاق وهم الأنبياء.

5- أن الله أيد أولئك الأنبياء بالمعجزات وخوارق العادات ليبرهن على صدق نبوتهم.

6- أنه لابد من الإيمان بالكتب الثلاثة سوياً حتى يتحقق الإيمان.

7- أنه لابد من الإيمان بالأنبياء والرسل مع عدم التفريق بينهم.

ونظراً لما يلقاه الإسلام ورسوله محمد  من حملات تشويهية وعدائية من هنا وهناك، ومن آخرها الرسوم الدنماركية لنبى الإسلام محمد  مرة تلو الأخرى، والفيلم الهولندي (فتنة) للنائب والسياسى الهولندي (جيرت فيلدرز) والذى ذاع صيته ورفضت هولندا عرضه، فلجأ صاحبه إلى مواقع الإنترنت، ونظراً للهجمة الشرسة التى زادت حدتها بعد الحادى عشر من سبتمبر، وادعاءات بابا الفاتيكان (بندكت) على الإسلام ورسوله والمسلمين.. نظراً لهذا كله وأملاً فى تصحيح تلك الصورة السيئة التى رسمها الكثير من غير المسلمين للإسلام ورسوله والمسلمين، قد أعلن المركز الإسلامى (العزيز بالله) فى مصر، عن مسابقة عالمية لبحث يخاطب الغرب فى هذا الصدد...

ولأننى اتبعت هذا الدين وهو الإسلام وآمنت بالقرآن شريعةً لله فى أرضه بعد التوراة والإنجيل، وآمنت بالنبى المبلِّغ به وهو محمد ، وبعد أن قرأت الكتب الأخرى المنزلة من قبل الله وهى التوراة والإنجيل، وددت أن أعرض لكم بعض الدلائل والبراهين على أن:

- القرآن كلام الله.

- الإسلام دين الله.

- محمد رسول الله .

ورغم أن المسابقة كان يعنيها فى المقام الأول تصحيح صورة النبى محمد  أمام العالم، إلا أننى آثرت الحديث عن الرسالة التى أتى بها محمد، ثم الحديث عنه ، وذلك لأن الرسول ماكان برسول إلا بالرسالة التى أُعد من أجلها وأُرسل بها، ومن باب ما جاء فى الإنجيل -على لسان المسيح عليه السلام- فى وصف النبى الصادق: }من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنبا، أو من الحسك تينا؟{..

فلعلى أُوفّق فى عرضى لتلك المسائل الهامة، ولعلكم تُمعنوا التفكير فى كل مسألة على حدى، دون إتباع للأهواء، أو المُضى على نهج الآخرين دون إعمال العقل الذى مُيّزنا به عن سائر المخلوقات.

والله أسأل أن يشرح صدورنا ويهدينا إلى صراطه المستقيم.

ياسر تاج الدين

# الباب الأول: القرآن والإسلام

* **الفصل الأول: القرآن كلام الله**
* **الفصل الثانى: الإسلام**
* **الفصل الثالث: عالمية الإسلام**
* **الفصل الرابع: أركان الإسلام**
* **الفصل الخامس: الأخلاق فى الإسلام**

# الفصل الأول: القرآن كلام الله

القرآن هو كتاب الله الذى أنزله على رسوله محمد  ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن الشتات إلى الاستقرار، ولقد ثبت بالأدلة القاطعة بما لا يدعو مجالاً للشك أن القرآن ليس من كلام بشر، ومن ثَم فهو من كلام الله الخالق... لقد جاء القرآن مخاطباً العقول متحدياً الصعاب رادًّا على المتشككين بما يدحض شُبُهَاتهم، ومتحديًّا لمنكريه بأشد أنواع التحدى، ومُبرهن على صحته وصحة ما ورد فيه لأهل كل زمان ومكان، وقد تعددت صور التحدى فى القرآن، فمنها ما كان فى حدود القول، ومنها ما تعدى للفعل، وحتى يكون الكلام فى محله فها نحن نعرض بعض ما جاء به من براهين وما يحمله من صور التحدى، ثم نقف على مفهومها ودلائل صحتها.

**صور التحدى القولية:**

لقد جاء فى القرآن العديد من الآيات الدالة على إثبات صحته، ونفى الشك عنه... ومنها ما يلى:

**-** قوله : {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآَنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.(1)

وفى تلك الآية يخاطب الله من ادَّعى أن القرآن من لدُن بشر، فيبدؤها بصيغة النفى مع استخدام الفعل فى الزمن الماضى والفعل فى زمن المستقبل ليثبت استحالة افتراء محمد للقرآن، ثم يستدرك بتصديق القرآن لما قبله من الكتب (التوراة والإنجيل) حين قال: {وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ}.، ويؤكد تارة أخرى على أنه لا شك ولا ريب فى نزوله من رب العالمين.. ونلاحظ هنا أن النفى جاء أولاً: لدفع شبهة افتراء محمد  للقرآن، ثم جاء ثانياً: لدفع شبهة أنه ليس من رب العالمين مستخدماً صيغة التوكيد المحذوفة.

**-** وقوله : {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.(2)

وهنا يبين الله إعجاز القرآن.. بالتحدى الصريح لمكذبى الرسول محمد ، والمدَّعين عليه بأنه أتى به من قِبل نفسه ونسبهُ لله، قائلاً جل وعلا ما معناه: إن كان محمد افتراه من عنده وهو 114 سورة، فأتوا أنتم بعشر سور فقط، ومن العجيب أن يطلب منهم أن يفتروا تلك العشر ولم يُعَجِّزهم بأن يأتوا بها من قبل خالقهم أو من يتعبدون له، بل ويترك لهم الحرية فى دعوة من استطاعوا ليتحالف معهم على الإتيان بتلك العشر من السور.



1- ]يونس: 37[. 2- ]هود: 13[.



**-** وقوله تعالى: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.(1) ،الريب: يعنى قلق النفس واضطرابها= الشك.

فبعد أن نفى الله فى الآيتين السابقتين افتراء محمد  للقرآن وتحدى العرب بأن يأتوا بعشر سور من مثل القرآن، جاء هنا ليتحول من صيغة النفى إلى صيغة الإثبات، فيثبت أن هذا القرآن منزل من الله يقينا ولا شك فى ذلك.

**-** وقوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}.(2)

وتأتى الآية لتؤكد ما جاء فى سابقتها، فقرّر بذلك كون أن القرآن كلام الله يقيناً لا يحوم الشك حوله،

ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم زاد الله قوله: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} ليبين سبب نزول القرآن وهو الهداية لمن أرادها من البشر وهم الذين يحذرون غضب الله عليهم فيأتمرون بأمره وينتهون بنهيه.

**-** وقوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.(3)

ولما عجز المكذبون والمتشككون عن الإتيان بعشر من السور، جاء التحدى الأشد والإعجاز الأعظم وهو دعوتهم إلى أن يأتوا بسورة واحدة فقط من مثل ما جاء به محمد  من عند ربه، والأهم هنا أن القرآن نزل باللغة العربية وهى لغة القوم الذين نزل فيهم، وهم أعرف الناس باللغة من حيث النظم والبلاغة والشعر والنثر وعدم اللحن، وهذا مما يرفع من شأن التحدى ذاته ومن قوته.

**-** وقول الله: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}.(4)

وهذه الآية تلحق سابقتها من نفس السورة ليزداد الإعجاز إعجازا حيث أن الله أغلق أمام المشككين كل محاولات الإتيان بمثل القرآن، أو بعشر سور من مثله، أو حتى بسورة واحدة فقط، وذلك بقوله:{ولن تفعلوا}.، ثم حذرهم مما ينتظر الكافرين من عذاب النار.

فهكذا جاءت آيات القرآن تنفى أنه من عند غير الله، فرأينا كيف بدأ الله الخطاب فى الآية **الأولى**: بنفى افتراء محمد  للقرآن، ثم فى **الثانية**: بالتحدى لمن يأتى بعشر سور من مثله، ثم فى **الثالثة والرابعة**: بإثبات نزوله من قِبَل الله، ثم فى **الخامسة**: بتأكيد التحدى لمن يستطيع أن يأتى ولو بسورة واحدة من مثل ما جاء فى القرآن، وجاء فى **السادسة**: ليُنْهِي التحدى ، بالتأكيد على عدم استطاعة المكذبين ولو كانوا من أهل اللغة والبلاغة بأن يأتوا بتلك السورة..



1- ]السجدة: 2[ 2- ]البقرة: 2[. 3- ] البقرة: 22[. 4- ]البقرة: 24[.

**صور التحدى الفعلية:**

تتمثل تلك الصور من التحدى فى إخبار القرآن بالكثير من العلم الغيبى الذى لم يكن يعلمه أحد، مثبتاً بذلك؛ التحدى القولى الذى سقناه أعلاه، وتكمن تلك الصور فى مفهوم هذه الآية. حيث قال الله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}.(1)

فتأتى الآية بوعد الله سبحانه أن يكشف للناس باستمرار عن آياته(2) في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، ويُذهب ما في قلوبهم من ريب وشك.. ولقد أنزل الله سبحانه هذا الوعد المجيد، قبل أن يُفِكر الإنسان فى غزو الآفاق أو التعرف على أسرار نفسه، حتى إذا رأى الإنسان آيات الله فى الكون، ثم عرفها فى كتاب الله؛ يعلم أن الذى أنزل القرآن المجيد هو الله الخالق لهذا الوجود.

ومن هنا يتبين لنا أن صور التحدي في القرآن ليست للعرب وحدهم، وليست فى اللغة وحدها... بل هي للعالم أجمع.. وفى شتى العلوم.. وفى وجوه متعددة.

فقد كانت هناك معجزات للقرآن.. وقت نزوله.. وبعد نزوله.. وهي مستمرة حتى يومنا هذا.. ولعلها تظهر واحدة تلو الأخرى مع التقدم العلمى فى شتى المجالات، لأننا لم نستطع فَهم بعض آيات القرآن فى الزمن الماضى إلا من خلال الاكتشافات العلمية الحديثة.

ومن منطلق الآية السابقة يقول الدكتور (لخضر شايب) (3): "إن أيسر وجوه إعجاز القرآن الكريم تكمن فى بشاراته وإخباره بالحوادث المستقبلية، إضافة إلى دلالة هذا الوجه على قناعة النبى  التامة بربانية الوحى".، ويضيف: "وتعود السهولة إلى قدرة كل أحد على معرفة ذلك، إذ كان يكفى كل كافر أن ينتظر حدوث الأمر الذى أخبر عنه القرآن ليعرف مدى صدقه أو كذبه. أما دلالة هذا الوجه على إيمان النبى  بالمصدر الإلهى للوحى، فلأنه ما كان ليُجازف بالنص على هذه التحديات الحدثية والزمانية التى وردت فى القرآن لو لم يكن على يقين من صدقه، إذ إن بإمكانها تبيين كذبه ببساطة تامة فى حالة عدم وقوعها"(4).، وقد أشار (د.شايب). فى قوله؛ إلى أيسر وجوه الإعجاز. وهو: الإخبار بالحوادث المستقبلية، ومن هذا الكلام يتضح لنا أن الإعجاز القرآنى لم يقف عند الإخبار بالمستقبل بل تعدى إلى وجوه أخرى ومنها تحدثه عن حقائق علمية لم تظهر إلا فى القرن العشرين.



1- ] فصلت: 53[ 2- معجزاته 3-...جزائرى، أستاذ التعليم العالى بجامعة باتنة بالجزائر.

4- نبوة محمد فى الفكر الإستشراقى المعاصر/د.لخضر شايب.

ولأن التحدى للقرآن جاء بصيغة سوف {سَنُرِيهِمْ} أى أن التحدى ليس لفترة نزوله فقط بل حتى نهاية العالم، فما انطبق على العرب المعاصرين لزمن النبوة ينطبق على البشر الذين يعيشون بيننا اليوم، إذ بإمكان كل أحد أن يستوثق من هذه المعجزة بمجرد النظر فى أسلوب القرآن الكريم، وتوالى الحوادث التاريخية التى تحدث عنها، واكتشاف الحقائق العلمية التى أخبر بها.

**ومن أوجه الإعجاز فى القرآن:**

**-** قول الله : {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}.(1)

وجه الإعجاز فى الآية هو: لماذا {ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}؟.. فما الذى يجعل الصدر ضيقاً حرجاً عند تصعُّده فى السماء؟ **والجواب**:

هو ما اكتشفه العلم الحديث؛ من انخفاض ضغط الهواء ونسبته كلما ارتفعنا عن سطح الأرض، وأن من يَصَّعَّدْ فى السماء يضيق تنفسه، وتضغط عضلة الحجاب الحاجز -الموجودة بين البطن والصدر- على الرئتين فتنقبضان بشدة، وهنا يضيق صدر الإنسان، من أجل ذلك كان من الضرورى عمل ملابس خاصة بالفضاء.!!(2)

وقد تقدم الدكتور (صلاح الدين المغربى)(3) ببحث عن حالة الصدر فى طبقات الجو العليا، فقال: "لنا حويصلات هوائية، والأوكسجين إذا دخل الرئتين ينفخ هذه الحويصلات الهوائية فتراها منتفخة، لكن إذا صعدنا إلى طبقات الجو العليا ينقص الهواء، وينقص الأوكسجين فيقل ضغطه، فتنكمش هذه الحويصلات، فإذا انكمشت ضاق الصدر، ويتحرج النَفَسْ ويَصعُب".(4)

وفى تفسير الآية يقول الإمام (ابن جرير الطبرى): "وهذا مَثلٌ من الله تعالى ذكره وضَرَبَهُ لقلب هذا الكافر في شدة تضييق الله له عن وصول الإيمان إليه، مثل امتناعه من الصُّعود إلى السماء وعجزه عنه، لأن ذلك ليس في وسعه".(5)

**-** وقول الله : {غُلِبَتِ الرُّومُ.. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ.. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ.. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ.. وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ..}.(6)



1- ]الأنعام: 125[ 2- الأدلة القاطعة 3-...عضو فى الجمعية الأمريكية لطب الفضاء، وأستاذ لطب الفضاء بمعهد طب الفضاء بلندن.

4- الموسوعة الذهبية فى إعجاز القرآن الكريم والسنة البوية/د.أحمد مصطفى متولى.ص.44،43 5- تفسير الطبرى 6-]الروم: 2-6[.

**فى الآيات السابقة وجهين من وجوه الإعجاز:**

**الأول: إعجاز فى المكان**... حين قال الله: {فِي أَدْنَى الْأَرْضِ..}.

فيقول الدكتور (زغلول النجار) (1): "إن أخفض اليابسة على الإطلاق هى منطقة أغوار وادى عربة –البحر الميت– فى الأردن، وهذه المنطقة كانت مُحتلة من قبل الروم البيزنطيين فى عصر بعثة رسول الإسلام محمد ، وكانت هذه الإمبراطورية الرومانية يقابلها ويَحُدها من الشرق الإمبراطورية الفارسية الساسانية، وكان الصراع بين هاتين الإمبراطوريتين الكبيرتين فى هذا الزمن على أشُدِّه، ولابد أن كثيراً من معاركهما الحاسمة قد وقعت فى أرض الأغوار، وهى أخفض أجزاء اليابسة على الإطلاق كما ذكرنا سابقاً، ووصْف القرآن لأرض تلك المعركة الفاصلة التى َتغَلَّب فيها الفُرس على الروم –فى أول الأمر بأدنى الأرض– وصْفٌ معجز للغاية، فهذه الإشارة القرآنية العابرة؛ من السبق العلمى فى كتاب الله، لأن أحداً لم يكن يعلم هذه الحقيقة فى زمن نزول الوحى بالقرآن، ولا لقرون متطاولة من بعده.(2)

**الثانى: إعجاز فى الزمان**... حين قال الله: {سَيَغْلِبُونَ.. فِي بِضْعِ سِنِينَ..}.

فبعد أن غلبت فارس الروم فرح بذلك كفار مكة وقالوا: الذين ليس لهم كتاب –الفُرس- غلبوا الذين لهم كتاب –الروم-، وافتخروا على المسلمين وقالوا: نحن أيضاً نغلبكم كما غلبت فارس الروم، وكان المسلمين يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب.

فجاءت تلك الآيات لرفع معنويات المسلمين وإظهارهم على المشركين من العرب، حيث أخبرهم الله أن الكَرَّة ستعود على الفرس وتغلبهم الروم فى خلال بضع سنين، وينبغى أن نشير إلى أن كلمة بضع فى اللغة العربية: هى العدد بين 3-9.

وقد جاء فى كتب الحديث؛ عن نيار بن مكرم الأسلمي قال: "لما نزلت: {غُلِبَتِ الرُّومُ.. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ.. فِي بِضْعِ سِنِينَ}.كانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب، وفي ذلك قول الله تعالى: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ.. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}.، وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث فلما أنزل الله تعالى هذه الآية خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة: {غُلِبَتِ الرُّومُ.. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ.. فِي بِضْعِ سِنِينَ}. قال ناس من



1-...دكتوراه في علوم الأرض من جامعة ويلز ببريطانيا.

2- (مقالة د.زغلول النجار - http://www.55a.net/firas/arabic/)

قريش لأبي بكر فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك قال بلى -وذلك قبل تحريم الرهان-، فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لأبي بكر كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه. قال: فسموا بينهم ست سنين. قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين لأن الله تعالى قال: في بضع سنين قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير".(1)

ثم ينهى الله تلك الآيات المعجزات بقوله : {وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ...}. فكان فى تلك الآيات الثلاث إعجاز فى المكان والزمان.(2)

وبعد أن جئنا بعدة أوجه من الإعجاز القرآنى فى الآفاق، حيث السماء والأرض والزمان والمكان، رأينا أن ننتقل إلى الشق الآخر من الآية:{سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}(3)- وهو: {وَفِي أَنْفُسِهِمْ..}.

**-** وذلك فى قول الله :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى}.(4)، وقوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ.. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}.(5)

حيث إعجاز القرآن فى إخباره بمراحل تطور الجنين فى الرحم، ويتحدث الدكتور (موريس بوكاى) (6) عن هذا التطور فيقول: "يتفق تطور الجنين فى الرحم كما يصفه القرآن الكريم تمام الاتفاق مع ما يقرره العلم الحديث فى هذا الصدد، ولا يحتوى وصْفُ القرآن لمراحل تَطوُّرَ الجنين على أى مقولة يستطيع العلم الحديث أن يعارضها أو ينقدها أو ينقضها من حيث تحديد هذه المراحل أو تتابعها... تنزل البويضة المخصبة لتعشش فى تجويف الرحم، ويسمى القرآن الرحم الذى تعشش فيه البويضة بعد إخصابها بالمكان المكين فى بعض الأحيان: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ}، ويُستخدم تعبير الرحم والأرحام فى أحيان أخرى، وذلك كما فى قول الله: {وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى}. ويتحقق استقرار البويضة بالرحم بواسطة امتدادات حقيقية تشبه عملية استقرار البذور فى الأرض، وتنهل البويضة من جدار الرحم كل ما يلزم لنمو الجنين، ولم يتم

1- حسنه الشيخ الألبانى- من السلسلة الضعيفة 2- الموسوعة الذهبية.ص442-443. 3- ]فصلت: 53[. 4- ]الحج: 5[.

5- ] المؤمنون: 13- 14[ 6- (Maurice Bucaille)...جراح فرنسى شغلته المقارنة بين الأديان عن مهنة الطب والجراحة.

الكشف عن هذه الامتدادات فى البويضة مما تجعلها تلتصق وتعشش فى جدار الرحم إلا فى العصر الحديث، ولقد أشار القرآن الكريم خمس مرات إلى هذا التعلق الذى يتمثل فيه بدء عملية التناسل كما هو الشأن فى آيتين من سورة العلق، وذلك فى قول الله : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ... خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ}.(1)، وكلمة "العلق" تعنى: "الشيء يعلق بشيء آخر أو يتشبث به" وتجلط الدم يشبه العلوق ولذلك وجدنا المفسرين ينساقون إلى اعتبار وجود الجنين كجلطة دم هو بداية النسل، ومن الخطأ أيضاً اعتبار أن العلق هو مجرد التصاق شيء بآخر، إن للعلق فى عملية التناسل معنى أكثر من معنى مجرد الملاصقة، إنه ملاصقة ذات تغلغل لشيء فى شيء مع وجود حيوية... ويطلعنا القرآن الكريم على أن الجنين بعد مرحلة العلوق أو التشبُّث التى سبق أن أشرنا إليها، وهى مرحلة حقيقية فى ضوء معلومات العلم الحديث يمر بها الجنين، وينتقل إلى مرحلة أخرى هى مرحلة التكوين "المضغة"، ويكون فيه الجنين قوامه "كقوام اللحم الممضوغ flesh chewed" ثم يتكون داخل اللحم الممضوغ أو"المضغة" النسيج العظمى -أكثر صلابة من لحم المضغة وأكثر ليونة من العظام المكتملة النمو-، ويعبر عن ذلك قوله : {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}.(2)، فإذا كانت "المضغة" تشبه اللحم الممضوغ نجد أن "اللحم" المشار إليه هنا يشبه اللحم "غير الممضوغ" أى اللحم الذى لم يمضغ ولم يطبخ، وله قوام آخر غير قوام المضغة، وهذا التمييز بين هذين النوعين من اللحم فى أول مراحل تكوين الجنين يستحق الالتفات.

تؤكد الدراسات العلمية الحديثة أن الجنين فى المرحلة الأولى من مراحل تطوره يكون عبارة عن كتلة صغيرة من اللحم يمكن رؤيتها بالعين المجرد مثل قطعة من اللحم الممضوغ، ويتكون الهيكل العظمى فى هذه الكتلة من اللحم الممضوغ، ثم تتشكل العظام، ثم تتغطى العظام بالعضلات التى تكسو العظام بطبقة من اللحم.

ومن المعروف أن بعض أجزاء جسم الجنين تتغير وأن بعضها الآخر يظل ثابتاً لا يتغير، وهذا هو المقصود بتعبير {مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ} الموجود بالآية الخامسة من سورة الحج، أى أنه يكون فى هذه المضغة صفات تظل موجودة فى خلقة الجنين مستمرة فى مراحل نموه التالية وصفات أخرى تزول وتتلاشى بعد أداء وظيفتها فى نمو الجنين.

ويذكر لنا القرآن أيضاً ظهور الحواس والأحشاء، وذلك فى مثل قوله :{ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ}.(3) ، كما يشير القرآن الكريم إلى تحديد جنس الجنين بين الذكورة والأنوثة فى مثل قوله : {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى.. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى}.(4)

1- ]العلق: 1- 2[. 2- ] المؤمنون:13- 14[ 3- ]السجدة: 9[. 4- ]النجم:45- 46[.

وتشير الآية الحادية عشرة من سورة فاطر، وكذلك الآية التاسعة والثلاثون من سورة القيامة إلى أن الله يخلق الذكورة والأنوثة فى الأجنة.

وعند مقارنة هذه الحقائق القرآنية مع حقائق العلوم الحديثة. تتوافق وتتسق حقائق القرآن مع حقائق العلوم الحديثة، ولكن الاعتبار الأكثر أهمية هو ضرورة أن نأخذ فى اعتبارنا المعلومات التى كانت سائدة قبل وأثناء عصر نزول القرآن وربما بعده بقرون كثيرة وكيف أنه لم تتسلل أى معلومات خاطئة من تلك المعلومات الخاطئة الكثيرة التى كانت شائعة فى عصر نزول القرآن إلى آية واحدة من آياته، سواء فى هذا المبحث من مباحث العلوم المختلفة أو ذاك.

إن المعاصرون لنزول القرآن لم يكونوا يمتلكون معرفة كثير من الحقائق العلمية التى أشارت إليها آياته فى مثل هذه الموضوعات العلمية، وليس هناك أدنى شك فى أن المعاصرين لزمن تنزيله من أوائل المفسرين لم يكونوا يستطيعون تفسير الوحى الإلهى المتعلق بهذه الموضوعات العلمية كما تيسر لنا ذلك بفضل الحقائق العلمية التى أصبحت متاحة ومعروفة لنا فى العصر الحديث الذى نعيش فيه، وهى مزيةلم تتحققَ إلى حد كبيرَ إلا بدءاً من القرن التاسع عشر.

وطيلة القرون الوسطى كانت الخرافات والأفكار الأسطورية التى لا تقوم على أى أساس علمى هى التى تسود مختلف المعتقدات فى هذه الموضوعات التى تعتبر موضوعات علمية، بل لقد ظلت هذه الخرافات والأفكار الأسطورية سائدة بين الناس طوال قرون عديدة بعد العصور الوسطى.

إن المرحلة الحاسمة فى تطور وتقدم علم الأجنة بدأت على يد "هارفى Harvey" الذى أعلن فى عام 1651م أن كل مولود يبدأ تكوينه ويتأتى من "بويضة" وأن الجنين يتم تخليقه تدريجياً فى مراحل، مرحلة بعد مرحلة، ولا يتم تخليقه دفعة واحدة فى مرحلة واحدة، ولقد أصبح التحقق من هذه الحقائق متاحاً ممكناً بعد اختراع المجهر microscope الذى تم اختراعه واستخدامه قبل (هارفى) بوقت قصير، وعلى الرغم من ذلك ظل النقاش مستمراً لوقت طويل بين علماء الأجنة عن دور الحيوان المنوى ودور البويضة فى عملية الإخصاب وبدء الحمل، كان (بفون Buffon) عالم الطبيعيات المشهور على رأس فريق من العلماء يرون أن البويضة هى التى تسبب الإخصاب، وكان (بونى Bonnet) على رأس فريق آخر من العلماء يرون أن مبيض الأنثى يحتوى على بذور كل الكائنات البشرية ذكوراً وإناثاً يختلط بعضها بالآخر، واستمر الجدل بين مختلف وجهات النظر بين العلماء

فى هذه المسائل وأمثالها طوال القرن الثامن عشر، حتى استقرت الحقائق بفضل تقدم العلم ووسائل وأدوات العلم فى عصرنا الراهن.

ولقد عرف الناس القرآن منذ أكثر من ألف عام، وكانت الخرافات والأساطير سائدة فى العصر الذى نزل فيه القرآن، ولكننا نجد بالفعل أن الحقائق التى يذكرها القرآن بشأن موضوع علمى مثل موضوع التناسل البشرى، يعبر عنها بألفاظ سهلة بسيطة رغم أنها حقائق علمية قضت البشرية مئات السنين لتصل إلى معرفتها بالوسائل البشرية العلمية الخاصة بالبشر".(1)

وإذا ذكرنا إعجاز القرآن فى علم الأجنة، لا ننسى أن نذكر العالِم الكندى البروفيسور (كيث مور).أحد أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم، والحاصل على جائزة جرانت من الجمعية الكندية -الجائزة الأكثر بروزا في حقل علم التشريح في كندا (جي. سي. بي)- في عام 1984م.

وقد قال البروفيسور (كيث مور) فى أحد مؤتمرات الإعجاز العلمى فى موسكو:***"إن التعبيرات القرآنية عن مراحل تكون الجنين* في الإنسان لتبلغ من الدقة والشمول ما لم يبلغه العلم الحديث**".

وفي مؤتمر الإعجاز العلمي الأول للقرآن الكريم والسنة المطهرة والذي عقد في القاهرة عام 1986؛ وقف الأستاذ الدكتور/ (كيث مور Keith Moore) في محاضرته قائلاً: "إنني أشهد بإعجاز الله في خلق كل طور من أطوار القرآن الكريم، ولست أعتقد أن محمداً  أو أي شخص آخر يستطيع معرفة ما يحدث في تطور الجنين لأن هذه التطورات لم تكتشف إلا في الجزء الأخير من القرن العشرين، وأريد أن أؤكد على أن كل شيء قرأته في القرآن الكريم عن نشأة الجنين وتطوره في داخل الرحم ينطبق على كل ما أعرفه كعالم من علماء الأجنة البارزين". (2)

**وقد أعلن البروفيسور/ كيث مور؛ إسلامه من زمن قريب..**

وبعد أن اقتبسنا شيئاً يسيراً من إعجاز القرآن فى الهواء حيث: {يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}، وفى الأرض حيث: {غُلِبَتِ الرُّومُ.. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ}، وفى الزمان حيث: {سَيَغْلِبُونَ.. فِي بِضْعِ سِنِينَ}، وفى النفس البشرية حيث: {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}.

1- ]التوراة والإنجيل والقرأن بمقياس العلم الحديث/موريس بوكاى. تر جمة على الجوهرى. ص248- 251[

2- <http://www.55a.net/firas/arabic/> نقلاً عن (الذين هدى الله/الدكتور زغلول النجار).

بعد هذا الاقتباس ما كان لنا أن نترك قول التوراة: }إنَّ العلي ألْهَمَ الناس العِلم لكي يُمجَّد في عجائبه.}. (1)...فسبحان الذى علم الإنسان ما لم يعلم، وعنده غيب السموات والأرض.

ومما سبق من دلائل على أن القرآن هو كلام الله المنزل على رسوله محمد  نذكر قوله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}.(2)

حيث يخبرنا الله أن القرآن العظيم هو: منهاج كامل، فيه البيان الحق الشافي لأمور الدين والدنيا، فلا خير إلا دل عليه، ولا شر إلا حذر منه، وكل مسألة وكل مشكلة قديمة أو حاضرة أو مستقبلة فإن الحل الصحيح العادل لها في القرآن... فالعلم والعقيدة والسياسة ونظام الحكم والقضاء وعلم النفس والاجتماع والاقتصاد ونظام العقوبات وغير ذلك مما يحتاج إليه البشر، كل ذلك قد بينه الله في القرآن، وعلى لسان رسوله محمد  أكمل بيان، كما أخبر الله -تعالى- بذلك في الآية المذكورة حيث أخبر أن: القرآن تبيانا لكل شيء. (3)

وهنا علينا أن نتعرف على ما يدعوا إليه القرآن؟ حيث إن القرآن الذى هو كلام الله وكتابه، قد دعا إلى اتباع دين الله فى أرضه وشريعته الخاتمة، التى أتم بها ما أرسله من قبل إلى خلقه عبر رسله وأنبيائه، فالقرآن يدعو إلى الدين الخاتم، دين الإسلام.

1- }38/6 تتمة سفر أستير{. 2- [النحل:89]. 3- دين الحق.

# الفصل الثانى: الإسـلام

وبعد أن انتهينا من الاستدلال بالقرآن على أنه كلام الله، وعرضنا ذلك فى ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة، نجد أن القرآن دعا للإسلام كثيراً، ويتبين ذلك فى كثير من آيات القرآن الكريم.. والتى نذكر منها:

**-** قوله تعالى: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.(1)

وفى الآية: يقول تعالى لنبيه محمد : "قُلْ"، يا محمد. للذين يدعونك إلى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله، ويحثّونك على عبادتها: أغير الله فاطر السماوات والأرض، وهو يرزقني وغيري ولا يرزقه أحد، أتخذ وليًّا هو له عبد مملوك وخلق مخلوق؟! وقل لهم أيضًا: إني أمرني ربي: {أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ..} يقول المفسِّرين: أوّل من خضع له بالعبودية، وتذلّل لأمره ونهيه، وانقاد له من أهل دهرِي وزماني، و"قُلْ" يا محمد: وقيل لي: لا تكونن من المشركين بالله، الذين يجعلون الآلهة والأنداد شركاء.

**وكذلك جاءت آيات القرآن تدعو إلى الإسلام فى أكثر من موضع... فكان منها أيضاً:**

**-** قول الله تعالى: {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.(2)

**-** وقوله تعالى: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.(3)

**-** {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآَيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ.. فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ}.(4)

**-** {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.(5)

**-** {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا..}(6).

**-** {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ}.(7)

**-** {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}.(8)

**وبعد هذا العرض لآيات القرآن الداعية للإسلام.. يتسنى لنا أن نتعرف على الإسلام الذى هو دين الله...**

1- ]الأنعام: 14[ 2- ]غافر: 66[ 3- ]البقرة: 131 [ 4- ]آل عمران:19- 20[.

5- ]آل عمران: 85[ 6-] النساء: 125[ 7- ]الحج: 34[. 8- ]المائدة: 3.[

فمن المعلوم أن كل شيء في هذا الكون منقاد لقاعدة معينة، وسنة ثابتة، فالشمس والقمر والنجوم والأرض مسخرات تحت قاعدة مطردة، لا قبل لها بالحراك عنها والخروج عليها ولو قيد أنملة، حتى إن الإنسان نفسه إذا تدبرت شأنه تبين لك أنه مذعن لسنن الله إذعانا تاما، فلا يتنفس ولا يحس حاجته إلى الماء والغذاء والنور والحرارة إلا وفقا للتقدير الإلهي المنظم لحياته، وتنقاد لهذا التقدير جميع أعضائه، فالوظائف التي تؤديها هذه الأعضاء لا تقوم بها إلا بحسب ما قرر الله لها.

فهذا التقدير الشامل، الذي يستسلم له ولا ينفك عن طاعته شيء في هذا الكون، من أكبر كوكب في السماء إلى أصغر ذرة من الرمل في الأرض، هو من تقدير إله ملك جليل مقتدر، فإذا كان كل شيء في السماوات وما بينهما منقادا لهذا التقدير، فإن العالم كله مطيع لذلك الملك المقتدر الذي وضعه، ومتبع لأمره، ويتبين من هذه الوجهة أن الإسلام دين الكون أجمع، لأن الإسلام معناه الانقياد والامتثال لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض كما عرفت آنفا، فالشمس والقمر والأرض مستسلمة، والهواء والماء والنور والظلام والحرارة مستسلمة، والشجر والحجر والأنعام مستسلمة، بل إن الإنسان الذي لا يعرف ربه ويجحد وجوده وينكر آياته، أو يعبد غيره، ويشرك به سواه، هو مستسلم من حيث فطرته التي فُطر عليها.

**- الإسلام بالمعنى العام**

الإسلام بمعناه العام : يعنى الخضوع والانقياد والاستسلام؛ يقال فلان أسلم؛ أى: خضع وانقاد، ويقال فلان مسلم؛ أى مستسلم لأمر الله.(1)، ومنه استسلم الجنود؛ أى انقادوا لأوامر العدو.

وبهذا المعنى جاءت كلمة الإسلام ومشتقاتها فى كتب الله المنزلة –التوراة والإنجيل والقرآن-، فجاءت الكلمة فى التوراة على هذا النحو:

**-** }ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك{.(2)

والآية تشير إلى ثناء ملك سدوم على الله لِتَمكينُه إبراهيم –إبرام- من أعدائه.

**-** }أما الرجل فيموت ويبلى الإنسان يسلم الروح فأين هو{.(3)

**-** }وهذه سنو حياة إسماعيل مئة وسبع وثلاثون سنة وأسلم روحه ومات وانضم الى قومه{.(4)

ونجد فى الآيتين كيف يخُضع الإنسان روحه لله عند موته.

1- لسان العرب. 2- } 14: 20 تك{. 3- }14: 10 أيوب { 4- } 25: 7 تك}..

**-** }لكنهم يصلحون الأشياء الدهرية ودعاؤهم لأجل عمل صناعتهم خلافا لمن يسلم نفسه إلى التأمل في شريعة العلي.}..(1)

وفى الآية نجد كيف يقارن الله بين الذى ينهمك فى أعمال الدنيا من أطباء ومهندسين وصناع، وبين من يُسْلم –يخُضِع- نفسه للتفكر والتدبر فى شريعة الله.

**-** وجاءت الكلمة فى الإنجيل على هذا النحو: }فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح{. (2)

وما الإسلام فى القرآن إلا ذلك الوصف لخضوع وانقياد النفس لله رب العالمين. ونجد ذلك فى قول الله : {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}.(3)

وفى الآية يخاطب الله معشر أهل الكتاب قائلاً: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ..} أى: أفغير طاعة الله تلتمسون وتريدون، {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} يعنى: وله خَشع من في السموات والأرض، فخضع له بالعبودية، وأقرّ له بإفراد الربوبية، وانقاد له بإخلاص التوحيد والإلوهية.(4)، {طَوْعًا وَكَرْهًا..}، أى ولله أسلم أي انقاد وخضع من في السموات من الملائكة والأرض من سائر المخلوقات الأرضية طائعين أو مكرهين.، "وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ" وفوق هذا أنّكم ترجعون إليه فيحاسبكم، ويجازيكم بأعمالكم.(5)

وهناك العديد من آيات القرآن التى تتحدث عن المعنى العام للإسلام.. ومن ذلك -على سبيل المثال– أن يعقوب  عندما أحس بدنو أجله سأل أبناءه: من تعبدون من بعدى؟ فقالوا: -كما جاء فى القرآن-: {قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آَبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}.(6)

ويشير نوح  إلى ذلك فيما يرويه القرآن الكريم الذى يصف نوحاً بأنه مسلم، أى مستسلم لله، فعندما كلفه ربه بأن يدعو الناس، قال لهم: {فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}.(7)

وهذا هو المعنى الذى فهمه الشاعر الألمانى (جوته Goethe) (8) وعبر عنه فى "الديوان الشرقى".. قائلاً:

"إذا كان الإسلام معناه أن لله التسليم، فإننا أجمعين، نحيا ونموت مسلمين".(9)

1-} 39/38 تتمة أستير{ 2- }27: 50 متى{. 3-] آل عمران: 83[. 4-تفسير الطبرى

5- أيسر التفاسير 6- ]البقرة: 123[. 7- ]يونس: 72[

8- (جوته Goethe)... هو الشاعر الألمانى جوهان وولفاغانغ فون غوتيه،ولد بفرانكفورت فى 28 أغسطس 1749.

9-الديوان الشرقى الغربى/جوتة –ترجمة/د.عبد الحمن بدوى.

ولهذا يشدد القرآن مراراً وتكراراً على أن دين الإسلام فى الأساس دين واحد، وإن بلَّغ رسالتَه أنبياء مختلفون على مر التاريخ، وهذا ما تعبر عنه الآية التالية: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}.(1)

ويقول القرآن إن من الخطأ التفرقة بين الرسالات السماوية، أو بين نبى ونبى، فالأنبياء كافة أرسلهم رب واحد.. وذلك فى قوله تعالى: {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه..}.(2)

ومما تقدم يتضح بجلاء إقرار القرآن: أن أساسيات الرسالات السماوية كلها واحدة، وأنها تسعى إلى هدف واحد هو: صلاح الإنسان فى دنياه وأخراه.

**- الإسلام بالمعنى الخاص**

تطلق كلمة الإسلام بمعناها الخاص على ذلك الدين الذى دعا إليه محمد  فى القرن السابع الميلادى بوصفه وحياً مُنزلاً من عند الله، وبوصفه تصديقاً للرسالات السماوية السابقة المنزلة من عند الله، وتجديداً وإحياءً لها، وكذلك تصحيحاً مُنْصبّاً على ما فى الديانات السابقة من أمور حرفها البشر بطريق الخطأ على مدى التاريخ. ومن أجل ذلك يؤكد القرآن هذه الحقيقة فى مواضع عدة ويبين أنه جاء رحمة وذكرى للمؤمنين. ومنها: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.(3)

والإسلام بهذا المعنى الخاص المشار إليه، هو الصراط المستقيم فى عقيدة المسلم، أى الطريق الذى مهده الله وقضى باتباعه.(4)، ويدرك المؤمنون أن صراط الإسلام يعنى الانقياد والخضوع لله سبحانه، ويتضح ذلك فى قوله تعالى: {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.(5)

فالإسلام الذى هو دين الله -حسب قول (إيتيان دينيه) (6)-: "**صالح لكل زمان ومكان، فهو دين الإنسانية ودين المستقبل**".(7)

1- الشورى: 13[. 2- ]البقرة: 285[ 3- ]العنكبوت: 51[ 4- (الإسلام وقضايا الحوار / زقزوق).

5- ]الحج: 54[ 6-.... هو الرسام الفرنسى العالمى (ألفونس إيتيان دينيه). ولد فى باريس عام 1861.

7- هذا هو الإسلام كما أراه.ص52 –نقلاً عن(محمد رسول الله/ايتيان دينيه).

# الفصل الثالث: عالمية الاسلام

الإسلام هو دين شامل لكل ما فيه الخير للإنسان، وهو رسالة عامة للإنسان أينما كان، ووقتما كان، فكما هو شامل وعام فهو صالح لكل مكان وزمان.

ولقد بحث المستشرق (ديسون) (1) سر عالمية الإسلام فتوصل إلى أن مفتاح ذلك يكمن فى أنه دين الإنسانية جمعاء، وليس مقصوراً على شعب دون آخر، ويقول: "ذلك أن الإسلام لم يكن ديناً للعرب فحسب، وإنما هو دين الإنسانية من أقصى الأرض إلى أقصاها".(2)

أما الباحث (جورج رو) (3) فينظر إلى عالمية الإسلام فى ابتعادها عن الشكلية وأداء الشعائر، فيقول: "ليس الإسلام مجرد شكل، ولا هو مجرد شعائر دينية تتفاوت درجات أصحابها فى العمل بها، ولكن الوصف المميز للإسلام هو أنه دين عالمى معمول به أكثر من أى دين غيره".(4)

هذا، وإن صلاحية الإسلام وعالميته تستمد قدرتها من أنه يقدم الحل الناجع للإنسانية، من القلق والضياع والخوف على المصير، كما يعطى نموذجاً للحياة الاجتماعية الأفضل، فتقول الباحثة الإيطالية (لورافيشيا فاغليرى): إن الناس ليتلهفون على دين يتفق وحاجاتهم ومصالحهم الدنيوية، ولا يكون قاصراً على إرضاء مشاعرهم وإحساساتهم، ويريدون أن يكون هذا الدين وسيلة لأمنهم وطمأنينتهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة، وليس هناك دين تتوفر فيه هذه المزايا كلها بشكل رائع سوى الإسلام، إذ أنه ليس مجرد دين فحسب، بل إن فيه حياة للناس، لأنه يعلمهم كيف يحسنون التفكير والكلام، ويحضهم على فعل الخير وصالح الأعمال، ولذلك سرعان ما شق طريقه إلى القلوب والأفهام".(5)

وهذا ما سيُبسطه لنا (إيتيان دينيه) فى كتابه (محمد رسول الله) إذ يتحدث عن مميزات الرسالة وعالميتها ودورها الممكن فى المستقبل فيقول: "وهناك شىء مهم، وهو انتفاء الوساطة بين العبد وربه، وهذا هو الذى وجدته العقول العملية فى الإسلام، لخلوه من الأسرار وعبادة القديسين، ولا حاجة به إلى الهياكل والمعابد لأن الأرض كلها مسجداً لله، وفوق ذلك قد يجد بعض أهل مذهب الإعتقاد بالله دون غيره من العصريين المتحيرين فى التعبير عما يخالج نفوسهم من التطلع، قد يجدون فى الإسلام المذهب النقى للاعتقاد بالله، فيجدون فيه أبدع وأسمى أعمال العبادة وما يمكن أن يتخيله من معنى ألفاظ الدعاء، فالإسلام يحقق أبلغ معنى لفضيلة الإيثار على النفس بأقل بحث فيها من الوجهة النظرية. وقد حصل فى فرنسا وفى بلاد أخرى من أوروبا وأسيا دخول أشخاص فى الإسلام فُرادى، وربما كان ذلك مصداقاً لهذا الحديث النبوى الذى معناه: (قد يؤيد الله هذا الدين بالغرباء منه)(6). ومن مميزات الإسلام الأصلية: ملائمته لجميع الأجناس البشرية، فلم يكن العرب وحدهم هم الذين اتبعوا الإسلام، بل كان من ضمنهم من هو من فارسى (كسلمان الفارسى)، وبعضهم من النصارى (كورقة بن نوفل) وبعضهم من اليهود (كمخيريق، وعبد الله بن سلام)، وبعضهم من الأحباش (كبلال بن رباح)... وغيرهم، وجاء فى القرآن: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}.(7)، فدين الرسول محمد ؛ قد أكد منذ اللحظة الأولى لظهوره- وفى حياة النبى-؛ أنه دين عام صالح لكل زمان ومكان.

1-...كاتب ومفكر ألمانى، عنى بدراسة الإسلام. 2- هذا هو الإسلام كما أراه.ص50-نقلاً عن(كتاب الإسلام مبدأ وعقيدة).

3-...صاحب كتاب تاريخ العراق القديم. 4-المرجع السابق.ص50-نقلً عن(مجلة الذكرى،عدد2 دورة1).

5- المرجع السابق.ص52-نقلً عن(مجلة الذكرى،عدد7 دورة 1).

6- يقصد الحديث النبوى: "إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم". أخرجه النسائي من حديث أنس بإسناد صحيح.

7- ]سبأ: 28[.

وإذا كان صالحاً بالضرورة لكل جنس كان صالحاً بالضرورة لكل عقل، إذ هو دين الفطرة، والفطرة لا تختلف فى إنسان عن آخر، وهو لكل هذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة، وهو على ما فيه من تسامح وبساطة، فهو يؤدى للعالم هداية وتوفيقاً، سواء فى ذلك الأوروبى المتحضر والزنكى الأسود، من غير أن يعوق حرية الفكر عند أحدهما، ثم يزيد على ذلك بالنسبة للزنكى انتشاله من عبادة الأوثان. ثم هو لا يعوق الرجل العملى الذى يرى حياته فى العمل، ويعتبر الوقت من ذهب، كالرجل الإنجليزى وكذلك لا يعوق الرجل الشرقى المتأمل فى بدائع الصنع، ويأخذ بيد الغربى المأخوذ بسحر الفن والخيال، وليس هذا فحسب بل هو يستولى على لُب الطبيب العصرى أيضاً، لما فيه من الطهارة المتكررة فى اليوم واليلة، وتناسق حركات المصلى فى الركوع والسجود، وما فيها من نماء للجسم، وإفادة للصحة الجسمية والنفسية!!

وعلى هذا؛ فليس من الجرأة إذاً أن نظن أنه إذا هدأت الزوبعة المروعة القائمة ضد الإسلام، وضَمِن هو الاحترام لكل الشعوب والديانات أنه سيرى مستقبلاً حافلاً وأعظم الآمال وأعلاها شأنا. فإذا ما دخل فى الحضارة الأوروبية بفضل اشتراكه العظيم فى الحوادث، فسيتضح سناه الحقيقى، وستعرف الأمم المختلفة حقيقته التى حُجبت عنهم زمناً، وسَيمُد كل واحد يده لمحالفته، متنافسين فى ذلك، لأن قيمته قد خبروها، وعرفوا ما يستكن فيه من وسائل القوة التى لا حد لها ولا نفاد..".(3)

وتظهر عالمية الإسلام فى معالجته لقضايا كثيرة احتارت فيها الهيئات والحكومات والمنظمات، وخُصصت لها الاجتماعات والمؤتمرات وسُنَّت لها القوانين، مثل قضايا: الرق والاستعباد، وحقوق الإنسان، والزنى ومخاطره، والربا ونظم الاقتصاد، وكيف كان تعامل الإسلام مع الجريمة بأشكالها... من سرقة وقتل واعتداء على الغير.

3- هذا هو الإسلام كما أراه.ص60،61 -نقلاً عن (محمد رسول الله ص362،363/ ايتيان دينيه).

فمعَ إفلاس الحضارة الغربية التى أثارت حربين عالميتين، وظهور العالم الثالث كقوة ما بين المعسكرين الشرقى والغربى، شُرع بالتفكير جدياً بوجود نظام عالمى جديد، ووجد كثير من المفكرين والمستشرقين فى الغرب أن النظام الإسلامى هو مركب الإنقاذ لخلاص البشرية، وأنه يقدم السبيل الصحيح كمنظومة اجتماعية سياسية، واقتصادية روحية، يقول المفكر الإيرلندى (برناردشو) (1): "إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل فى تفكير محمد، هذا النبى الذى وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالد خلود الأبد، وإنى أرى كثيراً من بنى قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح فى القارة الأوروبية بعد هذه الحرب، وإذا أراد العالم النجاة من شروره فعليه بهذا الدين، إنه دين التعاون والسلام والعدالة فى ظل شريعة محكمة،لم تدع أمراً من أمور الدنيا إلا رسمته ووزنته بميزان لا يخطىء أبداً ".(2)

إن الإسلام فى القرن العشرين، أخذ يظهر كقوة عالمية يستمد قوته، ليس من القدرة العسكرية الاقتصادية، التى تحمل مخاطر إشعال الحرائق والحروب تنافساً على الثروة، وفرضاً لمبدأ الهيمنة، بل كمقدم لمشروع حضارى إنسانى متكامل، حاملاً الخلاص للعالم، والنجاة للإنسانية المهددة بالإنهيار الروحى والتشويه الإنسانى، وانحطاط القيم الثقافية والحضارية... يقول المفكر الفرنسى (مارسيل بوازار) (3) فى كتابه (إنسانية الإسلام): "وتسمح ديمومة القناعة الدينية بالتشديد على صلاح الإسلام للزمن الراهن عن طريق أمثلة مستقاة من الحقبة المعاصرة ومن الماضى، وقد احتفظنا من القانون الإسلامى بما اعتبرناه ثابتاً لا يتحول، لا بوصفه قواعد ابتدعها أو استنتجها الفقهاء، إنما بوصفه تعبيراً عن إجراء روحى مرتبط بحضارة خاصة، وجوهر لقانون وهبه الخلاق العليم جل جلاله، فهو من هذه الناحية، وبصورة عامة جداً، مثالى وثابت، وهكذا اهتم التفكير القانونى بالمحافظة على النظام المجتمعى أكثر من اهتمامه ببناء مجتمع، وراح يتطور مع نمو المجتمع، وأكسبه مظهره الذممى مراناً كبيراً، ولم يعمل المظهر القانونى على عكس صورة عن الواقع بالتطابق مع الأحداث، بل كان مفروضاً فيه على العكس أن يوجهها بوصفه علماً نظرياً مرتبطاً مع الأحداث، بل كان مفروضاً فيه على العكس أن يوجهها بوصفه علماً نظرياً مرتبطاً بجوهر القانون –الوحي– وخاضعاً له، كما أن الأغصان جزء من الشجرة، وقد كان من الممكن أن تتلاقى الواقعية العملية الممارسة فى حدود الأطر التى فرضها نظام أسمى اقتصار القانون على مَثَلٍ أعلى مجرد أو على نمط سلوك لا يمكن بلوغه، وباختصار، بدا لنا أن روح القانون الإسلامى أصلح لبحثنا من طريقة تطبيقه".(4)

1- جورج برنارد شو... أيرلندى، كاتب وأديب مسرحى. 2-هذا هو الإسلام كما أراه.ص51-نقلاً عن(مجلة الذكرى،عدد7 دورة1).

3-...مفكر وقانونى فرنسى معاصر 4 -المرجع السابق. ص51،52 – نقلاً عن كتاب ( إنسانية الإسلام / مارسيل بوازار.ص422 ،423).

ويتابع الباحث فكرته، فيقول: "ويبرز الإسلام مظهره التقليدى فى النقاش الدائر حول مختلف مفاهيم الإنسانية فى المستقبل، وتعتمد حركيته على استقامة المسلمين طوال القرون، وعلى محاولة لردّ الاعتبار تاريخياً إلى المجتمع الإسلامى".(1)

ولقد تناول المستشرق النمساوى (ليوبلد فايس) الذى اعتنق الإسلام وعرف باسم (محمد أسد)، فى كتابه (الإسلام فى مفترق الطرق) موضوع روح الإسلام الذى جاء لخير البشر جميعاً ولصالح الإنسانية قاطبة، يقول محمد أسد: "نحن نعد الإسلام أسمى من سائر النظم المدنية، لأنه يشمل الحياة بأسرها؛ إنه يهتم اهتماماً واحداً بالدنيا والآخرة، وبالنفس والجسد، وبالفرد والمجتمع، إنه لا يهتم فقط لما فى الطبيعة الإنسانية من وجود الإمكان إلى السمو، بل يهتم أيضاً لما فيها من قيود طبيعية... إنه لا يحملنا على طلب المحال، ولكنه يهدينا إلى أن نصل إلى مستوى أسمى من الحقيقة حيث لا شقاق ولا عداء بين الرأى وبين العمل، إنه ليس سبيلاً بين السبل، ولكنه السبيل، وإن الرجل الذى جاء بهذه التعاليم ليس هادياً من الهداة، ولكنه الهادى الكامل، فاتِّباعه فى كل ما فعل وما أمر اتِّباع للإسلام عينه، وأما اطّراح سنته فهو اطّراح لحقيقة الإسلام".(2)

فالإسلام يقدم حلاً للمعضلة الإنسانية ولقضايا البشر، إنه خيار اجتماعى سياسى، وحين تعقد المقارنة ما بين الخيار الإسلامى والخيارات الأخرى تظهر أرجحية الإسلام على ما سواه، كرسالة عالمية تحمل الحلول العملية لقضايا الإنسان.

1-هذا هو الإسلام كما أراه.ص 52 – نقلاً عن ( إنسانية الإسلام / مارسيل بوازار.ص422 ،423).

2- المصدر السابق.ص56،57 -نقلا عن(الإسلام فى مفترق الطرق/ محمد أسد ص102،103).

# الفصل الرابع: أركان الإسلام

للإسلام أركان خمسة لا يمكن لأحد أن يدين به إلا من خلالها، وهي: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج:

**الأول: شهادة أن لا إله إلالله، وأن محمداً رسول الله.**

**-** **معنى شهادة أن لا إله إلا الله**: أي لا معبود بحق في الأرض ولا في السماء إلا الله وحده، لا شريك له، ولا ند له، ولا ولد له، ولا صاحبة –زوجة- له، فهو الإله الحق، وكل إله غيره باطل.(1)... وهذا ما يطلق عليه عقيدة التوحيد ويظهر هذا المعنى فى سورة من أقصر سور القرآن ولكنها من أعظمها حيث يقول الله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ.. اللَّهُ الصَّمَدُ.. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ.. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}.(2)... أى قل يا محمد لمن يسألون عن وصف ربك: أن الله الذي تعرفونه وتقرّون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم، {اللَّهُ أَحَدٌ} هو واحد متوحد بالإِلهُية لا يُشارك فيها، {اللَّهُ الصَّمَدُ} وهو الذي يصمد ويحتاج إليه ويسأله كل مخلوق ولا يُستَغنَى عنه، وهو الغني عنهم}.لَمْ يَلِدْ} لأنه لا يُجانَس، حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا. وقد دلّ على هذا المعنى بقوله: {أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ}.(3)، {وَلَمْ يُولَدْ} لأنّ كل مولود محدث وجسم، وهو قديم لا أوّل لوجوده وليس بجسم. {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} ولم يكافئه أحد، أي: لم يماثله ولم يشاكله أحد.(4)

**فيقتضي هذا الشق من الشهادة إخلاص العبادة لله وحده، ونفيها عما سواه، ولا تنفع قائلها حتى يتحقق فيه أمران:**

1- قول لا إله إلا الله عن اعتقاد وعلم ويقين وتصديق -بالمفهوم الذى أوردناه- ومحبة.

2- الكفر بما يعبد من دون الله. فمن قال هذه الشهادة ولم يكفر بما يعبد من دون الله من بشر أو حجر أو ما دون ذلك لم ينفعه هذا القول.

**-** **ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله**: أى طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرَّع، وأن تعلم وتعتقد بأن محمداً رسول الله إلى الناس جميعاً، وأنه عبد لا يُعبد، ورسول لا يَكذب، بل يُطاع ويُتبع، من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، وأن تعلم وتعتقد بأن تلقي التشريع سواء في العقيدة، أو فى العبادات التي أمر الله بها، أو في نظام الحكم والتشريع أو في مجال الأخلاق، أو في مجال بناء الأسرة، أو في مجال التحليل والتحريم.. لا يكون إلا عن طريق هذا الرسول الكريم محمد ؛ لأنه رسول الله المبلغ عنه شريعته.(5)

1- دين الحق. 2- ]سورة الإخلاص[ 3- [الأنعام: 101 ]

4- تفسير الزمخشرى. 5- دين الحق.

**الثاني: الصلاة.**

هي الركن الثاني من أركان الإسلام، بل هي عمود الإسلام، إذ هي صلة بين العبد وربه، يكررها كل يوم خمس مرات، يجدد فيها إيمانه، ويطهر فيها نفسه من أدران الذنوب، وتحول بينه وبين الفواحش والآثام، وذلك لقول الله: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}.(1)، فالابتعادعن الرزائل، والتطهر من سوء القول وسوء العمل، هو حقيقة الصلاة، فإذا استيقظ العبد من نومه في صباحه مَثُلَ بين يدي ربه طاهراً نظيفاً- قبل أن ينشغل بحطام الدنيا- ثم كَبَّر ربه، وأقر بعبوديته واستعان به واستهداه، وجدد ما بينه وبين ربه من ميثاق الطاعة والعبودية ساجداً وقائماً وراكعاً يكرر ذلك في كل يوم خمس مرات، ويلزم لأداء هذه الصلاة أن يكون متطهراً في قلبه وبدنه وثوبه ومكان صلاته، وأن يؤديها المسلم جماعة مع إخوانه المسلمين إلى ربهم، ومتوجهين بوجههم إلى الكعبة المشرفة بيت الله، فالصلاة قد وضعت على أكمل الوجوه وأحسنها التي تَعبَّد بها الخالق تبارك وتعالى عباده؛ من تَضمُّنها للتعظيم له بأنواع الجوارح، من نطق اللسان، وعمل اليدين والرجلين والرأس وحواسه، وسائر أجزاء بدنه، كلٌ يأخذ حظه من هذه العبادة العظيمة.

فالحواس والجوارح تأخذ بحظها منها، والقلب يأخذ حظه منها، فهي مشتملة على الثناء والحمد والتمجيد والتسبيح والتكبير، وشهادة الحق، وقراءة القرآن الكريم، والقيام بين يدي الرب مقام العبد الذليل الخاضع للرب المدبر، ثم التذلل له في هذا المقام والتضرع والتقرب إليه، ثم الركوع والسجود والجلوس خضوعاً وخشوعاً واستكانة لعظمته وذلاً لعزته، قد انكسر قلبه، وذل له جسمه، وخشعت له جوارحه، ثم يختم صلاته بالثناء على الله والصلاة والسلام على نبيه محمد ، ثم يسأل ربه من خيري الدنيا والآخرة.(2)

**الثالث: الزكاة.**

هي الركن الثالث من أركان الإسلام، فيجب على المسلم الغني أن يخرج زكاة ماله، وهى تقدر بربع العُشر، ويدفعها إلى الفقراء والمساكين وغيرهم ممن يجوز دفعها إليهم... ويجب أن يدفعها المسلم إلى مستحقيها بطيب نفس، ولا يمُنّ بها عليهم ولا يؤذيهم بسببها، ويجب أن يدفعها المسلم ابتغاء رضوان الله، لا يريد بذلك جزاءاً ولا شُكوراً من الخلق؛ بل يدفعها خالصة لوجه الله لا رياءاً ولا سُمعة... فهى ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب، بل هى -أولاً- غرس لمشاعر الحنان والرأفة، وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة بين شتى الطبقات، وقد نص القرآن على الغاية من إخراج الزكاة بقول الله:{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}.(3)

ففي إخراج الزكاة استجلاب للبركة، وتطييب لنفوس الفقراء والمساكين وذوي الحاجات، وإغناء لهم عن

1- ]العنكبوت: 45 [ 2- مفتاح دار السعادة.ص356.بتصرف 3- ]التوبة: 103[.

ذل السؤال، ورحمة بهم من التلف والعوز إذا تركهم الأغنياء، وفي إخراج الزكاة اتصاف بصفات الكرم والجود

والإيثار والبذل والرحمة، وتخلٍ عن سمات أهل الشح والبخل والدناءة. وفيها يتكاتف المسلمون، ويرحم غنيُهم فقيرَهم، فلا يبقى في المجتمع -إذا طبقت هذه الشعيرة- فقير مُعدم، ولا مدِين مرهق، ولا مسافر منقطع.

**الرابع: الصيام.**

وهو صيام شهر رمضان من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، يدع فيه الصائم الطعام والشراب والجماع عبادة لله سبحانه وتعالى، ويكف نفسه عن شهواتها، وقد خفف الله الصيام عن المريض والمسافر والحامل والمرضع والحائض والنفساء؛ فلكل منهم حكم يناسبه.

وفي هذا الشهر يكف المسلم نفسه عن شهواتها؛ فتخرج نفسه بهذه العبادة من شبه البهائم إلى شبه الملائكة المقربين، حتى إن الصائم ليتصور بصورة من لا حاجة له في الدنيا إلا في تحصيل رِضى الله.

والصيام يحي القلب، ويزهد في الدنيا، ويرغب فيما عند الله، ويذكر الأغنياء بالمساكين وأحوالهم؛ فتعطف قلوبهم عليهم، ويعلمون ما هم فيه من نعم الله فيزدادوا شكراً... والصيام يزكي النفس، ويقيمها على تقوى الله، ويجعل الفرد والمجتمع يستشعر رقابة الله عليه في السراء والضراء في السر والعلانية؛ حيث يعيش المجتمع شهراً كاملاً محافظاً على هذه العبادة، ومراقباً لربه، يدفعه إلى ذلك خشية الله تعالى والإيمان بالله وباليوم الآخر، واليقين بأن الله يعلم السر وأخفى، وأن المرء لابد له من يوم يقف فيه بين يدي ربه فيسأله عن أعماله كلها صغيرها وكبيرها.(1)

فنرى أن الإسلام لم ينظر إلى الصوم على أنه حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة، بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائماً من شهواتها المحظورة ونزواتها المنكرة، فقال الله تعالى:{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.(2)... وإقراراً لهذا المعنى قال النبى محمد: "من لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ به، فليس لله حاجة أن يَدَعَ طعامَهُ وشَرَابَه"(3)، وقال أيضاً: "ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابَّك أحد، أو جهل عليك، فقل: إنى صائم".(4)، فنجد فى قول الله الحكمة من الصيام وهى تحصيل التقوى، وتأتى أقوال النبى محمد  بالتوجيه إلى كيفية تحصيل التقوى، إذ يتضح منها أن الصوم كما أنه عن الطعام والشراب الشهوات، فإنه أيضاً عن سوء القول والفعل، وإن لم يكن كذلك فليس لله حاجة فيه.

1- مفتاح دار السعادة.ص356.بتصرف 2- ]البقرة: 183[. 3- البخارى. 4- ابن خزيمة.

**الخامس: الحـج.**

يكون الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة، ويجب على كل مسلم بالغ عاقل قادر، يملك وسيلة النقل أو أجرتها إلى البيت الحرام، ويملك ما يكفيه من النفقة في ذهابه وإيابه، على أن تكون هذه النفقة فاضلة عن قوت من يعولهم، وأن يكون آمناً على نفسه في طريقه، وآمناً على من يعولهم أثناء غيابه عنهم، ويجب الحج مرة واحدة في العمر لمن استطاع إليه سبيلاً.

وينبغي لمن أراد الحج أن يتوب إلى الله؛ لتتطهر نفسه من دنس الذنوب، فإذا بلغ مكة المكرمة والمشاعر المقدسة أدى شعائر الحج عبودية وتعظيماً لله، ويعلم أن الكعبة وسائر المشاعر لا تُعبد من دون الله، وأنها لا تنفع ولا تضر، ولو لم يأمرَ اللهُ بالحَج إليها لما صح للمسلم أن يحج إليها.

وفي الحج يلبس الحاج إزاراً ورداءً أبيضين، فيجتمع المسلمون من جميع أقطار الأرض في مكان واحد، يلبسون زياً واحداً، يعبدون رباً واحداً، لا فرق بين رئيس ومرؤوس، أو غني وفقير، أو أبيض وأسود.. الكل خلق الله وعباده، لا فضل لمسلم على غيره إلا بالتقوى والعمل الصالح... فيحصل للمسلمين التعاون والتعارف، ويتذكرون يوم يبعثهم الله جميعاً، ويحشرهم في صعيد واحد للحساب، فيستعدون بطاعة الله تعالى لما بعد الموت.

وفى الحج جاء قول الله: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}.(1)

فنجد أن النهى عن الرفث واللغو والفسوق كما هو فى الصيام أيضاً كان النهى عنه فى الحج، وأن التقوى كما هى مذكورة فى آية الصوم أيضاً مذكورة فى آية الحج، ومن هنا يتضح لنا الحكمة من فرض الله لتلك العبادات، وهى تحصيل تقوى الله بالتقرب إليه من خلال ما فرضه على عباده.

وإذا كانت الأركان التى ذكرناها من قَبل؛ هى من العبادات في الإسلام، فإنها ليست كل العبادة، فالعبادة في الإسلام أشمل إذ هي: كل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، فكل عمل أو قول عملته أو قلته مما يحبه الله ويرضاه فهو عبادة، بل كل عادة حسنة عملتها بنية التقرب إلى الله فهي عبادة، فمعاشرتك الحسنة لأبيك وأهلك وزوجك وأولادك وجيرانك إذا قصدت بها وجه الله فهي عبادة، ومعاملتك الحسنة في البيت والسوق والمكتب إذا قصدت بها وجه الله فهي عبادة، وأداء الأمانة والتزام الصدق والعدل

1-] البقرة: 197[.

وكف الأذى وإعانة الضعيف واكتساب الحلال والنفقة على الأهل والأولاد ومواساة المسكين وزيارة المريض وإطعام الجائع ونصرة المظلوم كل ذلك عبادة إذا قُصد به وجه الله، فكل عمل تعمله لنفسك أو لأهلك أو لمجتمعك أو لبلدك تقصد به وجه الله فهو عبادة، بل حتى تحقيق شهوات نفسك في حدود ما أباح الله لك؛ تكون عبادة إذا قَارَنَتْها نية صالحة لقول رسول الله محمد : "وفي بضع أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر". (1)

1- مسلم

# الفصل الخامس: الأخلاق فى الإسلام

لقد حدد رسول الإسلام  الغاية الأولى من بعثته، والمنهاج المبين فى دعوته بقوله: "إنما بُعِثتُ لأُتمَّمَ مكارمَ الأخلاقِ".(1)

فكأن الرسالة التى خطَّت مجراها فى تاريخ الحياة، وبذل صاحبها جهداً كبيراً فى مدّ شعاعها وجمع الناس حولها،لا تنشد أكثر من تدعيم فضائلهم، وإنارة آفاق الكمال أمام أعينهم، حتى يسعوا إليها على بصيرة.

وقد وجدنا ذلك فى مقاصد العبادات فيما حثت عليه من النهى عن اللغو والرفث والسباب والفسوق، وترك الشهوات إلا فى حدود ما أحل الله مع الإثابة عليها، ورأينا عند حديثنا عن العبادات، أن الصلاة والزكاة والصوم والحج قد اشتركت فيها تلك الخصال الحميدة، إما فى شروطها وواجباتها، أو فى الغاية من القيام بها.

وقد ظهر من هذه التعاليم أن الإسلام جاء لينتقل بالبشر خطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، وأنه اعتبر المراحل المؤدية إلى هذا الهدف النبيل من صميم رسالته، كما أنه عد الإخلال بهذه الوسائل خروجاً عليه وابتعاداً عنه.

وقد أحصى الإسلام بعدئذ الفضائل كلها، وحث أتباعه على التمسك بها واحدة واحدة.، وكما أن التوراة قد اشتملت على وصايا الله لموسى  فى سفر الخروج، والإنجيل اشتمل على وصايا المسيح  لبنى إسرائيل فى متى ولوقا ورسالة بولس إلى رومية، فإن القرآن أيضاً قد ساق لنا كثيراً من تلك الفضائل والوصايا، فقال الله  لرسوله محمد : {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.. وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.(2)

وإذا تأملنا فى تلك الآيات الثلاثة سنرى أن الله قد أوصانا بوصايا عشر، فيها تقرير لشمولية الإسلام، وإثبات أنه دين فيه صلاح العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق، دين فيه صلاح الأفراد والأسر والمجتمعات، فالناظر فى تلك الوصايا يتأمل تلك الشمولية، وهذه المنهجية، فيرى مدى عظمة هذا الدين، ففى الوصية الأولى: صلاح لجانب العقيدة متمثلة فى عدم الشرك بالله الواحد الحق.

1- الموطَّأ 2- ]الأنعام: 151- 153[.

وفى الوصية الثانية والثالثة: صلاح لجانب الأسرة من حيث الأصل (الوالدين)، والفرع (الأبناء)، وفى الوصية الرابعة والخامسة: صلاح للمجتمع بالبعد عن جريمة الزنا وجريمة القتل، فبالبعد عن الزنا لا تنهار الأسر باختلاط الأنساب ولا تنتشر الأمراض ولا يسقط العفاف، وبالبعد عن القتل لا تنهار المجتمعات، ويتحقق الأمن، الذى تفتقده الأمم الآن، فى ظل البعد عن شرع الله الموصى به فى الأديان الثلاث، وفى الوصية السادسة والسابعة: صلاح أخلاق الأمم المتبعة لشريعة الرحمن بالتكافل الاجتماعى ورعاية حق الضعفاء واليتامى، وحسن المعاملة بعدم الغش وتطفيف الكيل والميزان، وفى الوصية الثامنة والتاسعة: نجد قيم العدل ومكارم الأخلاق، قولٌ بالعدل ولو على النفس، ووفاءٌ بالعهد مع الله ومع الناس ومع النفس، وفى الوصية العاشرة والأخيرة: دعوة إلى اتباع منهج الله القويم لما فيه من صلاح الأمم فى حياتها ونجاحها فى آخرتها، والبعد عن سبل الشياطين، وطرق الضلال ومناهج المبطلين ووسائل المنحرفين.. فما أعظمها من وصايا وأجلَّها من آيات، وما أفضله من منهاج، وما أنجعه من علاج، فهى الدواء الشافى، والعلاج الكافى، والمنهج الوافى، والحصن الواقى، منهج جمع فى طياته بين الربانية والإنسانية، والواقعية والمثالية، والثبات مع المرونة، كما فيه الوضوح والشمولية.(1)، وتأكيداً من الله على صحيح المنهج الإسلامى، فقد ساق مثل تلك الآيات مع شىء من التفصيل فى سورة الإسراء (22-39).

ولو جمعنا أقوال صاحب الرسالة – محمد - فى التحلِّى بالأخلاق الزكية لخرجنا بسفْر لا يُعرف مثله، لعظيم من أئمة الإصلاح.

وفى هذا الصدد يأتى كلام (هانس كونج) (2) ليؤكد على ما ذكرناه قائلاً فى كتابه (القيم الأخلاقية المشتركة للأديان): "لقد قام (أصغر على)، وهو عالم هندى رائد، بمقارنة بين الإعلان الصادر عن برلمان أديان العالم فى عام 1993 بصدد الأخلاق العالمية، وبين رسالة القرآن، وقد توصل إلى نتيجة بليغة هى: " أن الإعلان بصدد الأخلاق العالمية يتوافق تماماً مع روح الإسلام"، وأخذاً بالرؤى النابعة من دراسته، سأصف بشكل موجز كيف أن الواجبات الأخلاقية الأربعة الأولية الموجودة فى كل التقاليد الدينية والفلسفية العظمى لها أيضاً أرضية ثابتة فى القرآن (الكتاب المقدس لدى المسلمين)، وسوف ألتزم بالمقولات الجوهرية لإعلان 1993 بصدد الأخلاق العالمية، والتى يؤكدها "نداء لمؤسساتنا الرائدة" الصادر عن برلمان أديان العالم فى كيب تاون، جنوب أفريقيا عام 1999، وأخيراً تقرير تجاوز الشقاق. الحوار بين الحضارات الصادر عام 2001.

1- الوصايا العشر الكرام من سورة الأنعام/د.عمر بن عبد العزيز القرشى.

2-...هو الكاهن الكاثوليكى وعالم اللاهوت الرومانى، وقد شغل منصب رئيس مؤسسة الأخلاق العالمية، ومستشاراً لاهوتياً رسمياً لمجلس الفاتيكان الثانى الذى عينه البابا جون الثالث والعشرون فى الفترة ما بين 1962- 1965).

**الواجبات الأخلاقية الأربعة وعلاقتها بالقرآن والإسلام:**

**- ثقافة اللاعنف واحترام الحياة:**

"احترم الحياة"– "لا ينبغى أن تقتل، أن تشوه، أن تمارس التعذيب، أن تنتهك"!

احترم الحياة، الحياة برمتها، هو أمر له جذور عميقة فى الأخلاق الإسلامية، فالقرآن ينص على أن قتل إنسان برىء هو فعل مساو لقتل البشرية جمعاء:{مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}.(1)، واهتمام الرسول بالحيوان والطبيعة ينبع ويثبت فى الأحاديث النبوية.

**-** **ثقافة التضامن والنظام الاقتصادى العادل:**

تعامل بأمانة وعدل – "لا ينبغى أن تسرق، أن تستغل، أن ترتشى، أن تشترك فى أعمال الفساد".

بالنسبة للأخلاق القرآنية، العدل هو خُلُق محورى للغاية لدرجة أن الشخص العادل فقط هو من يصبح مؤمناً حقاً، "أنت يا من التزمت بالإيمان! كن دوماً مخلصاً لولائك لله، راقب ضميرك الحق وكن عادلاً؛ ولا تدع كراهية أى شىء تقودك إلى خطيئة انحرافك عن العدالة. كن عادلاً: إن هذا هو الأقرب لخشية الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}.(2)، فلا يمكن لنظام اجتماعى غير عادل أن يكون نظاماً إسلامياً. إذ يطالب القرآن بتوزيع الفائض عن احتياجك الفعلى على الفقراء والمحتاجين: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا}.(3)، وإن الزكاة الإلزامية لهى ركن من أركان الإسلام الخمسة.

**- ثقافة التسامح والحياة الصادقة:**

تحدث وتعامل بصدق –"لا ينبغى أن تكذب، أن تخدع، أن تحرف، أو أن تتلاعب".

إن الإخلاق القرآنية مبنية بشكل أساسى على مبدأ الصدق، إن (الحق) هو أحد أسماء الله وهو فى الوقت ذاته قيمة محورية فى الإسلام كالعدالة. وإن النظام الاجتماعى العادل لا يمكن أن يتحقق بدون الصدق كمبدأ أساسى ضرورى:{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}.(4)

1- ]المائدة: 32[. 2- ]المائدة: 8[. 3- ]النور: 22[. 4- ]البقرة: 177[.

**- ثقافة الحقوق المتساوية والشراكة بين الرجال والنساء:**

" أحبا واحترما كل منكما الآخر"، "ولا تستغل جنسياً"، لا تخدع، لا تذل، لا تغتصب.

فالإسلام يتعامل مع النساء والرجال على قدم المساواة: "حقوق الزوجات (بالنسبة لأزواجهن) هى مساوية لحقوق الأزواج بالنسبة لهن، على الرغم من أن الرجال لهم الأسبقية عليهن (فى هذا الشأن): {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ}.(1)

يظهر مبدأ الإنسانية لكل فرد، وهو المبدأ الأول فى الأخلاق العالمية، فى المقولات الأساسية للقرآن: لقد اختار الله الإنسان قبل كل المخلوقات الآخرى، وترك لهم حرية التحكم على الأرض، وإن القاعدة الذهبية الخاصة بالتبادل قد انتقلت إلى السنة: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".(2)

إن كل ذلك هو بشكل واضح تراث مشترك بين الأديان الإبراهيمية الثلاثة، حيث يمكننا التغلب على العديد من الخلافات المريرة إذا ما استلهمنا هذه الروح... وإن هذا ليبدو تاريخياً محدداً فى الكود الإسلامى المعروف للمسئوليات فى السورة السابعة عشر (الإسراء) الآيات من (22-38)". أ.هـ(3)

وفى تلك السطور نثبت طرفاً من دعوة نبى الإسلام الحارة، إلى محامد الأخلاق، ومحاسن الشيم.. حيث قال النبى محمد : "إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا".(4)، وقال: "إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار".(5)، وقال: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِى نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ".(6)، وقال: "ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق".(7) وقال: "أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وأكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج".(8)

فتلك الأقوال لنبى الإسلام محمد، والتى كانت تحض كلها على حسن الخلق، وغيرها مما سبق وذكرناه من الوصايا العشر من سورة الأنعام، وما أشار إليه (هانس كونج) من الواجبات الأخلاقية وثبوت أرضيتها السابقة فى القرآن... إن هذا كله لهو المنهج الإسلامى الذى دل عليه رسول الله محمد  بقولته الجامعة: "إنما بُعِثتُ لأُتمَّمَ مكارمَ الأخلاقِ".

ولما لا وقد قال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت \*\*\* فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

1- ]البقرة: 228[ 2- \*\*\*\*\*\*\*\* 3- هانس كونج (القيم الأخلاقية المشتركة) ترجمة/ رانيا خلاف.

4- البخارى. 5- صححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة 6- مسلم

7- ابو داوود 8- السلسلة الصحيحة للألبانى.

# الباب الثانى/ الحضارة

* ***الفصل الأول: الحضارة والإسلام***
* ***الفصل الثانى: الإسلام وصراع الحضارات.***
* ***الفصل الثالث: اسقاط نظرية صراع الحضارات.***
* ***الفصل الرابع: الإسلام والغرب***

# الفصل الأول: الحضارة والإسلام

**- تعريف الحضارة**

الحضارة: هى جملة مظاهر الرُّقِى العلمى والفنى والأدبى والاجتماعى فى مجتمع من المجتمعات، أو فى مجتمعات متشابهة.. فهى مرحلة سامية من مراحل التطور الإنسانى.

**- أسس الحضارة فى الإسلام**

كانت فترة ظهور الإسلام هى الفترة التى أعادت صياغة الإنسان فى الجزيرة العربية، وأرست لبنات حضارة جديدة أخرجت الناس من الظلمات إلى النور، ووضعت الأساس لبناء الإنسان فى الإسلام. وكان الوحى هو الذى يعيد صياغة الفرد فى معتقداته وأفكاره، ويزكيه، وينشىء الروابط، ويؤسس الصرح الذى يقوم عليه بناء الأمة. وصدق الله العظيم إذ يقول: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ.. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ..}.(1)

**- ومن أبرز الأسس التى قامت عليها الحضارة الاسلامية:**

**عقيدة التوحيد:** حيث أرسى الإسلام مفهوماً للتوحيد عندما خاطب مشركى مكة ذاكراً لهم إنه لا يكفى ما هم عليه من توحيد الربوبية، أى: الإقرار بأن الله هو رب كل شىء وخالق كل شىء، بل لابد أن يقترن هذا الإقرار بالتوجه بالعبادة لله وحده لا شريك له من مخلوقات الله. وقد ترتب على هذا الاقرار آثار ايجابية فى بناء المسلمين، لأن الناس عندما يُقبلون على الخضوع لله وحده فإنهم سيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويجاهدون فى سبيله لإرساء قيم الحق والعدل والمساواة والكرامة والعلم النافع.

**العدل:** وقد ركزت نصوص القرآن والسنة على قضية العدل، فمن الأمثلة القرآنية قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ}.(2)، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.(3)

وقوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}.(4)

ومن الأمثلة الواردة فى السنة النبوية؛ قول الرسول :"إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن عز وجل –وكلتا يديه يمين– الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا".(5)

1- ]المائدة: 15- 16[. 2- ]النحل: 90[ 3- ]المائدة: 8[

4- ]النساء: 58[. 5- رواه مسلم.

**- العلم:** حيث جاء الإسلام ليُعيد ترتيب العقل الإنسانى، ثم يُطلقه ليعرف ربَّه من خلال آياته فى الكون والنفس، فإن أول ما نزل به الوحى على النبى محمد . قول الله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}(1).، وهو يختص بالعلم، ومما يدل على اهتمام الإسلام بالعلم أن النبى  جعل فداء أسرى بدر؛ تعليم الواحد منهم عشرة من أبناء الأنصار القراءة والكتابة، هذا وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة فى الحث على تحصيل العلم النافع، مما كان له أثر فعال فى بناء الحضارة الإسلامية.

**- الأخلاق الفاضلة:** إذ أن القرآن الكريم دستور شامل لتربية الأفراد والجماعات تربية صحيحة فى شتى مجالات الحياة، والنبى  يقول:" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(2).، فجعل إتمام مكارم الأخلاق هدفاً لبعثته.

**- العمل:** وهو الذى يشيِّد صرح الحضارة. والإسلام يدعو للعمل بل هو دين عملى، ونبى الإسلام كان يتعوذ من العجز والكسل.

ولقد حث الإسلام الناس على عمارة الأرض فى شتى الميادين انطلاقاً من قول الله عز وجل: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}(3).، ومن قوله:{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}(4).،والأحاديث النبوية التى تدعو للعمل والسعى من أجل طلب الرزق وعمارة الأرض كثيرة جداً، وهى التى دفعت المسلمين لإقامة حضارة عالمية جعلتهم فى طليعة الشعوب الحضارية.

فهذه هى أسس الحضارة الإسلامية وهى تمثِّل المبادئ الإصلاحية التى تضمَّنها الدين الإسلامى. وبتلك المبادئ أرسل الله رسوله محمداً  لتنظيم هذا العالم وإصلاحه، وقيادته إلى الطريق السليم الذى يوجِّهه إلى الخير والسعادة، وينأى به عن الشر والشقاء.(5)

**خصائص الحضارة الإسلامية:**

من أهم خصائص الحضارة الإسلامية أنها حضارة التوازن والوسطية بحيث جمعت بين العلم والدين وبين الروح والمادة ولم تفرِّق بين الدنيا والآخرة، وهذا فى حقيقة الأمر يميِّزها عن الحضارات الأخرى التى أكثر ما عنيت بالجانب المادى من الحياة، والجانب الجسدى والغريزى من الإنسان، فجعلت إشباع اللذات العاجلة من الدنيا أكبر همَّها ومبلغَ علمها، ولم تجعل لله ولا للآخرة مكاناً مذكوراً فى فلسفتها وفى نظامها الفكرى والتعليمى.

1- ]العلق: 1[ 2- سنن البيهقى 3- ]الملك: 15[ 4- ]التوبة: 15[

5-- الإسلام والغرب /د.صفوت مصطفى خليلوفيتش/ ترجمة د. هدير أبو النجا.ص104

فالحضارة الإسلامية قد وصلت الإنسان بالله، وربطت الأرض بالسماء، وجعلت الدنيا للآخرة، ومزجت الروح بالمادة، وحرصت على السُّمُوِّ الأخلاقى حِرصها على الرُّقِىِّ المادى. ولذلك كانت –بحق- حضارة روحية مادية، مثالية واقعية، ربانية إنسانية، أخلاقية عمرانية، فردية جماعية، أى: كانت حضارة التوازن والوسطية، التى قامت عليها أمة وسط، كما وَصَفَهَا الله تعالى فى قوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}.(1)

ومن هنا كان من مظاهر الحضارة الإسلامية أنها استطاعت أن تؤثر تأثيراً كبيراً فى جميع الشعوب التى خضعت للدولة الإسلامية، بل إن الثقافة الإسلامية قد طغت على الثقافة الأصلية للشعوب التى انتشرت فوق ربوعها راية الإسلام. ومن أعجب العجائب أن يتم هذا التحول الفكرى العظيم بدون إكراه أو إجبار، ولهذا نجد كثيراً من الباحثين يأخذهم العجب حين يجدون أن ما عجز عنه الأغارقة والفرس والرومان عندما خضع لهم الشرق، قد قدر عليه المسلمون، فتلك الحضارات التى أخضعت الشرق لها،لم تستطيع أن تؤثر فى عقائد الشعوب ولا فى لغاتها، ولا فى ثقافتها، فى حين أن المسلمين قد استطاعوا أن ينشروا حضارتهم وثقافتهم ودينهم ولغتهم فى البلاد التى فتحوها، وأصبحت هذه الشعوب فيما بعد تنشر رسالة الإسلام، وتدعو بدعوة القرآن، وتتكلم بلغة العرب والإسلام.

وقد أشار العالم الفرنسى الشهير الدكتور (غوستاف لوبون) إلى هذه الظاهرة بقوله: "ومن ذلك أن مصر الذى كان يلوح أنها أصعب أقطار العالم إذعاناً للمؤثرات الأجنبية، نسيت فى أقل من قرن واحد مرَّ على فتح عمرو بن العاص لها، ماضى حضارتها الذى دام نحو سبعة آلاف سنة، معتنقة ديناً جديداً، ولغةً جديدة، وفنَّاً جديداً، اعتناقاً متيناً دام بعد تواري الأمة التى حملتها عليه".(2)

وترجع هذه النتائج المذهلة التى حققتها الحضارة الإسلامية إلى عدة أمور، منها: مصدرها الإلهي، ومقوماتها الفكرية، ونزعتها الإنسانية، وشمولها الثقافى، وحيويتها النابضة، ومنهجها العلمى، مما جعلها تُمثِّل الأمل الذى كانت الشعوب تتطلع إليه، ولذلك ارتضت الشعوب المختلفة –ذات الحضارات المتباينة- أن تتخلى عن ثقافتها الأصلية وعقائدها السابقة، وتدخل فى الإسلام فتكون عقيدته ديناً لها، وتكون تعاليمه لها شريعةً ومنهاجاً، وتكون لغة القرآن هى لغتها الأصلية.

ومن خصائص الحضارة الإسلامية أنها أشاعت روح العدل والإنصاف والتسامح بين الناس، وكان من ثمرات ذلك أن يتعايش الناس –ذو العقائد المختلفة والأجناس المتباينة- متجاورين، يسودهم الأمن والسلام والمحبة، فتجاور المسجد والكنيسة والمعبد فى كل قُطرٍ، بل فى كل مدينة إسلامية، وليس ذلك إلا لأن تعاليم

1- ]البقرة: 143[ 2- الإسلام والغرب /د.صفوت مصطفى خليلوفيتش.ص106

الدين الإسلامى الحنيف تقول: إنه لا يجوز إجبار أحد على تغيير دينه ومعتقده، فحرية الاعتقاد مكفولة فى ظل النظام الإسلامى، والله تعالى يقول: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.(1)

وبعد هذا العرض السريع لأسس وخصائص الحضارة الإسلامية، نجد أنه من الضرورى فى هذا المقام أن يشهد للإسلام من ليس بمسلم... فهذا تصريح لولى العهد البريطانى (الأمير تشارلز). فى خطاب ألقاه بجامعة أكسفورد. حيث قال: "إذا كان هناك سوء فهم فى الغرب حول الإسلام وطبيعته، فيجب القول إن هناك كثيراً من الجهل أيضاً حول حجم دين ثقافتنا وحضارتنا للحضارة الإسلامية، وفى اعتقادى إن هذا الفشل نشأ من حقيقة الصراع مع الإسلام، ولأننا كنا ننظر إلى الإسلام كعدو للغرب وكثقافة غريبة عنا، فإننا تجاهلنا الحضارة الإسلامية وأهميتها لتاريخنا".(2).

وإن صدر هذا الكلام عن ولى عهد بريطانيا فى زماننا هذا، فقد كان لتقدم العرب المسلمين فى كل فروع العلوم فى الأندلس شأواً بعيداً مما دفع ملك إنجلترا أن يكتب للخليفة (هشام بن الحكم) فى قرطبة (366-399هـ)- أى فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى- ما نصه: (صاحب العظمة هشام.. بعد التعظيم والتوقير، فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يجتاحها الجهل بين أركانها الأربعة.. وقد وضعنا ابنة شقيقنا (دوبانت) على رأس بعثة بنات الإنجليز لتشرف بكم فى ظل عرشكم والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وقد

أرفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل، أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص).. من خادمكم– جورج (3)

فما أشبه الحفيد بالجد الأكبر وولى العهد بالملك ذاته، ولما لا وقد بلغت حضارة الأندلس الإسلامية ذروتها، فكان الازدهار العلمى والثقافى مستمراً فى الحواضر العلمية التى تدور فى ذلك كقرطبة وأشبيلية وسرقسطة، حيث سجل التاريخ تقدم الأندلس فى فنون الزراعة والطب والرياضيات والهندسة والصناعة وأيضاً فى التعدين والعمران، وآثارهم شاهدة الآن على ذلك.(4)

1- ]البقرة: 256[ 2-إسقاط نظرية صراع الحضارات/ عزيز فهمى. ص234.

3- النهضة العلمية والفكرية عند المسلمين وأثرها فى التنوير الأوروبى/ عبد المنعم أحمد ص21-نقلا عن (الإستذكار/ ابن عبد البر)

4- النهضة العلمية بتصرف.

إن الحضارة الإسلامية كانت البوتقة التى انصهرت فيها المعرفة الإنسانية السابقة على الإسلام والمواكبة له فى الصين والهند وفارس، فأقام الإسلام حضارة عظيمة، وطور العلماء المسلمون العلوم، وأضافوا إليها فروعاً جديدة مثل الجبر والبصريات والجراحة والكيمياء وغيرها، وبينما أطلق علماء عصر النهضة الأوروبية على تاريخ قارتهم إبان العصور الوسطى "العصور المظلمة" كانت ديار الإسلام بحق هى منارة العلم والمعرفة فى القرون الوسطى، فى بغداد والأندلس والقاهرة وصقلية، وكانت اللغة العربية هى لغة البحث العلمى والتأليف (800-1400م)، كما هو الحال للغة الإنجليزية الآن.(1)

ويقول الباحث (عبد المنعم أحمد) (2): "إن الغرب ينظر إلى الحضارة المادية، ولكن الحقيقة أن كل حضارة تقوم على عنصرين أساسين.. أخلاقية ومادية.. كلاهما بوتقة واحدة.. إذا غابت الحضارة الأخلاقية، فلابد فى يوم ما، أن تزول الحضارة المادية.. فالإسلام ربط بين العنصرين..". (3)

ورداً على (هنتنجتون) (4)، وغيره: "إن الحضارات غير الغربية متخلفة، وتعوق تطور المجتمع إذ ليس بها عناصر صالحة للبقاء.. ولكى تتقدم هذه الشعوب عليها أن تتخلى جبراً عن حضارتها وأن تلم بالحضارة الغربية؛ لأنها أكثر صلاحية من الإسلامية، ومن الأرثوزكسية والبوذية... ليس هناك حضارة غير البروتستنتية"... يقول الدكتور (صوفى أبو طالب)-أستاذ القانون فى مصر-: "هذا فكر عنصرى بغيض، فالتاريخ والعلم يؤكدان عِظَم الحضارة الإسلامية فحتى حلول القرن 17كانت اللغة العربية –وهى لغة الحضارة الإسلامية– هى لغة العلم فى أوروبا، بل وفى العالم.. والغرب يعترف ولا ينكر.. ويكفى أنه فى مدخل السوربون بجامعة باريس تمثالان: أحدهما (لابن رشد)، والآخر (لابن سينا)، وتخصص الجامعة الفرنسية أرفع وسامين لابن رشد وابن سينا.. اعترافاً بفضلهما وفضل علماء العرب على أوروبا.. وبفضل قوة الدفع الحضارية الهائلة للإسلام، فلقد استوعب العرب والمسلمون علوم الفرس والإغريق والرومان.. وصححوا وزادوا عليها.. فصنعوا حضارة إسلامية قامت على أكتافها حضارة الغرب حتى القرن 17".(5)

ويقول المؤرخ الأمريكى (ول ديورانت) (6): "ويدين علم الجبر، الذي نجد أصوله في مؤلفات (ديوفانتوس Diophantus) اليوناني من رجال القرن الثالث باسمه إلى العرب، الذين ارتقوا بهذا العلم الكاشف للخبايا، الحلال للمعضلات. وأبرز الشخصيات في هذا الميدان العلمي هي شخصية (محمد بن موسى) (780-850) المعروف بالخوارزمي.. وقد كتب الخوارزمي رسائل قيمة في علوم خمسة: كتب عن الأرقام الهندية، وجمع أزياجاً فلكية، ظلت قروناً كثيرة بعد أن روجعت في بلاد الأندلس الإسلامية هي المعمول بها في جميع البلاد

1- إسقاط نظرية صراع الحضارات/ عزيز فهمى ص 236 2-... رئيس التوجيه العلمى بالأزهر 3- النهضة العلمية ص14

4-...أمريكى، أستاذ العلاقات الدولية بجامعة هارفرد 5- النهضة العلمية ص13 6-...مؤرخ أمريكى، صاحب مجموعة قصة الحضارة.

الممتدة من قرطبة إلى شنغان في الصين؛ وهو الذي وضع أقدم الجداول المعروفة في حساب المثلثات.. وأورد في كتابه "حساب الجبر والمقابلة" حلولاً تحليلية وهندسية لمعادلات الدرجة الثانية.. وقد ترجمه (جرارد الكريمونائي Gerard of Cremona) في القرن الثاني عشر، وظلت ترجمته تُدرس في الجامعات الأوربية حتى القرن السادس عشر، ومنه أخذ الغرب كلمة الجبر وسموا بها ذلك العلم المعروف.

وكذلك اشتهر (ثابت بن قرة) (826-901)، فضلاً عما ترجمه من الكتب الكثيرة، بمؤلفاته في الفلك والطب، وأصبح أعظم علماء الهندسة المسلمين،وكذلك ارتقى (أبو عبد الله البتاني) (850-929) الذى يُعرف عند الأوربيين باسم البتجنس Albategnus، بعلم حساب المثلثات إلى أبعد من مبادئه التي كان عليها في أيام هبارخوسن وبطليموس، وذلك حين استبدل المثلثات بالمربعات في حل المسائل واستبدل جيب الزاوية بالقوس كما كان يفعل هبارخوس. وهو الذي صاغ في حساب المثلثات النسب بالصورة التي نستخدمها الآن في جوهرها.

وكتب (الفرغاني) (حوالي عام 860)-كتاباً في الفلك ظل مرجعاً تعتمد عليه أوربا وغرب آسيا سبعمائة عام..وأوسع منه شهرة البتاني الذي ظل واحداً وأربعين عاماً يقوم بأرصاد فلكية اشتهرت بدقتها واتساع مداها. وقد وصل بهذه الأرصاد إلى كثير من "المعاملات" الفلكية تمتاز بقربها العجيب من تقديرات هذه الأيام.. وهذا الاهتمام العظيم بتصوير السماء قد فاقه اهتمامهم بتصوير أقاليم الأرض لأن المسلمين كانوا يعيشون على فلح الأرض وعلى التجارة في أقاليمها المختلفة. فقد (حمل سليمان التاجر)-الذي عاش حوالي عام (851)-وصفاً لرحلته، كان هو أقدم وصف عربي لبلاد الصين، وكتبه قبل رحلات (ماركو بولو Marco Polo) بأربعمائة وخمسة وعشرين عاماً.

وفي ذلك القرن نفسه كتب (ابن خردذيه) وصفاً لبلاد الهند، وسيلان، وجزائر الهند الشرقية، وبلاد الصين، ويبدو أنه اعتمد فيما كتب على رحلاته في تلك البلاد وما شاهده فيها بنفسهِ... ووصف (ابن حوقل) بلاد الهند وإفريقية، وكتب أحمد اليعقوبي، من أهل أرمينية وخرسان في عام (891 ) كتاب البلدان الذي وصف فيه الأقطار والمدن الإسلامية وكثيراً من الدول الأجنبية وصفاً خليقاً بالثقة... وزار (محمد المقدسي) جميع البلاد الإسلامية فضلاً عن بلاد الأندلس، ولاقى في أثناء رحلاته كثيراً من الشدائد، ثم كتب عام (985)كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وهو أعظم كتاب في معرفة جغرافية البلاد الإسلامية قبل كتاب البيروني عن الهند.(1)

1- قصة الحضارة/ول ديورانت/ترجمة محمد بدران( المجلد السابع ج13 طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ص185:181)

ويواصل (ديورانت) قائلاً: ويمثل (أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني) (973-1048م) العالِم الإسلامي في أحسن صورة له. فقد كان البيروني فيلسوفاً، مؤرخاً، ورحالة، وجغرافياً، ولغوياً، ورياضياً، وفلكياً، وشاعراً، وعالماً في الطبيعيات، وكانت له مؤلفات كبيرة وبحوث عظيمة مبتكرة في كل ميدان من هذه الميادين. وكان عند المسلمين كما كان (ليبنتز)، ويوشك أن يكون كما كان (ليوناردو دافنشي)، عند الغربيين.. ويكاد المسلمون يكونون هم الذين ابتدعوا الكيمياء بوصفها علماً من العلوم.. وكان أشهر الكيميائيين المسلمين جابر بن حيان (702-765) المعروف عند الأوربيين باسم جيبير Gebir. وكان (جابر بن حيان) كوفي، اشتغل بالطب.. وقد ترجم كثير من المؤلفات إلى اللغة اللاتينية. وكان لها الفضل في تقدم علم الكيمياء في أوروبا، ولم يكن لدينا إلا القليل من بقايا علم الأحياء عند المسلمين في ذلك العصر. ومن هذه الآثار كتاب النبات (لأبي حنيفة الدينوري) الذي رجع فيه إلى مؤلفات (ديوسقوريدس) ولكنه أضاف فيه إلى علم الصيدلة عقاقير أخرى كثيرة.. وكان من أقوى فروع الطب الإسلامى هو الطب العلاجي وخواص العقاقير الطبية.. وكان من أهم الأعمال التجارية بين إيطاليا والشرق الأدنى استيراد العقاقير العربية. وكان المسلمون أول من أنشأ مخازن الأدوية والصيدليات، وهم الذين أنشأوا أول مدرسة للصيدلة، وكتبوا الرسائل العظيمة في علم الأقرباذين. وكان الأطباء المسلمون عظيمي التحمس في دعوتهم إلى الاستحمام، وخاصة عند الإصابة بالحميات، وإلى استخدام حمام البخار؛ ولا يكاد الطب الحديث يزيد شيئاً على ما وصفوه من العلاج للجدري والحصبة،.. وأعظم أطباء العيون المسلمين هو (على بن عيسى)، وقد ظل كتابه (تذكرة الكحالين) يدرس في أوربا حتى القرن الثامن عشر.(1)

وأشهر أطباء هذه الأسرة الرحيمة عن بكرة أبيها هو (أبو بكر محمد الرازي) (844-926) والذى اشتهر بين الأوربيين باسم (رازيس Rhases)... وقد ألف 131 كتاباً نصفها في الطب.. ومن أشهر كتبه كتاب الحاوي وهو كتاب في عشرين مجلداً، ويبحث في كل فرع من فروع الطب. وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية وسمي Liber cntinens، وأغلب الظن أنه ظل عدة قرون أعظم الكتب الطبية مكانة، وأهم مرجع لهذا العلم في بلاد الرجل الأبيض، وكان من الكتب التسعة التي تتألف منها مكتبة الكلية الطبية في جامعة باريس عام 1394م. وكانت رسالته في الجدري والحصبة آية في الملاحظة المباشرة والتحليل الدقيق، كما كانت أولى الدراسات العلمية الصحيحة للأمراض المعدية، وأول مجهود يبذل للتفرقة بين هذين المرضين...

1- قصة الحضارة ص188-191

وفي وسعنا أن نحكم على ما كان لهذه الرسالة من بالغ الأثر واتساع الشهرة إذا عرفنا أنها طبعت باللغة الإنجليزية أربعين مرة بين عامي 1498، 1866... وأشهر كتب (الرازي) كلها كتاب طبي في عشر مجلدات يسمى "كتاب المنصوري" أهداه إلى أحد أمراء خرسان. وقد ترجمه (جرار الكريمونى) إلى اللغة اللاتينية. وظل المجلد التاسع من هذا الكتاب وهو المعروف عند الغربيين باسم (Nonus Almansoris) متداولاً في أيدي طلاب الطب في أوربا حتى القرن السادس عشر.. ولقد كان الرازي بإجماع الآراء أعظم الأطباء المسلمين وأعظم علماء الطب السريري (الإكلينيكي) في العصور الوسطى... وقد علقت في مدرسة الطب بجامعة باريس صورتان ملونتان لطبيبين مسلمين هما: (الرازي وابن سينا)... وكان (أبو علي الحسين بن سينا) (980-1037) أعظم فلاسفة الإسلام وأشهر أطبائه، وتشهد سيرته التي كتبها بيدهِ بكثرة ما كان يحدث في العصور الوسطى من تقلب في حياة العلماء والحكماء.. وقد تعلم الطب من غير مدرس، وأخذ وهو شاب يعالج المرضى من غير أجر، وشَفى وهو في السابعة عشر من عمرهِ (نوح بن منصور) أمير بخارى من مرضهِ.(1)،.. وقد ترجم كتاب إقليدس في الهندسة ووضع عدة أزياج فلكية، وابتكر آلة شبيهة بالورنية المعروفة عندنا اليوم. وله دراسات مبتكرة في الحركة، والطاقة، والفراغ، والضوء، والحرارة، والكثافة النوعية. وله رسالة في المعادن بقيت حتى القرن الثالث عشر أهم مصادر علم طبقات الأرض عند الأوربيين... ولابن سينا كتابان يشتملان على تعاليمهِ كلها، أولهما: (كتاب الشفاء) شفاء النفس، وهو موسوعة في ثمانية عشر مجلداً في العلوم الرياضية، والطبيعة، وما وراء الطبيعة، وعلوم الدين، والاقتصاد، والسياسة، والموسيقى؛ وثانيهما: (كتاب القانون) في الطب، وهو بحث ضخم في وظائف الأعضاء، وعلم الصحة، والعلاج، والأقرباذين، وهو حسن التنسيق يرقى في بعض الأحيان إلى درجة كبيرة من البلاغة... وحل كتاب (القانون) بعد أن ترجم إلى اللغة اللاتينية في القرن الثاني عشر محل كتب (الرازي وجالينوس)، وأصبح هو الذي يعتمد عليهِ في دراسة الطب في المدارس الأوربية. وقد احتفظ فيها بمكانتهِ العالية، وظل الأساتذة يشيرون على الطلاب بالرجوع إليه في جامعتي منبلييه ولوفان إلى أواسط القرن السابع عشر.(1)

وجملة القول أن (ابن سينا) أعظم من كتب في الطب في العصور الوسطى، وأن الرازي أعظم أطبائها، (والبيروني) أعظم الجغرافيين فيها، وابن الهيثم أعظم علمائها في البصريات، (وجابر بن حيان) أعظم الكيميائيين فيها. تلك أسماء خمسة لا يعرف عنها العالم المسيحي في الوقت الحاضر إلا القليل، وإن عدم معرفتنا إياها ليشهد بضيق نظرتنا وتقصيرنا في معرفة تاريخ العصور الوسطى. وليس في وسعنا مع هذا أن نحاجز أنفسنا عن

1- قصة الحضارة. ص192، 196

القول بأن العلوم العربية كثيراً ما تلوث بالأوهام شأنها في هذا شأن سائر العصور الوسطى وأن تفوقها جميعًا-عدا علم البصريات-يرجع إلى التركيب والبناء من النتائج التي تجمعت لديها أكثر من تفوقها في الكشوف المبتكرة أو البحوث المنظمة؛ لكنها مهما يكن قصورها في هذه الناحية قد نمت في علم الكيمياء الطريقة التجريبية العلمية، وهي أهم أدوات العقل الحديث وأعظم مفاخره. **ولما أن أعلن (روجر بيكون) هذه الطريقة إلى أوربا بعد أن أعلنها جابر بخمسمائة عام كان الذي هداه إليها هو النور الذي أضاء له السبيل من عرب الأندلس، وليس هذا الضياء نفسه إلا قبساً من نور المسلمين في الشرق**".(1)

وبعد عرضنا لبعض ما قاله (ول ديورانت) لا ننسى أن نذكر قول المؤرخ الغربى ) (Perler فى كتابه (التطور الفكرى فى أوروبا): "**أريد أن أُعرب عن نقمتى وأسفى الشديد للطريقة المنظمة لإخفاء فضل المسلمين علينا فى العلوم الكونية، لقد ترك العربى المسلم طابعه الفكرى فى أوروبا وكُتبه لا تمحى**".... وها هى شهادة حق أخرى ذكرها (روجر بيكون) فى أكسفورد: "**إن وجود الفكر الأوروبى كان مستحيلاً لولا وجود المعارف العربية، لقد دعيت أوروبا فجأة إلى الحياة بعد أن ظلت فى ظلمات الجهل خمسة قرون، وهى مدينة للعالم الإسلامى**".(2)... وكذلك جاء المستشرق (كريستوفر داوسون) فى كتابه أصول (أوروبا والمدنية الأوروبية)..ليقول: "**وعن العرب أخذت أوروبا الغربية الأصول العلمية.. وكانت الحركة العلمية فى العالم لأكثر من أربعة قرون بأيدى الشعوب الإسلامية، ويرجع الفضل إلى الإسلام نفسه**".(3)... وفى هذا الصدد يقول (مارسيل بوازار): "**إن الموضوعية التاريخية، بل مجرد العدل يدفع إلى التذكير بأن الحضارة التى تعهدت الثقافة المتوسطية خلال القرون السابعة التى تتألف منها القرون الوسطى كانت الحضارة الإسلامية**".(4)

ويشير (محمد أسد) (5) إلى أن الإسلام دفع المسلمين الأوائل إلى أعلى قمم الحضارة عندما سهل عليهم فهمه واستيعاب حقيقة الخلق ومفهوم الرب، فلم يطلب منهم فهم حقائق صعبة بعيدة عن المنطق البشرى، لذا لم تدفعهم الرغبة فى المعرفة -التى عرف بها المسلمون فى صدر الإسلام- إلى الدخول فى معارك فكرية ضد الدين كما حدث مع أمم أخرى، بل على العكس من ذلك فقد أصَّل الإسلام الرغبة فى المعرفة وجعلها فرضاً أساسياً من فروض الدين حيث يقول النبى محمد : "طلب العلم فريضة على كل مسلم ".(6)، فأيقن المسلمون أنه عن طريق العلم وحده يمكنهم عبادة ربهم حق عبادته، فعندما يقرأ المسلمون قول الرسول الكريم: "ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله".(7)، يدركون أن البحث العلمى مطلوباً للوصول إلى الدواء، وأن البحث سيساعد الإنسان على تطبيق مشيئة الله على الأرض، ومن ثَم اكتسب البحث العلمى قداسةَ لارتباطه بالفروض الدينية، ويقرأ المسلمون فى القرآن قول لله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}.(8)، فتدفعهم الرغبة فى فَهم هذه الآيات إلى البحث فى الكائنات الحية وتطورها فينشأ من أبحاثهم علم الأحياء.

1- قصة الحضارة ص196 2- النهضة العلمية ص24،25 3- المرجع السابق.ص34

4- نبوة محمد.ص210-نقلاً عن(إنسانية الإسلام/مارسيل بوازار)

5-...هو(ليوبلد فايس)نمساوى،عمل مراسل صحيفة فرانكفورت زيوتنج الألمانية عن منطقة الشرق الأوسط.

6- شعب الإيمان/للبيهقى 7- سنن البيهقى

8- ]الأنبياء: 30[

ويشير القرآن إلى التناغم بين النجوم وحركتها كدليل شاهد على عظمة الخالق، فيدفع البحث فى هذه المجالات المسلمين إلى وضع أساسيات علوم الرياضيات والفلك.

فالإسلام يخرج بمفهوم العبادة من قالب الصلاة إلى أفق البحث والمعرفة، بينما ينحصر مفهومها فى الأديان الأخرى فى مفهوم ضيق... وفى القرن السادس عشر عندما عرفت أوربا نظام المجموعات الشمسية ودورانها حول الشمس عادته\* الكنيسة واعتبرته مخالفاً للإنجيل، فى حين أن المسلمين كانوا قد وصلوا إلى معرفة نظام المجموعة الشمسية، واستطاع علماء الفلك المسلمون إثبات أن الأرض كروية وعرفوا حقيقة دورانها حول محورها منذ أكثر من ستة قرون، أى: فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين.(2)

ويعزى محمد أسد تفوقهم هذا إلى اتباعهم لِهَدْى النبى محمد  حيث حثَّهم على العلم قائلاً: "مَن التمس طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة".(3)، وكذلك: "إنَّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم".(4)،... ويخلُصُ (أسد) أنه نظراً لهذا الفهم لدور الدين فى الحياة نَبغَ العلماء المسلمون وتألقت الحضارة الإسلامية فى عصورها الأولى ،أى: فى الخمسة قرون الأولى من بعثة النبى، وأصبحت الدولة الإسلامية هى أرض الحضارة والأمان.

وإجمالاً للقول يمكن أن نخلُص إلى: أن الإسلام قد وفر مقومات ازدهار الحضارة التى سطرت صفحة من أعظم صفحات التاريخ الإنسانى.. حيث وجد مسيحيو سوريا وشمال إفريقيا وتبعهم فى ذلك أهل إسبانيا -الذين كانوا يتبعون مذاهب بولين وقسطنطين- وجدوا أنفسهم لأول مرة أمام أفكار تتعارض مع فكرة الخطيئة الأولى ومبدأ دونية الحياة على الأرض، ومن ثَم فقد دخلوا بأعداد متزايدة فى هذه العقيدة الجديدة التى أتاحت لهم فهم حقيقة أن الإنسان هو خليفة الله على الأرض.. ويرى (أسد) أن هذا المفهوم فى حد ذاته هو أحد أسباب ازدهار الحضارة الإسلامية فى أول عهدها.(5)

2- الإسلام والغرب /د.صفوت خليلوفيتش. ص -66 نقلاً عن.[ The road to Mecca 192]/ محمد أسد.3

3- صحيح مسلم 4- الآداب للبيهقى 5- الإسلام والغرب - نقلاًعن.[ The road to Mecca 192]./ محمد أسد.

# الفصل الثانى: الإسلام وصراع الحضارات.

**- د. هنتنجتون وصراع الحضارات.**

لقد نشرت المجلة الأمريكية المرموقة فورين أفيرز مقالة (صمويل هنتنجتون) عن صدام الحضارات. صيف 1993. والتى يطرح فيها صمويل نظرية صراع الحضارات حيث يرى مؤلفها أن الصراع القديم والمنتظر وقوعه إنما هو صراع حضارات، ويقصد بالحضارات الأديان، حيث يكون الصراع المنتظر هو صراع بين الشرق الإسلامى والغرب المسيحى، مثلما كان فى عهد الفتوحات الاسلامية حيث الألفية (632-1683م).

ومنذ نشر هذه المقالة احتل مفهوم صدام الحضارات مكانة مركزية فى المناقشات حول القضايا الاستراتيجية، ومع النجاح الواسع لهذه المقالة، نشر (د.هنتنجتون) كتاب موسع للطرح الذى سبق وأن قدمه فى المقالة.

**ويرجع سبب التحدث عن تلك الأطروحة وهذه النظرية. لعاملين أساسيين هما:**

1- المركز الذى يحتله صاحب النظرية (حيث أن د.هنتنجتون هو: أستاذ العلاقات الدولية بجامعة هارفرد –أعرق الجامعات الأمريكية–، ومفكر استراتيجى أمريكى (وُصِف بأنه أذكى المفكرين السياسيين الأحياء).

2- أن هذه الأطروحة تسيطر على المناقشات الاستراتيجية منذ ما يقرب من خمسة عشر سنة.

ولعل تلك الأطروحة تكمن فى قول (د.هنتجتون) مؤكداً: "يرى بعض الغربيين مثل (بيل كلينتون) أن الغرب ليست لديه مشاكل مع الإسلام لكن مع الإسلاميين المتطرفين العنيفين فقط، بينما أربعة عشر قرناً من التاريخ تثبت العكس، فالعلاقات بين الاسلام والمسيحية كانت دائماً مضطربة، وكل منهما كان آخر الآخر، فى القرن العشرين لم يكن الصراع بين الديموقراطية الليبرالية والماركسية اللينينية سوى ظاهرة تاريخية مصطنعة بالمقارنة مع العلاقات المتوترة باستمرار بين الإسلام والمسيحية".(1)

وبما إن الأطروحة كادت أن تموت فى مهدها لكثرة الانتقادات من كبار المفكرين والسياسيين الغربيين، مسلمين وغير مسلمين، إلا أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر 2001م. أيقظت تلك الفكرة المطروحة وأعطتها قوة قد فقدتها، ومنحت (د.هنتنجتون) ذاته مصداقية أقرب إلى النبوءة، حيث تنبأ بالأحداث قبل وقوعها بما يقرب من ثمان سنوات، وجعلت كتابه منذ هذا الوقت على قائمة أفضل المبيعات عالمياً.

**- تحليل نظرية صراع الحضارات.**

لكى نحكم بصحة أو بطلان تلك النظرية، علينا أن نراجع تحليل بعض العقلاء من المفكرين والسياسيين لها، فعلى سبيل المثال: يقول المحلل الفرنسى (باسكال بونيفاس) (2): "بدون شك يعود النجاح الذى لاقته مقالة (هنتنجتون) إلى أنها تقدم معالجة متطورة لإدراك شائع، خاصة أن لها ميزة تقديم منظور قراءة أيضاً من وجهة نظر أوروبية فيما يبدو متوافقاً مع صراع البوسنة، الأكثر دموية حيث إنها الحرب الأولى فى أوروبا منذ 1945. وهناك فرضية أخرى: هل يعود أيضاً هذا النجاح إلى تطابقها الدقيق مع الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب الباردة؛ وهى البقاء على رأس (العالم الحر) مع تمديد هذا العالم تحت السيطرة الأمريكية، إلى أوروبا الشرقية وفى الوقت نفسه الإبقاء على التحالف مع أوروبا الغربية وأمريكا اللاتينية مع منع ظهور قوى معارضة فى أسيا أو فى الشرق الأوسط؟". (3)

1- الحرب العالمية الرابعة ؟باسكال بونيفاس/ ترجمة أحمد الشيخ ( طبعة مكتبة الشروق الدولية والمركز العربى للدراسات الغربية ص. 23 ).

2-...صحفى وجامعى فرنسى، يرأس معهد العلاقات الدولية والاستراتيجية، وهو من المعلقين البارزين على الأحداث السياسية فى فرنسا.

3- الحرب العالمية الرابعة ؟باسكال بونيفاس.ص25

وبعد عرض (بونيفاس) لأسباب نجاح مقالة (هنتنجتون) مؤكداً سبباً ومفترضاً آخر، يضع سؤالاً مهماً ويجيب عليه وهو: هل تجعل الحروب من الحضارات كيانات تتعارك فيما بينها؟ **لا.**، لأن الحروب الماضية أو الحاضرة وقعت فى الأغلب داخل كتلة حضارية واحدة.ثم يتسائل: وإذا لم يكن الصرب والكروات يشتركون فى العقيدة ذاتها هل يمكن القول أنهم لا ينتمون إلى الحضارة ذاتها؟ ويجيب: الاثنان من السلاف وينطقون اللغة ذاتها وعاشوا طويلاً فى القرى ذاتها، ولديهم العديد من حالات الزواج المختلط.(2)

وهكذا يستمر (باسكال بونيفاس) -فى كتابه (الحرب العالمية الرابعة؟)- فى تفنيد أسباب بطلان نظرية (هنتنجتون) مستدلاً بوقائع من التاريخ على ذلك. قائلاً: "**من السهل الاعتراض على (هنتنجتون) بأن الحربين العالميتين فى القرن العشرين وما صاحبهما من رعب "ناهيك عن الإبادة النازية" لا يمكن إيعازهما للمسلمين. وكذلك حرب فيتنام، وتجاوزات الخمير الحمر، وتأسيس الدكتاتوريات فى أمريكا اللاتينية، وإنشاء وتطوير المعتقلات السوفيتية للمعارضين، وهذيان الثورة الثقافية البروليتارية بالصين، والإبادة الرواندية وحروب البلقان، وإذا كان العالم الإسلامى قد عرف عنفاً سياسياً فهو ليس الوحيد فى هذا الشأن، ويمكن للمرء إذا نظر إلى الصراعات الواقعية الأكثر دموية فى الماضى والحاضر؛ أن يتشكك فى أن الانقسام بين العالم الاسلامى والعالم الغربى كان، حتى هنا، الأكثر حسماً بلغة المصطلحات الصراعية: (هنتنجتون) يتحدث عن "الحدود الدموية للإسلام" لكن هناك أمم أخرى وحضارات أخرى حدودها دموية أيضاً**".(3)

**شبهة: عدوانية الاسلام.**

إذا كان الدكتور (هنتنجتون) قد اتخذ من التوسع العسكرى العربى، ثم العثمانى دليلاً على عدوانية الدين الإسلامى، فهل كانت الشعوب العربية والعثمانية هى الوحيدة التى توسعت عسكرياً فى التاريخ الإنسانى؟ الإجابة **بالنفى طبعاً**، ولكن (د.هنتنجتون) أقام جدران عالية لتفصل بين التوسع العربى والعثمانى العسكرى،

والتوسعات العسكرية لبقية شعوب الأرض، وخاصةً الشعوب الأوروبية والولايات المتحدة.!

2- المرجع السابق.ص 25 3- المرجع السابق.ص24

**وها نحن نضرب** **أمثلةً لهذه الصراعات والتوسعات قبل الإسلام وبعده:**

1- **ما قبل ظهور الإسلام.**

فالإمبراطوريتان الإغريقية والرومانية اللتان يتفاخر بهما الدكتور (هنتنجتون)، قامتا بالتوسع العسكرى واحتلال أراضى شعوب الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فهل اعتبر (د.هنتنجتون) ذلك دليلاً على عدوانية الإغريق أو الرومان أو الأديان التى كانوا يعبدونها؟ وهل اتهم الدين المسيحى بالعدوانية لاحتفاظ الإمبراطورية البيزنطية بممتلكاتها فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بعد اعتناقها الدين المسيحى؟ **بالطبع لا**.(1)

وقد تنافست الشعوب الأوروبية وشعوب شمال أفريقيا على السيادة عبر خط تماس البحر المتوسط، عندما بدأ هذا الصراع أولاً بين الإغريق وقرطاجة فى 480 ق.م، ودام حوالى قرن، ثم استُأنِف بين الرومان وقرطاجة فى 264ق.م، وامتد أكثر من قرن وتحديداً 118سنة، وانتهى هذا التنافس بانتصار الشعوب الأوروبية ممثلة فى الإمبراطورية الرومانية، التى فرضت سيادتها عسكرياً على شعوب شمال أفريقيا، واستمر هذا الوضع حتى الفتح الإسلامى... أما التنافس على السيادة العالمية والإقليمية عبر خط تماس آسيا الصغرى (تركيا) بين شعوب الشرق الأوسط والشعوب الأوروبية، فقد بدأ بقيام الإمبراطورية الفارسية فى550 ق.م، التى فرضت سيادتها على غالبية شعوب الشرق الأوسط وآسيا الصغرى، ثم حاولت مرتين غزو بلاد الإغريق (490\_479 ق.م).(2)

**2- ما بعد انحسار السيادة الإسلامية.**

قد ارتكب (د.هنتنجتون) نفس الخطأ عندما أهمل الصراعات التى جاءت بعد ضعف السيادة الإسلامية، فإبان عصر الهيمنة الأوروبية قام الغريم التاريخى أى الشعوب الأوروبية –بعد انحسار ألفية الصعود الإسلامى (632\_1683م) – بالتوسع العسكرى واحتل أراضى شعوب الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. فهل اتهم (د.هنتنحتون) الشعوب الأوروبية بالعدوانية أو اتهم الدين المسيحى الذى آمنوا به بالعدوانية؟ **بالطبع لا.**(3)

ويكفى أن نتذكر أن الإمبراطورية البريطانية وحدها توسعت عسكرياً بأكثر مما توسعت أى إمبراطورية فى تاريخ الإنسانية، حيث أخضعت **4/1** سكان كوكب الأرض تحت سيادتها، بل كان يطلق عليها الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس، وهى تسميةلم تحظ بها أى إمبراطورية إسلامية أو غير إسلامية، فهل اعتبر (د.هنتنجتون) أن التوسع العسكرى البريطانى دليل على عدوانية الشعب البريطانى أو دينه المسيحى؟ **بالطبع لا**.

1- إسقاط نظرية صراع الحضارات ص 397 2- المرجع السابق ص 66 3- المرجع السابق ص 397

3- **بلد الدكتور هنتنجتون (الولايات المتحدة).**

والمثل الذى نود أن نسوقه هنا يتعلق ببلد الدكتور (د.هنتنجتون)، الولايات المتحدة، وهو يتصل بشكل مباشر بتوظيف الدين المسيحى فى طرد السكان الأصليين من أرضهم فى أمريكا الشمالية أو ما يعرف الآن بالولايات المتحدة الأمريكية. ونقصد بذلك عقيدة )المصير المكشوف(Manifest Destiny وهى العقيدة التى ارتكز عليها المهاجرون الأوروبيون الذين أقاموا الولايات المتحدة وأعلنوا استقلالهم عن التاج البريطانى فى 1776م، وتعود هذه العقيدة إلى 1840م، واستمرت هى القوة المنظمة والفاعلة فى التوسع العسكرى الأمريكى غرباً باتجاه المحيط الهندى على حساب السكان الأصليين الذين سقط منهم ملايين الضحايا بسبب هذه العقيدة، وكانت أحد أوجه هذه العقيدة هى اعتقاد الأمريكيين المتدينين أن الله قدر لهم أن يبسطوا سيطرتهم السياسية والدينية على القارة الأمريكية من المحيط إلى المحيط، وأن السكان الأصليين قوم يعيشون فى ظلام الكفر وأن مهمة الأمريكيين هى تنفيذ مشيئة الله بإدخالهم فى الدين المسيحى أو إزاحتهم من الطريق.(1)

ويقدر المؤرخ الاقتصادى الأمريكى (فرانك جندر) أن سكان الأمريكتين الأصليين عند قدوم (كرستوفر كلوميس) فى 1492م كانوا يبلغون 100 مليون نسمةلم يبق منهم بحلول القرن العشرين سوى 5 مليون. وقد ظلت هذه العقيدة فاعلة فى السياسة الأمريكية طوال القرن التاسع عشر، وتم تفعيلها من جديد فى1890م لاستثمارها فى التوسع العسكرى خارج حدود الولايات المتحدة. (2)

فهل اعتبر (د.هنتنجتون) أن الشعب الأمريكى عدوانى لأنه توسع عسكرياً على حساب السكان الأصليين، ليقيم دولته التى تعد الآن الدولة الأقوى فى العالم؟! وهل اتهم (د.هنتنجتون) الدين المسيحى بالعدوانية، لأنه كان المحرك الرئيسى لعقيدة (المصير المكشوف) التى راح ضحيتها ملايين السكان الأصليين؟ **بالطبع لا**.(3)

4- **الحملات الصليبية.**

وأخيراً ماذا عن الحملات الصليبية (1095- 1293م) على الشرق الإسلامى، التى رفعت شعار الصليب، رغم أن تعاليم الدين المسيحى الغراء تحرم على المسيحييين فعل ذلك، هل اتهم (د.هنتنجتون) هذه الحملات بالعدوانية؟ **بالطبع لا**.(4)

ونحن هنا نترفع عن اتهام الأديان بالعدوانية سواء كان الدين الإسلامى أم المسيحى أم اليهودى، ونترفع عن تبادل الاتهامات مع (د.هنتنجتون) ونظرته الانتقائية للتاريخ الإنسانى، ولكن نود أن نُذكِّر بما توصلنا إليه: أن ما اعتبره (د.هنتنجتون) صراعاً بين الأديان، هو فى حقيقة الأمر تنافس على السيادة العالمية بين الشعوب سواء كانت هذه الشعوب تؤمن بالدين الإسلامى أم الدين المسيحى أم اليهودى.

1- إسقاط نظرية صراع الحضارات.ص398 ( نقلاً عن مقالة عن المصير المكشوف – موسوعة وكابيديا )

2- المرجع السابق – نقلاً عن (The Rise of Dominionism and The Rise of Christian rights )

3- المرجع السابق. ص398 4- المرجع السابق. ص398،399.

**شبهة: حدود الاسلام الدموية.**

كانت النقطة المركزية فى تحليل (د.هنتنجتون) لإقناع المواطن الأمريكى بأن الإسلام هو الخطر الجديد الذى يهدد الغرب المسيحى بعد انهيار الشيوعية العالمية هى: "أن حدود الإسلام كانت باستمرار دموية" وذلك "بسبب الطبيعة العدوانية للإسلام" على حد زعمه. تلك الشبهة التى قمنا بدحضها أعلاه.

فهل كانت حدود الإسلام باستمرار دموية أثناء ألفية الصعود الإسلامى،كما حاول أن يوحى بذلك د.هنتنجتون؟ **الإجابة: لا.**.. لأن (د.هنتنجتون) تعمد تجاهل كل التجارب التى انتشر فيها االإسلام عن طريق الدعوة والقدوة الصالحة والتجارة والمصاهرة، وركز على الفتح العسكرى فقط وكأنه الظاهرة الوحيدة المسئولة عن انتشار الإسلام.

**ويجدر بنا أن نقدم للعقل الغربى بعض النماذج لإثبات زيف ادعاء (د.هنتنجتون) بأن حدود الإسلام كانت باستمرار دموية:**

**1-** **انتشار الإسلام فى النصف الشمالى من أفريقيا.**

فتحت الجيوش العربية شريطاً حدودياً ضيقاً فى شمال أفريقيا عند بداية الفتح (640-710م)، وبحلول القرن الخامس عشر كانت شعوب النصف الشمالى من أفريقيا قد اعتنقت الدين الإسلامى.(1)

فهل انتقل الإسلام من الشريط الحدودى الضيق فى شمال أفريقيا إلى قلب أفريقيا أى نصفها الشمالى بالفتح العسكرى؟ **الإجابة: لا.**.. بل انتشر بالتجارة والدعوة والقدوة الصالحة والمصاهرة على مدى 700 سنة كاملة، كان فيها انتشار الإسلام بطيئاً وتدريجياً، وهذه حقيقة تاريخية أثبتتها الأبحاث التاريخية الحديثة.(2)**.. فأين هى الحدود الدموية للإسلام فى هذه الحالة؟!**

**2- انتشار الإسلام فى جزر جنوب شرق آسيا.**

دخل الإسلام فى جزر جنوب شرق آسيا (أندونيسيا- ماليزيا- الفلبين) عن طريق الدعوة والتجارة والمصاهرة والقدوة الصالحة، وبدون أى فتح عسكرى من أى نوع، حيث دخل الإسلام أولاً إلى سومطره، أكبر جزر أندونيسيا فى القرن التاسع والعاشر الميلادى، عن طريق التجار الهنود المسلمين، وكانت الهندوسية والبوذية هى الديانات السائدة هناك آنذاك.(3)

1- إسقاط نظرية صراع الحضارات ص 382 - نقلاً عن (أطلس تاريخ الإسلام / د. حسين مؤنس)

2- المرجع السابق.ص 382- (من حوار أجراه المؤلف مع نائب مجلس التعليم الإسلامى – بولاية كاليفورنيا).

3- المرجع السابق.ص 383- نقلاً عن (أطلس تاريخ الإسلام / د. حسين مؤنس).

وعن طريق الدعوة والتجارة والمصاهرة والقدوة الحسنة انتشر الإسلام فى كل الجزيرة بحلول القرن الرابع عشر، أى عبر 500 سنة.(1).... **فأين هى الحدود الدموية للإسلام فى هذه الحالة؟!**

ثم انتقل الإسلام من جزيرة سومطره إلى جزيرة جاوه، ثم جزيرة كليمانتان أى ماليزيا الحالية، ثم الفلبين فى القرن الخامس عشر، أى قبل وصول الأسبان واحتلال الجزر فى 1565م وتحويلها إلى الدين المسيحى –المذهب الكاثوليكى-، ويبلغ تعداد أندونيسيا 206 مليون نسمة، حسب تعداد 1988م، وتحتل أندونيسيا المركز الرابع فى العالم من حيث الكثافة السكانية، كما تحتل المركز الأول فى العالم الإسلامى، وتبلغ نسبة المسلمين فيها 83%.كما يبلغ تعداد سكان ماليزيا 19مليون نسمة وتبلغ نسبة المسلمين فيها 53%.... **فأين هى الحدود الدموية للإسلام فى هذه الحالة؟!**

**3-** **دخول الإمبراطورية المغولية الإسلام.**

قد يكون هذا النموذج هو أفضل نموذج يمكن تقديمة للعقل الغربى، لأن المغول انتصروا على الخلافة العباسية، ثم أقاموا أكبر إمبراطورية اتساعاً فى التاريخ الإنسانى. من الصين شرقاً إلى العراق غرباً، حيث قضى المغول على الخلافة العباسية فى 1258م باحتلال بغداد، وهكذا أصبح الإسلام مقهوراًفى أرضه، بعد سيادة دامت 618 سنة (640-1258م)، وأصبح الغازى الجديد أكبر قوة فى العالم آنذاك، ثم اختار الغازى أن يعتنق الإسلام وهو فى قمة إنتصاره وقوته فى 1295م، أى بعد 30 سنة من تأسيس الدولة المغولية، أى أيلخانية فارس التى ضمت إيران والعراق.(2)

ويلخص فيلم وثائقى بعنوان "إمبراطورية الإيمان" أنتجته شبكة PBS الأمريكية عام 2000م دور المغول فى الإسلام كالآتى: "إن التحول الذى جرى مع المغول كان خارقاً للعادة، واستمر تأثيره لفترة طويلة، ففى عقود معدودة من الزمان تحول المغول من قوم يبنون أبراجاً بجماجم ضحاياهم لإرهاب المسلمين قبل غزو بغداد ،ثم تهديم المدن الإسلامية كما حدث فى بغداد، تحولوا إلى أهم بناة للمساجد لتمجيد الله".، جاء ذلك على لسان الدكتورة (فكتوريا هوليروك) أستاذة التاريخ الإسلامى بجامعة أوهايو، ثم أضافت: "إن أهم حقيقة تاريخية عن المغول أن أغلبهم فى نهاية الأمر اعتنقوا الإسلام بعد أن كانوا قوة مخربة للعالم الإسلامى، ثم أصبحوا أهم رواد للمعمار والفن الإسلامى فى تاريخ الإسلام، وعرف عنهم بناء وتزيين المساجد".... **فأين هى الحدود الدموية للإسلام فى هذه الحالة** ؟!(3)

1- إسقاط نظرية صراع الحضارات ص 383 - نقلاً عن (أطلس تاريخ الإسلام/د. حسين مؤنس)

2- المرجع السابق ص384 3- المرجع السابق.

**4-** **الإسلام فى الولايات المتحدة:**

الآن وفى مطلع القرن الواحد والعشرين تؤكد التقاريرالصحفية الازياد المطرد والتاريخى لعدد االمسلمين فى الولايات، وهى حقيقة يعايشها (د.هنتنجتون) بنفسه وليست تجربة سابقة أو تاريخية قد تكون غابت عنه.

وسنضرب لذلك مثلاً واحداً قياساً على زيادة عدد المساجد فى الولايات المتحدة، فقد أفادت دراسة لمجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية CAIR بالاشتراك مع ثلاثين منظمة إسلامية أخرى زيادة عدد المساجد بنسبة 25% بين 1994-2000م حيث أصبح عدد المساجد 1200مسجد بعد أن كان 962مسجد.(1)... وأفادت الدراسة التى صدرت عام 2000م، واهتمت الصحف الأمريكية بها، أن 87%من هذه المساجد بنيت بعد عام 1970 وأكدت (صحيفة النيويورك تايمز) فى تقريرها عن هذه الدراسة أن الجالية الإسلامية الأمريكية بلغت (ستة ملايين نسمة)، وأن تزايد عدد الجالية الإسلامية الأمريكية، سيجعل الإسلام ثانى أكبر ديانة فى الولايات المتحدة بعد الدين المسيحى خلال عقود.(2)... وقد نجح المسلمون فى فعل كل ذلك بالدعوة والمصاهرة والقدوة الحسنة والهجرة، فى وقت وصل فيه المسلمون فى العالم إلى أضعف حالاتهم منذ فجر الإسلام وحتى الآن عبر 1424سنة... **فأين هى الحدود الدموية للإسلام فى هذه الحالة**؟!

وأكد الرؤوساء الأمريكيون (جورج بوش الأب، وبل كلينتون، وجورج بوش الابن)، على أن: "المسلمين الأمريكيين أصبحوا جزءاً أصيلاً من نسيج المجتمع الأمريكى". وهذه حقيقة سياسية ودينية لا يمكن إنكارها أو التقليل من شأنها، لأن تواجد الجالية الأمريكية الإسلامية وتزايد حجمها أهم دليل على عدم عدوانية الإسلام، كما أنها دليل على انتصار الإسلام ووصوله لأبعد بقاع الأرض عن مكان هبوط الوحى.(3)

وفى أحلك لحظات التاريخ الأمريكى، أى بعد أيام معدودة من هجمات 11/9/2001م، وكرد فعل على وقوع بعض أعمال التحرش بالعرب والمسلمين الأمريكيين، توجه الرئيس (بوش) إلى المركز الإسلامى فى واشنطن فى 17/9/2001م ليناشد الشعب الأمريكى عدم الإساءة إلى المسلمين الأمريكيين وقال: "**إن الأمريكيين الذين يسيئون معاملة المسلمين الأمريكيين يجب أن يشعروا بالخزى**"، وأوضح الرئيس (بوش) أن الولايات المتحدة تضم ملايين من المسلمين (6 ملايين) بين مواطنيها، وأضاف: "**أن المسلمين يقدمون للبلاد إسهاماً كبيراً**".، وقال عن الإسلام: "**يجب أن يدرك المواطنون الأمريكيون أن أعمال العنف التى تستهدف أبرياء تنتهك المبادىء الأساسية للدين الإسلامى".** (4)

1- إسقاط نظرية صراع الحضارات 385 2- المرجع السابق ص386. 3- المرجع السابق 3- المرجع السابق.

وفى الخطاب الذى وجهة للأمة من الكونجرس فى 21/9/2001م، والذى طالب فية حركة طالبان بتسليم أعضاء تنظيم القاعدة، قال عن الإسلام: "**إن الارهابيين يمثلون حركة ثانوية تشوه التعاليم المتسامحة للإسلام، وإن علماء المسلمين، والأغلبية الساحقة من الأئمة رفضوا التطرف".**(1)... ثم التقى الرئيس (بوش) مجدداً فى 28/9/2001م بالقيادات العربية الإسلامية الأمريكية فى البيت الأبيض، وتقبل القرآن الكريم كهدية أمام عدسات التليفزيون، وقال ممسكا بالقرآن الكريم: "**إن تعاليم الإسلام تدعو للسلام والعمل الصالح** ".(2)

إن هذه النماذج الأربعة التى تغطى تاريخ الإسلام الذى امتد ما يقرب من ألفية ونصف، تدحض ادعاء (د.هنتنجتون) بأن حدود الإسلام كانت "باستمرار دموية" وتقوض اتهامه للإسلام بالعدوانية، وتثبت هذه النماذج مجدداً أن (د.هنتنجتون) توصل إلى استنتاجاته الخاطئة بسبب قراءته الانتقائية للتاريخ الإسلامى ولتاريخ الإنسانية.

ولكن الأهم من ذلك كيف يتجاهل (د.هنتنجتون)، الذى يتشدق بالنظام العلمانى ويدعو المسلمين لتبنيه، كيف يتجاهل التراث الدموى للعلمانيين فى القرن الدموى (العشرين)، ونقصد بذلك الحرب العالمية الأولى والثانية (1914-1945)، والحرب الباردة (1947- 1991) التى انتجت أسلحة الدمار الشاملة النووية والهيدروجينية والكيماوية والبيولوجية، والتى كانت قادرة على إفناء البشرية إذا ما قامت حرب عالمية ثالثة، كيف يتجاهل (د.هنتنجتون) كل هذا التراث الدموى والتدميرى للعلمانيين ويحاول أن يقيم حجة باطلة ضد الأديان بشكل عام، وضد الدين الإسلامى بشكل خاص، على أن الدين هو السبب فى الحروب على سطح كوكب الأرض؟!... وكأن الشعوب التى سكنت كوكب الأرض لم تحارب بعضها بعضاً قبل أن يعز الله  البشرية بالأديان السماوية: اليهودية والمسيحية والإسلام، أو أن الشعوب العلمانية الغربية التى عزلت الكنيسة عن الدولة والسياسة عن الدين لم تحارب بعضها بعضاً بعد ذلك؟!... ولما كان ذلك غير صحيح فى الحالتين، وكانت شعوب الأرض حاربت بعضها بعضاً قبل أن يعز الله الإنسانية بالأديان السماوية، وبعد أن عزل الغرب العلمانى الكنيسة عن الدولة، والسياسة عن الدين، فبأى حق وبأى منطق يدعى (د.هنتنجتون) أن الدين هو المسئول عن الحرب فى تاريخ الإنسانية؟(3)

5- **أكثر الحروب تكلفة بشرية.**

ولا ننسى هنا عندما يذكر (هنتنجتون)؛ (الحدود الدموية للإسلام) أن نعرض قائمة لأفظع عشرين حرب فى تاريخ الإنسانية من حيث التكلفة البشرية، وقبل عرض القائمة نتساءل: هل كانت الفتوح الإسلامية سواء

1- إسقاط نظرية صراع الحضارات 386 2- المرجع السابق ص.387 المرجع السابق ص 4001،400.

العربية أو العثمانية ضمن هذه القائمة؟!..وعندما نجد الإجابة بالنفى.. يجدر بنا أن نطرح سؤالاً آخر وهو: هل كان ذلك بسبب انتماء الفتوح الإسلامية للعصور الوسطى التى حاربت فيها الجيوش بالسيوف، بينما كانت الحروب فى العصور الحديثة يستخدم فيها البندقية والدبابة والطائرة؟!..فنجد الاجابة بالنفى أيضاً!!.. فبعض هذه الحروب كانت سابقة على الفتح الاسلامى بقرن ونصف، وبعضها الآخر كان مواكباً للفتوح الاسلامية، أى أن الاسلحة المستخدمة فى هذه الحروب كانت نفس الأسلحة المستخدمة فى الفتوح الاسلامية...

**وقد يكون من المناسب تقديم هذه القائمة الآن بحسب تعاظم الخسائر البشرية فى هذه الحروب:**(1)

|  |
| --- |
|  |
| |  |  |  | | --- | --- | --- | | 1- | الحرب العالمية الثانية (1939-1945) | 50 مليون نسمة. | | 2- | عهد ماوتسى تونج (1949-1975) | 40 مليون نسمة. | | 3- | غزوات المغول\* (1227-1258) | 40 مليون نسمة. | | 4- | تمرد لوشان\* (755-763) | 36 مليون نسمة. | | 5- | غزوات منشو\* ( القرن السابع عشر الميلادى) | 25 مليون نسمة. | | 6- | تمرد تايينج\* (1850-1864) | 20 مليون نسمة. | | 7- | الحروب الهندية\* (1540-1890) | 20 مليون نسمة. | | 8- | عهد جوزيف ستالين (1922-1953) | 20 مليون نسمة. | | 9- | تجارة الرقيق\* (القرن السابع حتى القرن التاسع الميلادى) | 19 مليون نسمة. | | 10- | تجارة الرقيق\* (القرن السادس عشر إلى التاسع عشر) | 18 مليون نسمة. | | 11- | غزوات تيمورلنك\* (1364-1405م) | 17 مليون نسمة. | | 12- | الاحتلال البريطانى للهند(1805-1931) | 17 مليون نسمة. | | 13- | الحرب العالمية الأولى\* (1914-1918) | 15 مليون نسمة. | | 14- | الحرب الأهلية الروسية\* (1918-1920) | 9 مليون نسمة. | | 15- | ثاجيس\* | 9 مليون نسمة. | | 16- | سقوط روما\* (476م) | 8 مليون نسمة. | | 17- | احتلال بلجيكا للكنغو (1884-1960) | 8 مليون نسمة. | | 18- | حرب الثلاثين عام\* (1618-1648) | 7 مليون نسمة. | | 19- | الاضطرابات الداخلية فى روسيا (1598-1613) | 5 مليون نسمة. | | 20- | حروب نابليون (1804-1814) | 4 مليون نسمة. | |

1- إسقاط نظرية صراع الحضارات.ص89،388،90

- **وفى السطور التالية إيضاح لبعض تلك الحروب بحسب ترتيبهم.**

3- وتمثل هذه الغزوات رحلة المغول منذ توحيد جانكيزخان للقبائل المغولية ، وحتى إقامة الإمبراطورية الأكبر فى تاريخ الإنسانية.

4-حدث هذا التمرد فى الصين إبان حكم أسرة تانج.

5- منشو: هو أحد أفراد أسرة كينج التى حكمت الصين 300 مليون سنة (1644-1911).

6- تمرد حدث فى الصين استمر 14سنة، وكان هذا التمرد من أهم عوامل سقوط حكم أسرة كينج فى1911.

7- وهى الحروب التى خاضها المستوطنون الأوربيون الذين أقاموا الولايات المتحدة الأمريكية فى 1776م، وأكملت الحكومة الأمريكي هذه الحرب بعد ذلك، أى حكومة (د هنتنجتون)، ويقدر (د.فرانك أندرجندر) أستاذ التاريخ الاقتصادى ومؤلف كتاب (Re-Orient) الخسائر البشرية فى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية بين السكان الأصليين بـ 95 مليون نسمة، ويقدر عدد السكان الأصليين حين إعادة اكتشاف الأمريكتين بـ 100 مليون نسمة، أى لم يبق منهم سوى 5 مليون نسمة!!

9- كانت تجارة الرقيق تلك من أفريقيا إلى الشرق الأوسط.

10- كانت تجارة الرقيق هذه من أفريقيا إلى أوروبا والأمريكتين.

11- أقام تيمورلنك الامبراطورية المغولية الرابعة وادعى أنه حفيد (جانكيزخان).

13-لم يلتفت معد الاحصائيات إلى وباء الأنفلونزا الأسبانية الذى قتل من 25:40 مليون نسمة فى العالم أجمع فى 1918م. من بينهم 500,000 : 700,000 أمريكى فى أسبوع واحد حيث جلبه لهم الجنود الأمريكيون العائدون من القتال فى المسرح الأوروبى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، فإذا أضيفت تلك الخسائر البشرية الناتجة عن المرض مع الخسائر البشرية للحرب ذاتها لارتفعت مرتبة الحرب العالمية الأولى من الثالثة عشر إلى الأربعة الأوائل فى هذه القائمة.

14- رغم تدخل الولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا فى هذه الحرب بهدف إسقاط النظام الشيوعى الجديد، إلا أن المصادر الغربية تصر على تسميتها حرباً أهلية فقط!

15- ثاجيس: طائفة دينية فى الهند انقرضت بعد الاحتلال الانجليزى.

16- قد حدثت هذه الحرب قبل فجر الاسلام.

18- كانت الفصل الأخير فى الحروب الدينية التى امتدت مائة عام، وبدأت بعد حركة الإصلاح الدينى التى قام بها القس (مارتن لوثر) فى 1517م.

ومن هذا التحليل يتبين براءة الأديان من تهمة المسئولية عن الحرب وهى التهمة التى حاول (د. هنتنجتون) إلصاقها بالأديان بشكل عام، وبالدين الإسلامى بشكل خاص.(1)



1- إسقاط نظرية صراع الحضارات 388 ،89 ،90.



**وها هى شهادات أخرى لدفع شبهة انتشار الإسلام بحد السيف وحدوده الدموية:**

**-** تقول الدكتورة والباحثة الألمانية (أنا مارى شيمل): "هذا ادعاء شائع فى الغرب، ويتجاهل القائلون به حقيقة ثابتة، هى أن جميع الديانات استخدمت الحديد والنار فى حروبها الدينية، بما فى ذلك المسيحية، والمعارك الإسلامية تمت لأسباب ودوافع سياسية بحتة، ولم تحدث لنشر ديانة الإسلام، وعلى سبيل المثال القائد الإسلامى الكبير تيمور (توفى سنة 405) دمر دولة المسلمين من الترك والفرس والعرب، ولم يفعل ذلك لنشر الإسلام، لأن الذين حاربهم كانوا مسلمين، ولكنه حارب لأسباب سياسية، ومثل هذه الأحداث، وخاصة فتوحات تيمور كان لها أثر كبير فى أوروبا، وساهمت فى تعميق وتثبيت فكرة العنف فى الإسلام، مع أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف فى شبه القارة الهندية، وماليزيا، والصين وغرب إفريقيا، بل انتشر عن طريق التجار المسلمين الذين قدموا العقيدة الإسلامية بطريقة بسيطة لهذه الشعوب".(1)

**-** وتقول الباحثة الإيطالية (لورافيشيا فاغليرى): "كان المسلمون لا يكادون يعقدون الاتفاقات مع الشعوب حتى يتركوا لها حرية المعتقد، وحتى يحجموا عن إكراه أحد من أبنائها على الدخول فى الدين الجديد. والجيوش الإسلامية ما كانت تُتْبَعُ بحشد من المبشرين الملحاحين غير المرغوب فيهم، وما كانت تضع المبشرين فى مراكز محاطة بضروب الامتياز لكى ينشروا عقيدتهم أو يدافعوا عنها، ليس هذا فحسب، بل لقد فرض المسلمون فى فترة من الفترات على كل راغب فى الدخول إلى الإسلام أن يسلك مسلكا لا يساعد -من غير ريب- على تيسير انتشار الإسلام، ذلك أنهم طلبوا من الراغبين فى اعتناق الدين الجديد أن يمثلوا أمام القاضى ويعلنوا أن إسلامهم لم يكن نتيجة لأى ضغط، وأنهم لا يهدفون من وراء ذلك إلى أى كسب دنيوى. والواقع أن اليهود والنصارى لم يمُنَحُوا حرية المعتقد الدينى فحسب، بل عُهد إليهم فى تولى المناصب الحكومية حين كانت مؤهلاتهم الشخصية من القوة بحيث تلفت انتباه الحاكمين.(2)

**-** ويقول العلامة الفرنسى (جوستاف لوبون) أيضاً فى هذا الصدد: "لم تقل براعة الخلفاء الأولين ـحكام الدولة الإسلاميةـ السياسية عن براعتهم الحربية التى اكتسبوها على عجل وذلك أنهم اتصلوا منذ الوقائع الأولى بسكان البلاد المجاورة الأصليين الذين كان يبغى عليهم قاهروهم منذ قرون كثيرة، والذين كانوا مستعدين لأن يستقبلوا بترحاب وحبور أى فاتح يخفف وطأة الحياة عنهم. وكانت الطريق الذى يجب على الخلفاء أن يسلكوه واضحاً، فعرفوا كيف يحجمون عن حمل أحد بالقوة على ترك دينه، وعرفوا كيف يبتعدون عن إعمال السيف فيمن لم يسلم، وأعلنوا فى كل مكان أنهم يحترمون عقائد الشعوب وعُرفها وعاداتها مكتفين بأخذهم فى مقابل حمايتها جزية زهيدة تقل عما كانت تدفعه إلى ساداتها السابقين من الضرائب".(3)

1- (حوار صحفى بينها وبين د. ثابت عيد نشر فى (مجلة أكتوبر) فى عدد 10 مارس 1996م.)

2- الإرهاب العالمى من يصنعه ومن يمنعه"د/عبد المهدى عبد القادر. ص 26،27.

3- المرجع السابق. ص24 -نقلاً عن(حضارة العرب/ جوستاف لوبون. ص134).

**-** وفى هذا السياق جاء رد الكاتب والصحفى اليهودى (يوري افنري) على ادعائات بابا الفاتيكان (بندكت السادس) بأن الإسلام انتشر بالسيف، وذلك فى محاضرة البابا رقم 265 والتى ألقاها فى الجامعة الألمانية. قائلاً: "في الحقيقة إن محمداً استعمل السيف في حروبه مع اعدائه من يهود ومشركين ومسيحيين وغيرهم عند تكوين دولته، الا أن هذا كان عملا سياسيا وليس دينيا... المسيح يقول: تعرفوا على الناس من ثمراتهم. نستطيع ان نعلم كيف تعامل الإسلام مع مختلف الاديان من خلال اختبار بسيط: كيف تعامل الحكام المسلمون مع اهل الاديان المختلفة لاكثر من الف عام عندما كان لديهم المقدرة والقوة على نشر الإيمان بالسيف؟... **في الحقيقة انهم لم يستعملوه**... لقد حكم المسلمون اليونان. فهل أصبح اليونانيون مسلمين؟! هل حاول أحدهم أسلمتهم؟! على العكس لقد تبوأ المسيحيون اليونانيون مراكز عليا في تركيا العثمانية. الصرب والبلغار وغيرهم من الدول الأوربية التي كانت تحت الحكم العثماني ظلت مسيحية. نعم الألبان والبوسنيون أصبحوا مسلمين، ولكن هذا كان خيارهم وليس بالاكراه... في عام 1099م اجتاح الصليبيون القدس وذبحوا المسلمين واليهود المقيمين فيها دون تمييز، باسم المسيح الطيب الرقيق.. في هذا الوقت أي بعد 400 عام من حكم القدس من قِبل المسلمين، كان المسيحيون في القدس أكثرية، طوال هذه الفترة الطويلة لم يقهرهم احد على التحول للإسلام. فقط بعد انتهاء هذه الحروب الصليبية تحول المسيحيون الفلسطينيون الى الاسلام طوعا وتكلموا العربية، وهم اجداد الفلسطينيين المسلمين الحاليين... كما أنه لا يوجد أي دليل على أي محاولة مُورست ضد يهودي لتحويله للإسلام. وكما هو معروف جداً لقد تمتع اليهود بالعيش تحت حكم المسلمين في الاندلس كمالم يتمتعوا في اي مكان حتى وقتنا الحالي... في إسبانيا المسلمة كان اليهود سفراء ووزراء وشعراء وعلماء... في إسبانيا المسلمة عمل العلماء اليهود والمسيحيون والمسلمون معا على ترجمة الفلسفة الإغريقية واليونانية المخطوطات العلمية... لقد كان بحق عصرا ذهبيا... كيف كان هذا ليكون لو كان محمد أمر بنشر الإسلام بالسيف؟!... هذه المقولة الشريرة عن إنتشار الإسلام بالسيف لا تُرَوَج إلا أثناء الحروب الكبرى ضد المسلمين في أوروبا، وأن البابا الحالي رغم أنه عالم ديني، يبدو انه لم يبذل أي جهد لدراسة تاريخ الاديان الأخرى... إن الإسلام يحرم إضطهاد أهل الكتاب ويجعل لهم مكانة خاصة فقد كانوا يدفعون ضريبة مالية مقابل إعفائهم من الخدمة العسكرية وكان هذا أمراً مُرحَّباً به جداً من قِبل اليهود... إن أي يهودي أمين لا يستطيع إلا أن يشعر بالعرفان والتقدير للإسلام وأهله الذين حموا خمسين جيلاً من اليهود، في الوقت الذي كان فيه العالم المسيحي يَضطهد اليهود ويحاول تغيير عقيدتهم بالسيف".(1)

1- http://www.55a.net/firas/arabic/). مقالة الكاتب والصحفى(يوري افنري) ترجمة الدكتورة:نهى أبو كريشة. نقلاً عن. <http://www.globalresearch.ca/>.

# العقـل الغـربى

إن العقل الغربى، عقل مستنير، صاحب حضارة، عقل ذكى وموضوعى، باحث عن الحقيقة، ويقدر البحث العلمى، فندعوه لإدراك المصيدة التى أراد (د. هنتنجتون) أن ينصبها له، وندعوه لإسقاط الجدران بين الإسلام وتاريخ الإنسانية حتى تسطع شمس الحقيقة.

وندعو العقل الغربى للنظر إلى تاريخ الإنسانية فى إطار الـ 5000 سنة الماضية، التى هى عمر التاريخ الإنسانى والحضارة الإنسانية، بعد أن أعادت الاكتشافات الأثرية والعلمية تاريخ شعوب الصعود الأول للشرق -(3100\_330ق.م)- إلى مظلة التاريخ الإنسانى، بعد إقصاء دام ما يقرب من قرنين، وندعوه للتفكرحول الموقع الجديد للإسلام فى تاريخ الإنسانية، وندعوه للتفكر فى حقيقة أن الله  أعز البشرية بالإسلام بعد 4000 سنة من بدء تاريخ الإنسانية، وليس بعد ألفية واحدة، وندعوه لتوظيف تلك الحقيقة فى التوصل إلى فهم جديد لتاريخ الإنسانية، وتفهم جديد للتجربة الإنسانية على كوكب الأرض... تفهم يرفض فكرة أن تاريخ الإنسانية، تاريخ صراع بين الأديان، تفهم يدرك أن تاريخ الإنسانية هو تاريخ التنافس بين الشعوب على السيادة العالمية والإقليمية، قبل أن يعز الله  الإنسانية بالأديان السماوية، وبعد أن عزل الغرب الكنيسة عن الدولة، والسياسة عن الدين، وأقام النظام العلمانى الذى تشدق به (د.هنتنجتون).(1)

ونحن ندعو العقل الغربى لإسقاط الجدران العالية التى أقامها (د.هنتنجتون) بين الإسلام وتاريخ الإنسانية،كى تسطع شمس الحقيقة، ويدرك الجميع أن شعوب كوكب الأرض عبر التجربة الإنسانية التى امتدت 5 آلاف سنة تنافست فيما بينها على السيادة الإقليمية والعالمية قبل اعتناق الأديان السماوية وبعد اعتناقها، هذا ما فعلته كل شعوب كوكب الأرض سواء داخل إطار التنافس بين شطى البحر الأبيض المتوسط أى الشعوب الأوروبية من جهة وشعوب الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من جهة ثانية، أو خارج هذا الإطار.

وهذا ما حدث بين شعوب اليابان والصين وكوريا وبين الصين وروسيا وبين الصين والهند، وبين فارس والهند وبين الآشوريين والبابليين وبين الشعوب السوفيتية وأوروبا، وهذا ما حدث بين الشعوب الأفريقية، والشعوب التى سكنت الأمريكتين قبل إعادة اكتشافها فى 1492م.(2)

وهذا أيضاً ما حدث بين الشعوب التى آمنت بالدين الإسلامى، حيث شهد التاريخ تنافساً إسلامياً/إسلامياً على السيادة الإقليمية، وهذا ما حدث داخل العالم المسيحى أيضاً، حيث شهد التاريخ تنافسًا مسيحياً/ مسيحياً على السيادة الإقليمية، وهذا ما حدث فى أوروبا بعد حركة الإصلاح الدينى التى أطلقها القس (مارتن لوثر)، كما حدث بين الشعوب المسيحية فى إطار تنافسها على السيادة العالمية، وكانت الحرب العالمية الأولى والثانية (1915-1945م) آخر هذه الحروب.

1- إسقاط نظرية صراع الحضارات 401 ، 402 2- المرجع السابق ص 399

فكيف يستقطع (د.هنتنجتون) الإسلام والشعوب التى آمنت بالإسلام من تاريخ التجربة الإنسانية على كوكب الأرض، ليقيم حجة باطلة وخاطئة ضد الإسلام بالعدوانية، وكأن الإسلام والشعوب التى آمنت به كائنات أجنبية جاءت من المريخ ؟!(1)

**وإتماماً للفائدة نستعرض معاً بعض الأحداث التى وقعت بأيدى حكومات كان الغرض منها النيل من الإسلام لتحقيق بعض المصالح..**

- ففى الثامن من إبريل عام 1950 انفجرت قنبلة فى أشهر مقاهى اليهود ببغداد، وهو المقهى الكبير الذى يقع فى شارع أبو نواس، وأسفر الإنفجار عن تناثر أشلاء العديد من اليهود... وفى العاشر من مايو عام 1951 دوى فى بغداد صوت انفجار قنبلة ثانية فى شركة (يهودية) أيضاً، اسمها (بيت لاوى) لتجارة السيارات... وفى الخامس من يونيو من نفس العام انفجرت قنبلة ثالثة فى شركة يهودية عراقية هى شركة (شمعون التجارية).. وتوالت سلسلة الإنفجارات والتى كانت أسوأها، هو ذلك الانفجار الكبير الذى دوى فى المعبد اليهودى الرئيسى ببغداد وهو (ماسودا شيم توف) فى الرابع من ديسمبر من ذات العام.. وقتها؛ سارعت إسرائيل بتصوير هذه الإنفجارات على أنها من تدبير وتنفيذ المسلمين العراقيين لقتل يهود العراق، وإرغامهم على الهجرة إلى إسرائيل.. وكان من الممكن أن تظل حقيقة هذه الإنفجارات خافية عن الجميع حتى اليوم، لولا التقرير الخطير الذى نشرته صحيفة (هاعولام هازيه) الإسرائيلية فى 29 مايو سنة 1966م والتى أعادت نشره مجلة (الفهود السود) الإسرائيلية فى 9 نوفمبر 1927م، وقال فيه إن حقيقة مدبرى هذه الإنفجارات قد اكتشفتها حكومة بغداد عام 1951م (بالصدفة).. حيث كان أحد اللاجئين الفلسطينين -من أهالى مدينة عكا- يعمل بائعاً فى أكبر مركز تجارى فى شارع الرشيد ببغداد، وهو متجر (أوزورى باك).. وتصادف أن رأى هذا البائع الفلسطينى؛ أحد الضباط الإسرائيليين فى ملابس مدنية، داخل المتجر فى بغداد، فأبلغ على الفور حرس المتجر من رجال البوليس العراقى.. ولما ألقوا القبض عليه ادعى أنه ليس إسرائيلياً ولا يهودياً ووجدوا معه بالفعل جواز سفر إيرانياً مدوناً فيه أنه (مسلم) وأن اسمه بالكامل هو (إسماعيل بن مهدى صالحون)..إلا أن البائع الفلسطينى (اليقذ) أصر على أنه يعرف هذا الشخص الإسرائيلى جيداً، وأنه رآه كثيراً فى فلسطين، وأنه ضابط بالحكومة العسكرية الإسرائيلة واسمه الحقيقى الذى كانوا ينادونه به فى عكا هو (يهودا ناجر).. وفى المحكمة انهار الضابط الإسرائيلى واعترف بكل شئ.. وأرشد عن خمسة عشر آخرين من يهود العراق،

1- إسقاط نظرية صراع الحضارات ص400

عليه وعلى اثنين من شركائه بالإعدام شنقاً، وبالسجن لمدد طويلة على بقية شركائه اليهود الذين قتلوا (يهوداً مثلهم)، بدعوى أن الغاية عند الصهايينة (تبرر الوسيلة).. (1)

- وفى كتاب (الجانب الآخر من الخدعة) كشف الجاسوس الإسرائيلى السابق (فيكتور اوستروفسكى) عن أن جهاز المخابرات الإسرائيلى المعروف باسم (الموساد) كان قد خطط لاغتيال صديقهم الرئيس الأمريكى الأسبق بوش الأب، أثناء حضوره (مؤتمر مدريد للسلام فى الشرق الأوسط) والذى انعقد بالعاصمة الأسبانية مدريد عام 1991م.. وذلك لأن بوش الأب قد أذاع عند الدعوة لهذا المؤتمر " أن المفاوضات ستجرى على مراحل، للإتفاق على ترتيبات الحكم الذاتى للفلسطينيين، وقال نصاً فى نفس الدعوة إن هذا الحكم الذاتى " سيكون مؤقتاً، ولمدة خمس سنوات فقط، ومع بداية سنته الثالثة، ستبدأ مفاوضات الحل النهائى بين إسرائيل والدول العربية، على أساس القرارين 242 و338".. وكانت خخطة الموساد، كما يقول (استروفسكى) فى نفس الكتاب، تقضى بإحضار ثلاثة من النشطاء الفلسطينيين -قد اختطفتهم (الموساد) فى بيروت- إلى مسرح المؤتمر.. وكانت أرسلت (الموساد) تهديدات بالقتل إلى الرئيس الأسبق جورج بوش (الأب)- ثم إطلاق الرصاص على بوش، وفى نفس الوقت إطلاق الرصاص على الفلسطينيين الثلاثة وقتلهم، بدعوى أنهم هم الذين قتلوا بوش... وقد تراجعت المخابرات الإسرائيلية فى اللحظات الأخيرة عن ذلك الفعل لأن ضابطهم المنشق الذى يدعى (افراييم) قام بتسريب الخطة مفصلة إلى (فيكتور استروفسكى) والذى قال فى كتابه : أنه نقلها بدوره إلى المعلق الأمريكى الشهير (جاك اندرسون) فنشرها كاملة فى عموده اليومى فى 3 سبتمبر 1991م، ومن بعده، تناقلتها كل الصحف الأمريكية، فحطت طيور (الخيبة) والفضيحة على رأس الموساد.. (2)

- وفى كتاب (الخديعة المرعبة 11أيلول 2001) لمؤلفه (تيرى ميسان) (3)جاء بالفصل الحادى عشر تحت عنوان (المؤامرة) ما نصه: "تقودنا العناصر التى بين أيدينا الآن إلى التفكير فى أن هجمات الحادى عشر من أيلول قد دُبرت ونُظمت من داخل جهاز الدولة الأمريكى. إلا ان هذا الإستنتاج يصدمنا فعلاً، ذلك لأننا اعتدنا على أسطورة (مؤامرة بن لادن) ولأنه يصعب علينا ان نتصور بعض الأمريكيين يضحون بحوالى ثلاثة آلاف إنسانٍ من مواطنيهم. غير أن هيئة الأركان لمشتركة فى الولايات المتحدة قد خططت فى الماضى لحملة

إرهاب تستهدف الشعب الأمريكى نفسه ولكنها لم تنجزها. وفى هذا الإطار لابد من العودة إلى التاريخ للتذكير بما جرى".. وكان مما استعرض فى هذا الفصل من مؤامرات قامت بها ) ( CIA هذه المؤامرة.. حيث

1- جريدة روز اليوسف 9نوفمبر 2008 – باب/ النهاردة زمان-أ.شفيق أحمد على 2- المرجع السابق 3 سبتمبر 2008.

3-...فرنسى،خبير فى مجال حقوق الإنسان لدى مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبى، ورئيس مجلة(مانتنان) الشهرية.

قال: " كانت عملية (نورث وودز) تهدف إلى إقناع المجتمع الدولى بأن (فيدال كاسترو) غير مسئول إلى حد أنه يشكل خطراً على السلم فى بلاد الغرب. ولتحقيق ذلك الهدف يقتضى التنسيق وإلحاق أضرار عظمى بالولايات المتحدة على ان تعزا إلى كوبا.. إليكم بعض الاستفزازات المعتزمة:

- شن هجوم على القاعدة الأمريكية (غوانتانمو). تنفذ هذه العملية بقيادة بعض رجال المرتزقة الكوبيين باللباس الخاص بقوات (فيدال كاسترو) وتتضمن أعمال تخريب عديدة وانفجار مخزن الذخائر، فتتسبب فى أضرار مادية وبشرية جسيمة.

- إغراق سفينة أمريكية فى المياه الإقليمية الكوبية. بحيث تبعث ذكرى تدمير (مينMaine ) عام 1898م والذى أودى بمئتى وستة وسبعين شخصاً، وأدى إلى التدخل الأمريكى ضد إسبانيا\* وتكون السفينة فى الحقيقة خالية وخاضعة للتحكم عن بعد، ويكون من الممكن رؤية الإنفجار من (هافانا أو سانتياغو) للحصول على شهود عيان، وتجرى عمليالت الإنقاذ لتصديق الخسائر وتُنشر لائحة الضحايا فى الصحف وتنظم مراسم جنازية زائفة لإثارة السخط والنقمة، وتنفذ العملية فى وقت تكون سفن وطائرات كوبية موجودة فى المنطقة لينسب الهجوم إليها.

- ترهيب المنفيين الكوبيين عبر استهدافهم بأعمال تدمير بالبلاستيك فى (ميامى وفلوريدا وحتى فى واشنطن)، ويلقى القبض على عملاء كوبيين كاذبين للحصول على اعترافات، ويعدّ الأمريكيون وثائق تعرض الكوبيين للشبهات قبل أن يصادروها ويوزعوها على الصحف.

- تجنيد الدول المجاورة لكوبا من خلال إيهامها أنها تتعرض لخطر اجتياح محدق وتقوم طائرة كوبية مزيفة ليلاً بقذف الجمهورية الدومينيكية أو أى دولة أخرى من المنطقة، وتكون القنابل المستعملة من إنتاج سوفييتي بدون شك.

- تحريك الرأى العام العالمى من خلال تدمير طائرة مدنية، ولمزيد من التاثير يقع الإختيار على (جون غلن) ليكون الضحية، فهو أول أمريكى يطوف حول مدار الأرض الكامل (طيران مركورى) وتمت دراسة عملية –مخططة- واحدة بعناية فائقة:

- "من الممكن اختلاق حادث يثبت بصورة مقنعة أن طائرة كوبية قد هاجمت طائرة مدنية مستأجرة وهى فى

طريقها من الولايات المتحدة إلى جامايكا أو غواتيمالا أو باناما أو فنزويلا وأسقطتها". ولإتمام ذلك يمكن أن

تقوم مجموعة من الركاب المتواطئين قد يكونون من الطلاب –مثلاً- باستئجار طائرة تابعة لإحدى الشركات التى تملكها وكالة الإستخبارات المركزية سراً، وفى عرض فضاء (فلوريدا) تلتقى طائرة الركاب بطائرة أخرى

شبيهة بها ظاهرياً ولكنها تكون خالية من الركاب، وخاضعة للتحكم عن بعد. ويعود الركاب المتواطئون إلى قاعدة تابعة لوكالة الإستخبارات المركزية، فيما تكمل الطائرة الأخرى مسارها وتصدر إشارات خطر تدل على تعرضها للهجوم الكوبى وتنفجر أثناء طيرانها... ويقتضى إنجاز هذه العمليات بالضرورة موت العديد من المواطنين الأمريكيين المدنيين والعسكريين، إلاأن ذلك الثمن البشرى هو الذى يجعل من تلك العمليات أعمال سيطرة فعّالة. (1)

ويردف (ميسان) قائلاً: [وقد أثبتت الشهادة التى أدلى بها الملازم الأول (دلمارت ادوارد فريلاند) أمام المحكمة العليا فى (تورونتو-كندا) أن مؤامرة فى قلب القوات المسلحة الأمريكية قد احيكت بالفعل لتنفيذ هجمات الحاى عشر من أيلول... وكان الخبير الأرفع مستوى (بروس هوفمان) قد أعلن فى كلمة ألقاها فى مجلس النواب الأمريكى أن الهجمات على ضخامتها كان "من المستحيل تصورها"... إلا أن (بروس هوفمان) كان يكذب فى ذلك، ففى مؤتمر نشرته أكاديمية القوات الجوية الأمريكية فى آذار الماضى-أى قبل ستة أشهر على الهجمات- كان (هوفمان) يتحدث بدقة عن سيناريو الحادى عشر من أيلول –المستحيل تصوّره- فقد أعلن أمام ضباط كبار من القوات الجوية: "سنحاول أن نشهر أسلحتنا بوجه القاعدة، التنظيم وربما الحركة المقرونة ببن لادن... فكروا للحظة بذلك الإنفجار الذى استهدف مركز التجارة العالمى عام 1993. اليوم كونوا على ثقة أنه من الممكن اسقاط البرج الشمالى فوق البرج الجنوبى وقتل ستين ألف شخص... سيجدون أسلحة أخرى وخطط أخرى ووسائل أخرى لبلوغ أهدافهم، لديهم الخيار فى الأسلحة بما فيها الآلات المتحركة – الطائرات الخاضعة للتحكم عن بعد-.".. يا لها من بصيرة، أليس كذلك؟].(2)

وقد ساق (ميسان) دلائل ووثائق يؤكد بها أن واقعة الحادى عشر من سبتمبر هى من تخطيط وتنفيذ الأجهزة الأمريكية ذاتها، ويقول أيضاً: "يظهر لنا تاريخ الولايات المتحدة المباشر أن الإرهاب الداخلى تطبيق عملى فى طور النمو، ومنذ عام 1996 يقوم الأف بي آى سنوياً بنشر تقرير حول أعمال الإرهاب الداخلى:

وبلغت هذه الأعمال أربعاً عام 1995 وثمانية عام 1996 وخمسة وعشرين عام 1997 وسبعة عشر عام 1998 وتسعة عشر عام 1999م. وقد ارتكبت غالبية هذه الأعمال على يد جماعات عسكرية وشبه عسكرية من اليمين المتطرف(3)... وإذا كان لوبى الطاقة هو المستفيد الأول من الحرب على أفغانستان فإن اللوبى العسكرى- الصناعى هو الرابح الأول فى الحادى عشر من أيلول، فقد حقق أكبر آماله واكثرها جنوناً".(4)

**فتلك هى الصورة قد أصبحت واضحة، وعلى العقل الغربى مراجعة التهم المنسوبة للإسلام والوقوف على حقيقتها...**

1- (الخديعة المرعبة 11 أيلول 2001)/تيرى ميسان.ص131- 133 2- المرجع السابق.ص135- 138

3- المرجع السابق.ص 134- 135 4- المرجع السابق.ص141

# الفصل الثالث: الإسلام والغرب

فى بداية الحديث عن الإسلام والغرب يجب أن نلاحظ أن وجه المقارنة والتضاد بينهما غير صحيح، حيث أن "الغرب والمَغْرِبُ بمعنى واحد، فالشرق خِلافُ الغرب وهو المَغْرِبُ، فيقال: الشرق والغرب. والمشرق والمغرب، فالغرب: هو أقصى ما تنتهى إليه الشمسُ صيفاً وشتاءً.والشرق هو أقصى ما تشرق منه الشمس صيفاً وشتاءً"(1)، وتتعين جهة الشرق كذلك أصلاً فى معانى كلمة Orientalisme وOrientaliste فى اللغات الأوروبية.(2)... والإسلام: هو ذلك الدين الذى جاء به محمد .

ومن ثم فلا يصح أن تكون المقابلة بين الإسلام والغرب، بل بين الشرق والغرب، أو بين الإسلام والمسيحية، أو الإسلام واليهودية، أو الإسلام وكلاهما معاً، أو الإسلام وأى دين آخر، ولكن استخدامنا لهذا الفظ جاء من منطلق انتشاره على ألسنة المتحدثين فى هذا الموضوع من الغربيين والشرقيين.

وحينما نذكر الإسلام والغرب يجب أن يمر علينا مصطلح/ الاستشراق والمستشرقون، ويحيل الجذر اللغوى العربى الذى اشُتقت منه كلمة (استشراق) و(مستشرق) إلى الشرق باعتباره جهة كما أوردنا فيما سبق.

ورغم وضوح الارتباط بين الدلالة الاصطلاحية لكلمة استشراق وبين الجذر اللغوى فى اللغات الأوروبية واللغة العربية، وبعد انتقال هذا الارتباط من المجال الجغرافى إلى الإطار المعرفى فى اللغة الانجليزية منذ 1779م، الفرنسية منذ 1799م، يتعين تعريف مصطلح/الاستشراق والمستشرقون فى أنه "مجموعة الدراسات التى يقوم بها

أهل الغرب عن الشرق: دياناته، وأعراقه، وثقافاته".(3)

**وقد مر الحديث عن الإسلام ورسوله فى الغرب بأربع مراحل على امتداد الزمان... هى:**

**1-** **مرحلة القرون الوسطى:**

والذى كان الاستشراق فيه استجابة لضرورة دفاع الغرب عن ذاته والاستفادة من الشرق فى الوقت نفسه، وتشمل هذه المرحلة توجهات الاستشراق وإنتاجه طيلة القرون الوسطى، وقد ينقسم حديثنا فى هذه المرحلة إلى قسمين.. هما:

**الإسلام فى الفكر المسيحى الشرقى... والإسلام فى الفكر المسيحى الغربى**.

1- لسان العرب/ بن منظور (كلمة غرب).

2- نبوة محمد فى الفكر الإستشراقى المعاصر /د. خضر شايب ( طبعة مكتبة العبيكان ص 27).

3- المرجع السابق ص 27. نقلاً عن الاستشراق فى أفق انسداده/د.سالم حميش

**أ-** **الإسلام فى الفكر المسيحى الشرقى**

وكان هذا الفكر ناتجًا عن الفتوحات الإسلامية للشام ومصر وبعض دول إفريقيا حتى وصل إلى إسبانيا، والذى تسبب فى انهيار كامل للإمبراطورية البيزنطية فى منطقة الشام، ومعنى هذا أن عالم المسيحية فى الشرق، والذى كانت تمثله طيلة القرون الوسطى الإمبراطورية البيزنطية، لم يعرف من الإسلام إلا أنه القوة التى ابتلعت القسم الأكبر من أراضيه، ومن البديهي أنَّ وَقْع ذلك كان شديداً على المسيحيين عموماً.(1)

**ب-** **الإسلام فى الفكر المسيحى الغربى**

نتج الفكر الاستشراقى عند الغرب المسيحى فى القرون الوسطى، بسبب فتح المسلمين للأندلس وليس هذا فحسب بل لأن الغلبة الثقافية والحضارية للمسلمين الأسبان على عالم المسيحية قد زاد من حدة الشعور بالخوف على وجود المسيحية ذاتها فى إسبانيا إذا ما استمر الوضع على ما هو عليه، أى بقاء العربية لساناً مشتركاً للمسلمين واليهود والنصارى، وزوال الدراسات اللاتينية، وانتشار زواج المسلمين من المسيحيات ويتضح ذلك مما كتبه (ألفارو): "إن مواطني المسيحيين يتمتعون كثيراً بالقصائد والقصص العربية، ولكن من أجل الحصول على أسلوب عربى سليم ورشيق، من يستطيع اليوم أن يجد علمانياً يدرس التعليقات اللاتينية على الكتابات المقدسة؟ للأسف، فإن الشبان المسيحيين الذين يتميزون بمواهب خاصة لا يعرفون أى أدب أو أي لغة خارج اللغة العربية، إنهم يقرؤن ويدرسون بشراهة الكتب العربية، ومن ناحية أخرى فعندما تحدثهم عن الكتب المسيحية فإنهم يحتجون باحتقار بأنها ليست جديرة باهتمامهم... إن المسيحيين قد نسوا حتى لغتهم الخاصة".(2)

وهذا الخوف على المسيحية فى إسبانيا هو الذى دعا كثير من القساوسة والرهبان الأسبان والفرنسيون إلى نقل صورة فى غاية البشاعة عن الإسلام ونبيه ، مستغلين الجهل العام بين المسيحيين الذين لا يجيدون العربية أو غير المتصلين بالمسلمين.

**2- مرحلة عصر التنوير**

شهد العالم الغربى منذ القرن الخامس عشر، كما شهد العالم الإسلامى تحولات كبرى أفرزت تغيراً شاملاً فى الفلسفة التى تتحكم فى العلاقات بينهما، وقد لعب التأثير الحضارى الكبير الذى صادف ضعفاً كنسياً عاماً دوراً بالغاً فى ظهور بوادر فلسفة وميول عصر التنوير، كما شهد القرن السادس عشر نشأة قوة دينية جديدة –

أي البروتستانتية– كانت نتيجة للعاملين السابقين... وفى تلك الفترة تغير الفكر الغربى فى كتاباته على

1- نبوة محمد.ص44 2- نبوة محمد.ص44 – نقلاً عن ( l’Islam medieval – Von Grunbaum – p 68 )

الإسلام، وذلك نتيجة إلى إعادة النظر فى فهم الإسلام والتعامل معه، وفتح باب للحوار بين المسيحية والإسلام، وقد حدث تحول ملحوظ فى الفلسفة التى تحكمت فى علاقات الدول الغربية مع الشرق الإسلامى، إذ رغم بقائها محافظة على نية التبشير إلا أن تحقيق المصالح الاقتصادية قد غلب على توجهها، ويظهر ذلك بوضوح فى المذكرة التى رفعها مجموعة من الأساتذة إلى المسئول فى جامعة (كامبردج) سنة 1639م، والتى طالبوا فيه بإنشاء كرسى للدراسات العربية وأوضحوا: " أن المركز يضع نصب عينيه خدمة مصالح الدولة والملك، وذلك بالعمل من أجل ازدهار تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وتوسيع حدود الكنيسة فى الوقت المناسب".(1)

**وهذا المطلب قد يتمثل فعلياً فى الكتابات الغربية عن الإسلام فى تلك المرحلة، بعد إعادة النظر فى فهم الإسلام، ومن نماذج هذا التغيُر:**

**1-** ما كتبه (آدريلاندوس) (2)، والذى نشر فى (أوترخت) سنة 1605م، رسالتين، سعى فى الأولى منهما إلى عرض العقيدة الإسلامية، وفى الثانية إلى الرد على المثالب والاتهامات التى وجهها المسيحيون للإسلام.

**2-** ما أثبته المؤرخ الانجليزى الشهير (إدوارد جيبون) فى الفصل الذى خصصه للعرب فى كتابه: (اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها) والذى صدر جزؤه الأول فى 1776م، ورغم أن جيبون كان بروتستانتياً ثم كاثوليكياً، لم يمنعه هذا من الحديث عن أخلاق العرب وشخصية نبى الإسلام محمد  وعقيدته، ومما كتب عن عقيدة محمد، قوله: "أما عقيدة محمد فقد خلت من الشك والإبهام، والقرآن شهادة مجيدة على وحدانية الله، إن رفض نبى مكة عبادة الأصنام من البشر، أو الكواكب والنجوم، جاء تطبيقاً للمبدأ العقلى، ما يبزغ فهو إلى أفول، وكل ما يولد فهو إلى ممات... وقد آمن فى حماسه العقلى، كما عبد فى خالق العالم موجوداً خالداً لا حد له ولا شكل ولا مكان ولا عقب ولا شبيه، حاضراً فى أسرارنا الخفية، موجوداً بطبيعة وجوده، متصفاً بذاته بجميع صفات الكمال الذهنى والأخلاقى، وهذه الحقائق السامية التى عبر عنها النبى على هذا النهج آمن بها أصحابه إيماناً لا يتزعزع، وحددها مفسرو القرآن بدقة ميتافيزيقية".(3)

وقد قرر (جيبون) بعد هذا الوصف بأن: "**أى فيلسوف يؤمن بوجود إله يمكنه أن يقر بعقيدة محمد المألوفة، وهى عقيدة ربما كانت أسمى من عقولنا فى الوقت الحاضر**".(4)

1- نبوة محمد.ص 63 – نقلاً عن( المستشرقون والإسلام/د.عرفان عبد الحميد) 2-..نمساوى، أستاذ اللغة العربية فى أوترخت.

3- نبوة محمد.ص67 – نقلاً عن(اضمحلال الإمبراطورية الرومانية:3/16)

4- المرجع السابق.ص69 – نقلاً عن(اضمحلال الإمبراطورية الرومانية:3/29)

وإن كان عصر التنوير قد اختلف عما قبله من القرون الوسطى؛ من حيث طريقة عرض الإسلام والكتابة عنه وعن الرسول المكلف به وهو محمد ، حتى رأينا رؤية (آدريلاندوس) فى رسالتيه؛ عن العقيدة الإسلامية، ورد مثالب واتهامات المسيحيين للإسلام، حتى أن الاتهامات البينة الوضع والخطأ لم تنج من نقده وتصويباته، وما كتبه (جيبون) عن الإسلام ورسوله، فإن ذلك العصر لم يخلُ -كأى عصرآخر- ممن يكيل الاتهامات للإسلام ولنبى الإسلام محمد ، ومثالاً لذلك، الانجليزى (جورج سيل) (1) والذى قام بترجمة القرآن الكريم ونشرها سنة 1734م، وألحق بمقدمة تلك الترجمة شيئًا عن السيرة وأصول الإسلام، ومع جودة ترجمته آنذاك إلا أنه حشد فى مقدمته كل ما تناقله المسيحيون من اتهامات وافتراءات عن الإسلام، ومن ذلك قوله: "إن القرآن ليس وحياً، وإنه ليس معجزاً، وإنه مملوء بالتكرار والتناقص".(2)، وينسب (سيل) تأليف القرآن إلى النبى محمد. حيث ادعى أنه: "احتال به على قومه بمساعدة آخرين، انصب عملهم على التخطيط له".

فإذا قارنا بين ادعاءات سيل ورؤية (آدريلاندوس) وما كتبه (جيبون)، نجد من التناقض ما لا يقبله عقل، فلابد أن يكون أحد الطرفين على صواب، ولكن أيهما هو؟ وإذا كان (سيل) هو صاحب الحق، فما الذى دعى الآخرين إلى أن يكتبوا ما كتبوه من مدح للإسلام وما جاء به ولنبى الإسلام محمد  والذى بلغ حد الوصف؟!!

3- **مرحلة القرن التاسع عشر**

أول ما يجب التنبيه عليه، من أجل رصد حقيقى لطابع الاستشراق في القرن التاسع عشر، هو التحولات الكبرى الحاصلة فى العلاقات بين العالمين الإسلامى والغربى، وقد بدأت بوادر هذا التحول تظهر للعيان فى التفوق التدريجى لأوروبا على العالم الإسلامي في المجالات الثقافية والعلمية والصناعية والعسكرية، وذلك منذ القرن الثامن عشر، وقد أنتج هذا التفوق ظاهرة استعمار الدول المسيحية لبلاد الإسلام قاطبة، كدخول (نابليون) مصر فى أواخر القرن الثامن عشر، وكذلك احتلال الجزائر فى 1830م، وسقوط طشقند سنة 1846م، فسمرقند سنة 1868م في يد الروس، إلى أن سقطت جميع دول الإسلام -ما عدا الحجاز واليمن وإيران وأفغانستان- فى يد الاستعمار الفرنسي أو الانجليزي أو الهولندي أو الإيطالي.(3)

ومن جراء هذا الوضع فقد سعت كل مؤسسة غربية إلى تحقيق أهدافها الخاصة، فشهدت ساحة العالم الإسلامي دخول الكثير من الأوروبيين عالم الاستشراق الذي توسع توسعاً هائلاً في عدد المهتمين به، وقد اختلفت النظرة إلى الإسلام تارة أخرى في هذا القرن، بسبب مخالطة الغربيين للمسلمين فى عُقر دارهم

1-...إنجليزى، كثير البحث فى الإسلاميات،وله ترجمة للقرآن(حشاها بالإفك واللغو والتجريح) 2- نبوة محمد.ص70.

3- المرجع السابق.ص72

ورصدهم لكل الأخلاق الطيبة التى تمتع بها هؤلاء، ونتج عن هذه المخالطة الأوروبية أنها قد ساهمت بشكل واضح فى التعرف على الإسلام عن قرب، مما نشأ عنه عواطف الحب والاحترام في نفوس أصحاب الأرواح الطيبة من الأوروبيين.

**4- المرحلة المعاصرة:**

خضعت نظرة الغرب المعاصر إلى الإسلام وحضارته إلى المتغيرات التى سبق ذكر بعضها، حيث عبر عنها الكثير من الدارسين الذين دعوا إلى ضرورة "تجاوز مرحلة اللاتسامح إلى محاولة الفهم المتبادل، وإلى التنوع المطلوب فى الأفكار".(1)

يقول (موريس بوكاي): يلاحَظ أن هنالك تغيُراً جذرياً فى أيامنا الراهنة فى هذا الصدد لدى أعلى مستويات العالم المسيحى. لقد أصدر مكتب شئون غير المسيحيين بالفاتيكان The Office of Non Christian Affairs at Vatican وثيقة صادرة عن المؤتمر الثانى للفاتيكان Second Vatican Council وتحمل هذه الوثيقة عنواناً باللغة الفرنسية هو: Orientations pour un dialogue entre Chr’etiens et Muslmans أى: "التوجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين".، والطبعة الثالثة المحررة باللغة الفرنسية والصادرة فى عام 1970 م تشهد بعمق المواقف الرسمية. ولقد دعت وثيقة الفاتيكان إلى التخلى عن تلك "الصورة البالية الموروثة عن الماضى، أو المنبثقة عن الأحكام المسبقة والأكاذيب البذيئة المتعمدة".

“ The out-dated image inherited from the past or distorted by prejudice and slander”.

وهى تلك الصورة الموجودة لدى المسيحيين عن الإسلام. وجاء بالوثيقة ما يلى بالحرف الواحد: "**إن الفاتيكان ينظر بعين الاعتبار إلى الظلم والتجنى الذى كان موجوداً فى الماضى نحو المسلمين، وهو الظلم الذى يستحق الغرب ونظم التعليم فيه اللوم**".، وأشارت الوثيقة أيضاً إلى أن سكرتارية الفاتيكان قد دعت المسيحيين منذ عام 1967م إلى تقديم التهانى للمسلمين فى عيد الفطر بمناسبة انتهائهم من صوم شهر رمضان الذى يعتبر قيمة من القيم الدينية رفيعة المستوى “with genuine religious worth”.(2)

ومن الملامح البارزة لهذا التطور ما يلاحظ من تغير فى المناهج التى أصبح المستشرق يستخدمها، والتغير المحسوس فى لغة الكتابة والأحكام التى أصبح يعطيها عن موضوع دراسته. ومن هذا المنظور فقد أبدى جل المستشرقين المعاصرين رفضهم للأفكار التى صدرت عن الاستشراق القروسطي، والكتابات الصادرة عن مرجعيات استعمارية أو عرقية.

1- نبوة محمد.ص124 2- التوراة والإنجيل والقرآن.ص 20،21

وقد أثمرت هذه النقلات التى حققها الاستشراق ثمرات عديدة، لعل أهمها شهود العالم الغربى لمؤلفات لم يعد أصحابها يجدون أى حرج فى إبداء كامل التقدير للإسلام ولشخصية النبى محمد ... ويرجع السبب فى ذلك إلى الإعجاب الشديد بالحضارة الإسلامية، وهو الأمر الذى تأكد بظهور مئات الدراسات وخصوصاً الرائدة منها، مثل كتابات (لوبون) و(هونكه) و(جاك بيرك) والتى أسهمت فى التعريف بوجوه إبداع المسلمين فى جميع مجالات الحياة، وبينت التداخل بين تاريخ الإسلام والغرب، ومثالاً لهذا ما ذكره (كلود كاهن) (1): فمنذ "ثلاثة عشر قرناً، فى أوقات الحرب أو السلم، كان التاريخ الإسلامى يمتزج بتاريخنا، وحضاراتنا نشأت عن الأساس نفسه. وإن كان الذى أضفناه قد خلق هذا الاختلاف العميق، فإن المقارنة ستساعدنا على فهم أحسن لأنفسنا وللآخرين. ولهذه الأسباب يبدو ضرورياً أن يتبوأ تاريخ العالم الإسلامى مكاناً مرموقاً فى ثقافتنا... **ولابد أن نعرف أنه قبل أن يكون القديس (توماس) كان هناك (ابن سينا)، وأن مساجد دمشق وقرطبة وجدت قبل كاتدرائيات فرنسا وألمانيا، وضرورى (هنا) أن ننسى الاحتقار الذى قابلنا به الشعوب الإسلامية المعاصرة"**.(2)

ومع هذه النقلة وهذا التغير، إلا أن هناك من اعتبروا أن الإسلام ليس إلا تأليفاً لعناصر دينية سابقة لعبت عبقرية منشئه -فى ظل مجموعة من العوامل الروحية والمادية- دوراً كبيراً فى ظهوره على مسرح التاريخ... فراحوا يكيلوا التهم للإسلام ورسوله دون استناد لأى منهج علمى سليم.

فكان من هؤلاء الحاقدون:

**- ب.كازانوفا**(3)**:**

يعتبر المستشرق (كازانوفا) من أكثر المستشرقين المعاصرين تحاملاً على العقيدة والنبوة الإسلامية.. وقد بدت مرجعيته المسيحية القروسطية واضحة تماماً فى كتابه: (محمد ونهاية العالم). وقد سعى كازانوفا فى هذا الكتاب على إثبات تأثر القرآن الكريم بالأناجيل بكل طريق.

ويثبُت ذلك فى قوله: "ونحن نعتقد بأن محمداً كان ينتمى إلى فرقة مسيحية تؤمن بأن الزمان قد انتهى، وكانت لا تنتظر إلا قدوم نبى أخبر عنه المسيح، وهو يحمل اسم (باراكليت) وهو الذى يقابل فى العربية (أحمد) وهى صيغة أخرى لإسم (محمد)."(4)

1-...فرنسى،أستاذ تاريخ الإسلام بجامعة باريس.

2- نبوة محمد.ص129 – نقلاً عن l’Islam des origins au debut de l’empire Ottoman – C. cahen – p 7-8.

3- كازانوفا...فرنسى، أستاذ العربية فى الجامعة المصرية.

4- نبوة محمد.ص222 – نقلاً عن (Mohammed et la fin du mond – p. Casanva – p 23. )

**- كارل بروكلمان**(1)**:**

وقد نهج (بروكلمان) منهج (كازانوفا)، فاتهم النبى محمد بتأليف دينه عن اليهود والنصارى مركزاً على المصادر اليهودية التى أخذ عنها فكرة الخطيئة الأصلية، فقال: "وليس يجوز أن نطلق الحكم على دين محمد على أساس القرآن وحده طبعاً، وليست المسألة مسألة نظام مرتب، إذ لم تكن الدقة والتماسك الفكرى أقوى جوانبه... ولم يكن عالمه الفكرى من إبداعه الخاص إلا إلى حد صغير، فقد انبثق، فى الدرجة الأولى، عن اليهودية والنصرانية فكيفه محمد تكييفاً بارعاً وفقاً لحاجات شعبه الدينية".(2)

**- إينياس جولدزيهر**(3)**:**

إنه كان يهودياً مؤمناً أشد الإيمان بمرجعيته (العهد القديم والفكر اليهودى)، وقد ظل كافراً بنبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. وقد قادت هذه المرجعية الدينية أعماله عن الإسلام بشكل كلى، وقد تجلى الالتقاء بين هذا العالم اليهودى المتأخر وبين أسلافه فى رده على كل المسيحيين الذين كانوا يتوجهون إليه طالبين رأيه فى اعتناق الإسلام قائلاً: "ولماذا تتحولون إلى الإسلام؟ إن لديكم ديناً طيباً".(4)

وقد لعب المرجع الدينى اليهودى دوراً بالغاً فى كل دراسات (جولدزيهر) عن حقيقة الإسلام، ولذلك راح يحاول التشكيك فى أصالة المصادر الإسلامية وقيمتها، كما راح يعمل على إبطال مرجعية الإسلام الدينية التى رفضها رفضاً مبدئياً، ولهذا أرجع كل العقائد والشرائع التى جاء بها الإسلام إلى اليهودية أو المسيحية أو العقائد والسلوك الدينى للجاهلين. وهكذا أصبح الإيمان بالله الواحد والنبوة وبمرجعية التدين الإبراهيمى يهودى المصدر، كما أن الصوم مأخوذ عن اليهود وشعائر الصلاة ذات أصل مسيحى، أما الحج فقد استمده الإسلام من التقاليد الوثنية "التى حافظ عليها محمد ولكنه كيَّفها مع متطلبات التوحيد"، ولهذا فإن القيمة الوحيدة للرسالة الإسلامية عنده، هى إنجاز النبى  حين نجح فى التأليف والجمع بين عناصر متعددة محتواه فى أديان موجودة، واستخدمها فى "تخليصه للدين والمجتمع وحياة القبيلة وصورة العالم من كل التصورات الرهيبة للوثنيين العرب".(5)

1- كارل بروكلمان...ألمانى، أستاذ فى عدة جامعات. 2- نبوة محمد.ص264 – نقلاً عن(تاريخ الشعوب الإسلامية.ص69،68)كارل بروكلمان.

3- إينياس جولدزيهر...يهودى مجرى، أستاذ فى كلية العلوم ببودابست.

4- نبوة محمد.ص217 – نقلاً عن(l’Islam dans la memoire de l’Occident – Waardenburg – p 267. )

5- نبوة محد.ص219 – نقلاً عن(le dogme et la de l’Islam – Goldziher p 12. )

**- غوستاف فون غرونباوم**(1)**:**

يتضح كره غرنباوم للإسلام فى كثير من كتاباته، فإنه لا يجد صعوبة فى الافتراض بداهة أن الإسلام ظاهرة أحادية وحدانية، بخلاف أى ديانة أو حضارة أخرى، ثم يمضى بعد ذلك ليُظهر الإسلام ضداً إنسانياً، عاجزاً عن التطور ومعرفة الذات والموضوعية، إضافة إلى كونه غير خلاق، ولا علمى ، وسلطوى. (2)

وقد شك -على عكس عدد كبير من المستشرقين المعاصرين- فى ثبات النص القرآنى، وجاء وصفه له فى غاية الغرابة، فقال: "والكتاب الذى بين أيدينا ليس هو الكتاب الذى بلغه محمد. وفى الواقع فإنه لم يبلغ أبداً أى كتاب، واكتفى بأن نقل أشياء متفرقة هى عبارة عن رؤى قصيرة وأوامر وحكم وخرافات وخطب عن مذهبه".(3)... ثم ذهب بعد ذلك ليدَّعى أنه: "من أجل حماية الإسلام كان القتل، والإجبار، والخداع، والرشوة طرقاً مشروعة".(4)

**- هنري لامانس**(5):

من اليسير جداً أن نتلمس مبدأ الحقد لدى لامانس فى كل ما جاء به الإسلام، فإن (لامانس) قد اعتبر أن الإسلام هو الحاجز الذى حال دون انتشار عقيدته المسيحية فى ربوع الأرض، وذلك فى قوله: "ولولا الإسلام لاستطاع اليهود والنصارى أن يقتسموا الجزيرة العربية".(6)

وقد كان موقف (لامانس) من الروايات الإسلامية، سواء ضمتها كتب الحديث أو السير موقف موحد،

يتمثل فى اتهام المسلمين باختراع كل المادة الموجودة فيهما من أجل تفسير القرآن، قال: "إن السيرة، مثلها فى

ذلك مثل الحديث، ذات هدف تفسيرى. إنها مادة محولة مباشرة من النص القرآنى لتخدمه فى التعليق عليه، ولهذا السبب فقد كان عليها أن تضئ فى حكايات دقيقة ومليئة بالألوان إشارات القرآن المظلمة ، والتلميحات الأكثر غموضاً فى الآيات. إنها تصطاد المجهول وغير المتعين الذى كثيراً ما سبب الحيرة فى سور القرآن... إنها نصب تذكارى يذكر الأسماء والتواريخ التى كان أبو القاسم-محمد– يبتعد عنها بحذر شديد".(7)

وهذا القول يتعارض تماماً مع ما أثبته (موريس بوكاى) من مدى صحة الأحاديث النبوية -المشهود لها عند

علماء المسلمين بالصحة- وكيف تم جمعها وتوثيقها بشكل لم يرَ العالم له مثيل فى أي من إخبارات الماضى،

1-...نمساوى متأمرك، أستاذ الشرق الأدنى بجامعة كاليفورنيا. 2- نبوة محمد.ص268-نقلاًعن (الإستشراق/إدوارد سعيد.ص296)

3- المرجع السابق-نقلاًعن l'Islam medieval – Von grunbaum –p92.

4- المرجع السابق 5-... بلجيكى الأصل فرنسى الجنسية، من الآباء اليسوعيين.

6- نبوة محمد.ص260-نقلاًعن I'Arabie occidentl avant I'Hegire – Henri Lammens –p54

7- نبوة محمد.ص351-نقلاًعن fatima et les de Mhomet – Intro.

وكيف فهم بوكاى أنها القسم الآخر التشريعى عند المسلمين، وذلك يتضح من قوله: "لا يشكل القرآن الكريم المصدر الوحيد للعقيدة والشريعة فى الإسلام، وأثناء حياة محمد وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى كانت السنة النبوية المتمثلة فى أفعاله وأقواله هى المصدر الثانى الذى يجرى البحث عنه ليجد فيه العلماء والمفسرون إكمالاً للمصدر الأول.. وقد ظهرت إلى الوجود مجموعات من أقوال النبى وأفعاله وأصبحت تعرف الآن فى العلوم الإسلامية باسم محدد هو: (علم الحديث) "Hadiths"... ولقد كان همُّ علماء الحديث الذين عملوا فى مجالات جمع الأحاديث النبوية وتمحيصها ينصبُّ أولاً وقبل كل شئ على التدقيق فى ضبط هذه المعلومات الكثيرة الخاصة بكل حديث، أو حادثة فى حياة محمد... وقد حوت هذه المجموعات أوسع المعلومات وأوثقها، ويعتبر صحيح البخارى بصورة عامة هو أكثر كتب الحديث صحة بعد القرآن".(1)

ولعل ما مضى وما هو آت من ادعاءات واتهامات للإسلام ورسوله، يكمن سببه فيما قاله وات. حين قال:

"لقد كان الإسلام خلال قرون عدة العدو الأكبر للمسيحية... وأخذت الدعاية الكبرى فى القرون الوسطى تعمل على إقرار فكرة (العدو الأكبر) فى الأذهان، حتى ولو كانت تلك الدعاية خالية من كل موضوعية... حتى إذا ما حل القرن الحادى عشر كان للأفكار الخرافية... فى أذهان الصليبيين أثر يؤسف له... ولما وجدوا بين هؤلاء الأعداء كثيراً من المحاربين الفرسان شعروا بالريبة من السلطات الدينية المسيحية، ولهذا حاول بطرس الراهب أن يعالج هذا الموضوع بإذاعة معلومات أصدق عن محمد والديانة التى يدعو إليها. وقد حدث فيما بعد تطور كبير فى هذا السبيل... وإن ظل كثير من الأوهام عالقاً فى الأذهان".(2)

وفى ظل تلك الإدعاءات والأوهام التى أشار إليها وات، نجد أن كثيراً من المستشرقين قد مال إلى الإسلام، باعتباره ديناً إلهياً، ورسالة سماوية، وإلى محمد  باعتباره رسولاً مرسلاً من قبل الله ونبياً موحى إليه، وورغم أن الفصول السابقة قد حوت شسئاً من هذا، حين جائت شهادات الكثير فى حق الإسلام ورسوله بالإنصاف، إلا أننا آثرنا أن نستعرض بعضاً من هؤلاء الذين أنصفوا الإسلام... حيث أنه كان منهم:

**أ- الذين عرفوا الإسلام معرفة خاصة. فكانوا له منصفون.**

**ب- الذين اتبعوا دين الإسلام عن قناعة. فكانوا به مسلمون.**

1- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم.ص270،269 2- نبوة محمد.هامش ص241 – نقلا عن (محمد فى المدينة/وات.ص 493).

**أ- المنصفون:**

وهم الذين عرفوا الإسلام معرفة خاصة من خلال معايشة المسلمين أو من خلال دراسة مصادره وتاريخه، وأبرزوا عواطف الود الصادق تجاه الإسلام باعتباره ديناً، والمسلمين باعتبارهم أمة، وهى العواطف التى نبعت من أعماق نبيلة، وثاروا لما لاقوا من قرون العداء المسيحى أو الغربى للإسلام، فحملوا لواء الدفاع عن ملامح حياة المسلمين التى عرفوها بحق. والملاحظ أن كل مستشرق من هذه الطائفة قد اختص بالرد على آراء المستشرقين الحاقدين على الإسلام، وبيان مواضع خطئهم أو تحاملهم(1)... ومن هؤلاء المنصفون:

**1-** **لورا فيشيا فاغليرى**(2)**:**

تعتبر المستشرقة الإيطالية (لورا فاغليري) من أوائل المستشرقين المتعاطفين ظهوراً على مسرح الفكر الاستشراقي المعاصر، وقد درست الإسلام بروح متفتحة وحركّتها عواطف الإعجاب الشديد بالأصول والأخلاق الإسلامية، كما هالتها الآراء التى تمتلىء بها كتب المستشرقين، والتى تعبر عن جهل بالغ أو تجاهل مقصود لقيم الإسلام وحقيقة النبوة المحمدية، وتنطلق من مواقف عاطفية ذاتية حاقدة لتحاول بعد ذلك أن تصب الآراء التى تشكلت عن هذا الحقد في الكتب. وتبعاً لهذا عمدت (لورا فاغليري) إلى التأليف عن الإسلام فى جملته لتوضح مواقفه، واختصت فى الوقت نفسه بالرد على جميع الاتهامات الاستشراقية الرائجة فى سوقه، فكتبت مؤلفها الشهير (دفاع عن الإسلام) الذى يدل عنوانه بوضوح عن موقفها المبدئي من هذا الدين وهدفها من الكتابة فيه.(3)

وقد ابتدأت (لورا فاغليري) كتابها بنقد الآراء الرائجة فى زمانها -وزماننا- والتى تفسر نجاحات الإسلام بالظروف المادية المحيطة به، وراحت تثبت النبوة الحقيقية لمحمد .قالت: "**وأزعج هذا التحول السياسى والدينى العميق طائفة من الناس... ولكن كثيراً منهم كانوا عمياً، أو كانوا يغمضون أعينهم عمداً... إنهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن القوة الإلهية وحدها كان فى ميسورها أن تقدم الحافز الأول لمثل هذه الحركة الواسعة. إنهم لم يريدوا أن يعتقدوا أن حكمة الله وحدها كانت مسئولة عن رسالة محمد، آخر الأنبياء الكبار حملة الشرائع، والذى ختم سلسلتهم إلى الأبد**".(4)

وقد ناقشت (لورا فاغليري) اتهام الإسلام بالحسية، ومن المعروف أنها تهمة شائعة لدى جمهور المستشرقين، ولكن اختص بها بشكل واضح المستشرق اليهودى المعاصر (إينياس جولدزيهر) الذى جعلها إحدى أسباب كرهه الشخصى للإسلام، فقالت: "**ومن الضرورى أن ندحض هنا اتهاماً آخر يوجهه غير المؤمنين إلى الإسلام، وهو**

1- نبوة محمد.ص202 2-...إيطالية، مختصة فى العربية وآدابها.من مؤلفاتها: الإسلام، دفاع عن الإسلام.

3- المرجع السابق 4- نبوة محمد.ص203،202 –نقلاً عن( دفاع عن الإسلام/لورا فيشيا فاغلير ).

**أنه وعد أصحابة بجنة حسية ذات حور عين وأنهار من لبن وعسل... والواقع أن مثل هذه الاتهامات تنسى أنه لم يكن فى ميسور أبناء الصحراء أن يفهموا وعودا بمكافآت روحية مرهفة إلى أبعد الحدود، لقد كان من الضرورى إعطاؤهم وصفاً واقعياً للجنة، وصفاً يكاد يكون ملموساً، وفي كلمات بسيطة، وما كان ممكناً إلافيما بعد، عندما بلغوا مستويات روحية أسمى، أن يخاطب البدو بلغة التعبد لله فى ضعة وحب.بيد أنه لمن البهتان البالغ القول: إن محمداً وأتباعه فهموا هذه الأوصاف الواقعية فهماً حرفياً، لأنهم منذ البدء وجدوا فيها معنى أعمق من ذلك الذى يستطيع الوصف إظهاره**".(1)

ولم تترك هذه المستشرقة موضوع اتهام النبى  بالشهوانية يمر دون أن تخصصه بدراستها، وتبدى فيه أفكارها التى نفت فيها عنه  هذا التشنيع، ولكننا نرجئ رأيها فى هذا الموضوع إلى حديثنا عن محمد فى ميزان الغرب.

**2- روجيه دو باسكويه:**

يعتبر المستشرق السويسرى (روجيه دو باسكويه) أحسن مثال يعبر عن أقوام تعلقوا بالإسلام، وتفتحوا على ثقافته لإحساسهم العميق بالأزمة المتعددة الجوانب التى يمر بها المجتمع الغربى المعاصر، يقول هو نفسه فى وصف تلك الحضارة الغربية: "خلصت هذه الحضارة إلى نظام يحط من قيمة المرء ويخدعه ليدمره في النهاية، إنها تحط من قدره، لأنها تختزله إلى مجرد مادة ووظائف كمية... وتخدعه بجعله يعتقد أنه بفضل التقدم... ونظام اجتماعى أفضل، والتحرر من آخر القيود المفروضة من الماضى سيتم استقباله يوماً فى دولة النعيم، والانتصار على المعاناة برغم أن المعاناة لازمة من لوازم الحالة الإنسانية".(2)

وفى مقابل ذلك يشير (دو باسكويه) إلى أن الدين الإسلامى هو عامل توازن ضرورى للحضارة الغربية، ودليلاً حياً على إمكانية أن يعيش الإنسان فى القرن العشرين دون أن يفقد إيمانه، وقد صرح بذلك حين كتب: "**يساعد الإسلام المرء على العيش فى هذه المرحلة من التاريخ بدون أن يفقد نفسه، وتقدم الحلقة النبوية الخاتمة... وسائل مقاومة الفوضى الحاضرة... ويخاطب الإسلام... الإنسان معرفاً إياه منزلته بين الخلق وأمام الله**".(3)

وقد كانت هذه الأهداف الإنقاذية -إذا جاز التعبير- واضحة فى ذهن هذا المستشرق تماماً، ولذلك ألف (إظهار الإسلام) الذى كتبه"لشرح رسالة الإسلام بطريقة تناسب القراء أصحاب الخلفية أو التعليم الأوروبى".

فالقارىء مدعو لاكتشاف عالم مازال محكوماً بما أنزل الله، يختلف أساساً، من حيث المبدأ، مع الحضارة العصرية... **إظهار الإسلام يعنى إثبات الدليل على إمكان العيش فى ظلال الحقيقة**".(4)

1- نبوة محمد.ص204 –نقلاً عن( دفاع عن الإسلام/لورا فيشيا فاغلير ). 2- نبوة محمد.ص208 -نقلاً عن(إظهار الإسلام/روجيه دو باسكويه)

3- المرجع السابق 4- المرجع السابق.

وقد كان (دو باسكويه) حين تأليف كتابه السابق مسيحياً متعلقاً بدينه صادقاً فى الإيمان به، ولكن هذا لم يمنعه من أن يعمل فى مجمل كتابه على تصوير أصول الإسلام بموضوعية تامة، بل بحب واضح وعلى رد شبه المبشرين والمستشرقين وفضح أكاذيبهم وتقديم سيرة النبى  فى ثوب قشيب.

**3– موريس بوكاى**(1)**:**

عاش المستشرق الفرنسى (موريس بوكاى) مرحلة طويلة من حياته فى بلاد الإسلام تعلم فيها حب المسلمين، كما كانت هذه المرحلة كافية فى تخليصه إلى حد كبير من آثار الثقافة الكتابية والاستعمارية التى ظلت ملازمة للتكوين الاستشراقى حتى اليوم. هذا إضافة إلى أنه أخذ الوقت الكافى لدراسة المصادر الإسلامية دراسة علمية واعية، سواء من حيث الشكل أم من حيث موضوعاتها، ثم مقارنة ذلك بما أثبته أهل الكتاب فى العهدين القديم والجديد.

إنه كان المستشرق الوحيد الذى اعتمد على منهج مقارنة الأديان عند بحثه للأديان الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام، وذلك من أجل هدف واضح ومحدد منذ البدء، وهو: معرفة أى كتب هذه الديانات تنقل الوحى الإلهى حقيقة...ولولا ميله العاطفى للمسلمين، وتخلصه من عقدة الرجل الغربى تجاه الإسلام لما استطاع أن يرى أسرار صحة وتميز وتفوق الوحى الإسلامى.

وقد اخترنا من عمل هذا الباحث نصاً يوضح هذا الميل، يقول (بوكاى): "**ولا مفر من الاعتراف بأن الحقائق الإسلامية حول الأديان السابقة مجهولة تماماً فى بلادنا الغربية. وقد يعجب البعض من هذا ولكن سرعان ما يزول ذلك إذا ذكرنا الطريقة التى لقن بها العديد من الأجيال قضايا الإنسانية الدينية، والجهالة التى تركوا فيها تجاه كل ما يخص الإسلام. أليس هدف إطلاق التسميات (الدين المحمدى) و(المحمديين) حتى فى أيامنا هذه غرس الاعتقاد الخاطئ فى الأذهان بأنها عقائد منتشرة بفعل إنسان... وإن كثيراً من مثقفينا المعاصرين يعنون بمقومات الإسلام الفلسفية والاجتماعية والسياسية، ثم لا يتساءلون -كما هو واجب– عن ماهية الوحى الإسلامى... إنهم يطرحون –كقاعدة ثابتة– استناد (محمد) على ما سبق ليبعدوا بهذه الطريقة عن الذهن كل اتصال له بمسألة الوحى بالذات**".(2)

1-...جراح فرنسى، شغلته المقارنة بين الأديان عن مهنة الطب والجراحة.

2- نبوة محمد.ص214 – نقلاً عن( التوراة والإنجيل والقرآن والعلم/ موريس بوكاى)

**4- أنا مارى شيمل:**

وهى من مواليد مدينة "إيرفورت" الالمانية عام 1922 (حاصلة على دكتوراه فى الإستشراق عن رسالة "القضاء الإسلامى فى مصر فى القرون الوسطى" فى أوائل الأربعينات ثم درجة الأستاذية "بروفيسور" فى منتصف الأربعينات ثم دكتوراه ثانية فى أوائل الخمسينات.. وعملت فى تدريس الشريعة الإسلامية فى جامعة أنقرة بتركيا، وجامعة هارفارد بالولايات المتحدة ثم احتلت كرسى الأستاذية فى قسم العلوم الإسلامية واللغات الشرقية بجامعة بون أعرق الجامعات الألمانية... وهى حاصلة على عشرات الأوسمة والجوائز العلمية من مختلف أنحاء العالم ، وقد أصبحت رئيساً للجمعية الدولية لعلم الأديان المقارن من سنة 1980 حتى سنة 1990، ورئيساً للمنتدى الألمانى– الباكستانى، ورئيساً لجمعية إقبال فى أوروبا، ولها من الكتابات أكثر من ثمانين مجلداً عن تاريخ الشرق والإسلام، بجانب ترجمتها لكثير من النثر والشعر من اللغات العربية والفارسية والتركية إلى اللغة الألمانية...)، فهى لها دور كبير فى الدفاع عن الإسلام، باعتباره دين السماحة والاعتدال والأخوة بين البشر بلا تفرقة بسبب اللون أو الجنس أو الدين، وبراءة الإسلام من التعصب، والعنف، والإرهاب، وهى التهم التى يحاول أعداء الإسلام أن يلصقوها به فى العقل الغربى.

وحين سئلت عن أوهام الغرب عن الإسلام والادعاء بأن العقيدة الإسلامية هى عقيدة منحرفة. وأنها تحمل تحريف متعمد للحقائق؟.، قالت: "**هذا اتهام خاطئ وجهه مسيحيو القرون الوسطى إلى الإسلام. فمسيحيو العصور الوسطى اعتبروا الإسلام هرطقة مسيحية، بل إن بعض أساطير القرون الوسطى تحكى أن محمداً كان كاردينالاً استاء لعدم تعيينه بابا، فقام بالانفصال عن الكنيسة، وأسس ديانة جديدة، هذه الروايات موجودة فى كتابات القرون الوسطى. ولا غرو أن تتسم ردود فعل مسيحيى القرون الوسطى على هذه الهرطقة المزعومة بالذعر والفزع، لأنهم كانوا يعتقدون أنه لا يمكن أن تأتى ديانة أخرى جديدة بعد المسيحية. وهذا الرأى مازال شائعاً فى الكثير من الأوساط المسيحية حتى يومنا هذا. وحتى (أدولف فون هارناك Adolf von Harnack)**(1) **–الذى يكاد أن يكون معاصراً لنا– لم يعترف بالإسلام، واعتبره نوعاً من الهرطقة المسيحية وسعى إلى الطعن فيه فى شتى المناسبات... فهذه الأفكار من ميراث القرون الوسطى ومن المؤسف أن مثل هذه التصورات الخاطئة تبقى لوقت طويل فى ذاكرة الأفراد، بل فى "اللاوعى الجماعى" أو "اللاشعور الجماعى" للأمة، حيث يتم إحياؤها فى الوقت المناسب"**(2)**.**

وحين سئلت عن تقييمها لادعاء بعض الغربيين بأن الإسلام هو دين الشهوات؟.، قالت: "**يعود هذا القول إلى الترجمات الأوروبية فى القرون الوسطى لبعض الآيات القرآنية التى تصف الجنة كحديقة كبيرة للشهوات الحسية، مملوءة بالحور العين، وشتى أصناف المتع الجسمانية. وقد صدمت هذه الترجمات فى المقام الأول الأوساط المسيحية المتنسكة فى العصور الوسطى إلى حد بعيد. كذلك فإن هذه الأوساط قد صدمها أن نبى الإسلام محمد لم يكن أعزبًا مثل المسيح عليه السلام، ولكنه مارس حياة زوجية طبيعية. وكان المتدينون من مسيحيى القرون الوسطى يعتبرون مثل هذه الأمور غير لائقة بالإنسان الكامل المؤمن المحب لله، ناهيك بالطبع عن نبى مرسل وقد ساهم هذان العاملان فى نشر صورة الإسلام "الشهوانى" فى القرون الوسطى، وحتى عصرنا هذا. وبعد نشر أول ترجمة فرنسية لـ "ألف ليلة وليلة" بقلم (جالان Galland) فى القرن الثامن عشر، ساهم الجو الخيالى لهذه القصص فى نشر صورة الإسلام (الشهوانى) أيضاً فى الكتابات والفنون الغربية ويظهر هذا بجلاء فى الفنون التشكيلية الخاصة بالقرن التاسع عشر من خلال كيفية تصوير المرأة الشرقية والحريم وخلافه. وهناك مراجع أوروبية كثيرة عن صورة الشرق فى هذه الفنون الغربية، والتى أبرزت بصورة خاصة المناظر الجنسية الشهوانية التى لم يرها الرسامون فى معظم الأحوال على الإطلاق، وكثير من المناظر التى لم يكن مسموحاً لهم برسمها فى لوحات تعبر عن البيئة الأوروبية رسموها فى لوحات صوروا بها الشرق الإسلامى، فصارت بذلك محللة غير محرمة، ولا شك ان هذا قد ساهم بدور فعال فى تثبيت ونشر صورة الإسلام (الشهوانى) فى الغرب. ولعلى هنا اتفق مع (ادوارد سعيد)\* وآخرين بأن هذه الرسومات قد شوهت صورة الإسلام فى الغرب".**(3)

1-...عالم أديان بروتستانتى توفى سنة 1930 م. 2-حوار صحفى بينها وبين د. ثابت عيد. نشر فى (مجلة أكتوبر ) فى عدد10 مارس1996 م.

3-حوار صحفى بينها وبين د. ثابت عيد. نشر فى (مجلة أكتوبر ) فى عدد 10 مارس 1996 م.

**ب- المهتدون:**

وهم الذين درسوا علوم الإسلام دراسة مستوعبة، ففُتحت قلوبهم وشَرح الله صدورَهم للإسلام.

وقبل أن نتحدث عن هؤلاء المستشرقين أو الغربيين الملتحقين بالإسلام والمتبعين له، علينا أن نسأل أنفسنا... أسئلة هامة وضرورية وهى:

- هل هؤلاء المستشرقين عندهم من العقل ما يجعلهم قادرين على التمييز بين دين وآخر؟.. وهل لديهم من العلم والثقافة ما يستطيعون من خلاله أن يقارنوا بين الأديان ليتبعوا أحقهم بالاتباع؟

- هل كان سبب اتباع هؤلاء المستشرقين للإسلام البحث عن مراكز اجتماعية أو مكاسب مادية؟.. أم كان سبب ذلك، اللهث خلف امرأة جميلة ذات قوام ملفوف ومقام مرموق؟

والجواب نجده فى قول (إيتيان دينيه): "نرى أن نفراً كثيراً قد دانوا بالإسلام... ويكثر عددهم على مر الأيام... وأن هؤلاء المسلمين الجدد من خاصة الناس ومثقفيهم وعلمائهم، كما أن إخلاصهم فى ذلك لا شك فيه لأنهم أبعد ما يكونون عن الأغراض المادية".(2)

2- نبوة محمد.ص 163 نقلاً عن ( أشعة خاصة بنور الإسلام/ نصر الدين دينيه).

ونجد الجواب أيضاً فى قول الفرنسى (المنصور بالله الشافعى)، الأستاذ بجامعة باريس، حين قال: "**ولقد اخترت الإسلام ديناً لأسباب شتى.. منها الأسباب الدينية والأخلاقية والاجتماعية والثقافية والعاطفية.. لقد اخترتُ دين الفطرة، هو الإسلام، وكنت فيما مضى كاثوليكياًَ، وفيها اعتماد على (أسرار) و(قربان) و(وسيط لدى الله)، وكثير من هذه الأمور لم أفهمها، ولم أستطع الإيمان بها... المسيحيون الأوائل لم يكونوا بعيدين عن المفهوم الإسلامى... ولم يكن المسيح إلهاً إلا فى مجمع نيقية**".(1)

وسنعرض الآن، لبعض المستشرقين المسلمين حيث نبحث فى أسرار اعتناقهم للإسلام وميولهم الفكرية، وإسهاماتهم فى الدعوة، وملامح تأليفهم فى الدراسات الإسلامية:

**1- نصر الدين دينيه (الفونس إيتيان دينيه):**

هو الرسام العالمى (ألفونس إيتيان دينيه) ولد فى باريس عام 1861 لأبوين مسيحيين كاثوليكيين، شب وترعرع على عقيدة التثليث والصلب والفداء والغفران، ولكن على مر الزمن كان يستوليه شعور بالقلق والحيرة من الناحية الدينية، خصوصاً عندما يفكر فى مصيره، مما دعاه إلى السعى جاهداً فى البحث والتأمل والتفكير فى الكون وفى النصوص المقدسة، لذلك فكر فى المسيحية وفى الكنيسة وفى البابا المعصوم، وفيما تربى عليه من عقيدة التثليث والصلب والفداء والغفران. (2)

وبعد أن عَقَدَ عِدة مقارنات بين الإسلام والمسيحية فى موضوعات تتعلق بالألوهية والصلاة والتسامح والعلم، انتهى به المطاف إلى أن أعلن رسمياً إسلامه عام 1927م.(3)... فمما ورد فى مقاراناته هذه عن الألوهية قوله: "**الدين الإسلامى هو الدين الوحيد الذى لم يُتخذ فيه الإله شكلاً بشرياً أو ما إلى ذلك، ولم يجرؤ مصور أو نحات أن تجرى به ريشته أو ينحته أزميله؛ لأن الله لم تكن له صورة ولا حدود محصورة فهو الواحد الأحد الفرد الصمد لم يكن له كفواً أحد**".... أما فى المسيحية فإن لفظة {الله} تحيطها تلك الصور الآدمية لرجل طاعن فى السن قد بانت عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة... وكذلك {يا هو} الذى يمثلون به طهارة التوحيد اليهودى، فهم يجعلونه فى مثل تلك المظاهر".(4)

ومن أقواله أيضاً: "**إن تأثير الإسلام على النفس يسمها بطابع لا يمحى**".(5)

1- نبوة محمد. ص162 نقلاً عن(من عالم الشهرة إلى عالم الإيمان/أسماء أبو بكر الجهينى)

2- لماذا أسلم هؤلاء/ محمد عزت الطهطاوى ص63 3- نبوة محمد فى الفكر الإستشراقى المعاصر ص162

4- لماذا أسلم هؤلاء/ محمد عزت الطهطاوى ص66 5- نبوة محمد فى الفكر الإستشراقى المعاصر ص163

**2- محمد أسد (ليوبولد فايس):**

هو (Leopold Weiss). ولد عام 1900م فى مدينة (لوو) فى شرق جَلاسيا (Galacia) التى كانت فى ذاك الوقت واقعة تحت حكم المملكة النمساوية المجرية، وينتمى إلى عائلة يهودية لها مكانتها العلمية والاجتماعية، فكان جده لوالده حاخاما فى (سيزرنويدز) عاصمة مقاطعة (باكوين) النمساوية فى ذلك الوقت، وقد تلقى ليوبولد تعليماً مكثفاً فى كافة أفرع الديانة العبرية بالإضافة إلى تعلمه اللغة الآرامية، وسافر إلى القدس عام 1922م... والتحق هناك بوظيفة مراسل صحيفة فرانكفورتر زيوتنج (Frankfurter Zeitung) عن منطقة الشرق الأوسط، وأثناء تواجد ليوبولد فى القدس لاحظ وقتها أن تعداد العرب الذين يقطنون فلسطين= خمسة أضعاف اليهود، وأن فلسطين أرض عربية أكثر منها يهودية(1)، كما كانت له فرصة فريدة للتعامل مع رجالات الشرق فى العشرينات، ومنهم مؤسس الدولة السعودية المعاصرة الملك عبد العزيز، فأعجب كثيراً بما شاهده من سمو فى الأخلاق الإسلامية، وبساطة فى العقيدة وصدق فيها، ومن خلال معاملاته مع المسلمين أراد أن يتعرف على الإسلام من خلال الاطلاع على منهجه وتعاليمه الأمر الذى دعاه إلى إعلان اسلامه عام 1926م وتغيير اسمه إلى (محمد أسد).(2)

ويقول (ليوبولد) أو (محمد أسد) عن إسلامه: "إن هذا الإيمان أتى عبر السنوات بدون بذل أى مجهود".(3)

وعن إسلامه يروى أيضاً: "كان اعتناقى الإسلام بمثابة عبور جسر طويل يربط بين عالمين مختلفين، جسر طويل يجب أن تمر فوقه بنقطة اللاعودة قبل أن تصل إلى الطرف الآخر، وكنت أعلم تماماً أنىَّ إذا اعتنقت الإسلام فسوف أقطع كل أواصر الصلة مع العالم الذى نشأت به؛ حيث لن يكون من الممكن حدوث شىء آخر، فلا يمكن للإنسان أن يستجيب لنداء محمد ويستمر فى ارتباطه بعالم تحكمه مفاهيم تناقض هذا النداء بالكلية. ولكن هل الإسلام حقاً رسالة سماوية من عند الله، أم أنه خلاصة حكمة رجل عظيم، ولكنه أولاً وأخيراً مخلوق وليس إله؟.(4)

وبعد عرض (محمد أسد) لما دار فى ذهنه عند تفكيره فى اعتناق الإسلام، وطرحه سؤالاً مهماً للغاية، نرى أنه اعتنق الاسلام بالفعل، وما هذا ليحدث الا إذا عثر (أسد) على الإجابة الشافية والكافية لهذا السؤال.

ويشرح (محمد أسد) فهمه التدريجى للإسلام قائلاً: "**بدأت تتكون داخلى صورة متكاملة للإسلام، وتنامى اقتناعى به بشكل فاصل، وكان فى بعض الأحيان يفزعنى، ولعل أفضل وصف لعملية تغلغل الإسلام داخلى هو وصفها بخاصية الانتشار الأسموزى، فكل معلومة كنت أعرفها عن الإسلام خلال السنوات الأربع السابقة كانت لا شعورياً تزيد من**

1- الاسلام والغرب /خليلوفيتش ص14 ، 15 2- المرجع السابق ص15

3- نبؤة محمد -نقلاً عن le chemin de la –Note de l'auteur. 4- الاسلام والغرب /خليلوفيتش. ص17

**قناعتى به، وكانت صورة الإسلام تتمثل أمامى كقطعة معمارية رائعة تتناغم أجزاؤها وتتكامل دون نقص أوعيب، وهذا التوازن يعطى إحساساً بالراحة؛ لأن كل شىء قد وضع فى مكانه الصحيح،فمنذ ثلاثة عشر قرناً\* من الزمان وقف شخص قائلاً: ما أنا إلا رجل فانٍ، ولكن الذى خلق الكون قد أرسلنى برسالة لكم كى يكفل لكم حياة تتوافق مع الكون الذى خلقه، وقد أمرنى أن أذكركم بوجوده وبعليائه وبمطلق قوته، وقد أرسلت لأضع أمام أعينكم نظاماً أخلاقياً متكاملاً، فإذا قبلتم هذه التذكرة وهذا النظام الأخلاقى فاتبعونى، وهذا هو جوهر الرسالة المحمدية**".(1)

**3- عبد الواحد يحيى غينون (رينيه غينون):**

ولد الفيلسوف (رينيه غينون) فى فرنسا عام 1886 م.(2)، وهناك نشأ على الكاثوليكية، وكان شغوفاً بالاتجاهات الروحية منذ سنى شبابه الأولى؛ ولذلك انضم إلى الكنيسة الغنوسطية الفرنسية ثم غادرها، كما انضم إلى الماسونية التى كان يعتبرها إحدى المؤسسات العرفانية الكبرى فى العالم.(3)

ولم يكد يتم غينون دراسته العليا فى باريس سنة 1908م حتى أصدر مجلة علمية ذات طابع فلسفى أطلق عليها (المعرفة)، وكان ممن استعان بهم فى تحرير تلك المجلة عالم فرنسى تعرف عليه أثناء دراسته وهو العلامة (شمبر يونو) الذى سبقه إلى اعتناق الإسلام وسمي باسم (عبد الحق) وقد تركت تلك الصلة أثرًا عميقاً فى نفس رينيه، فحملت إليه شعاعاً من نور الإسلام، لم يلبث أن تزايد مع الأيام... وقد تعرف أيضاً على عالم فنلندى يدعى (إيفان جوستاف) كان من ألمع محررى مجلة عربية إيطالية تصدُر بالقاهرة باسم (النادى) وتعنى بالشئون الفلسفية، وقد أسلم أيضاً وتسمى باسم (عبد الهادى) وكان ينشر بتلك المجلة بعض الرسائل الإسلامية.(4)

وفى الوقت الذى أبدى (غينون) قناعته بالسقوط الوشيك للحضارة الغربية إذا هى لم تسرع فى استلهام الثقافات الشرقية، وقد تصور بناء على هذه القناعة –التى أكدها بدراساته الواعية والعميقة– أن على الغرب أن يختار بين ثلاثة خيارات: "الأول: أن يسقط فى حالة من البربرية والتدمير الشامل، مع نجاة بعض أفراده وهم فى حالة من الانحلال مشابهة لحالة (المتوحشين المعاصرين) الذين ليسوا إلا بقايا حضارات اختفت تماماً من التاريخ. والثانى: أن يتولاهم بالرعاية ممثلون للشعوب الشرقية، وإنه لتجنب السقوط الحتمى فإن على الغرب أن يتمثل ذلك، وهو أمر لن يتحقق إلا بوساطة المرور بمرحلة انتقالية متعبة ولكنها أحسن، على كل حال، من نتيجة الفرضية الأولى.والثالث: هى أحسن الفرضيات، وتتمثل فى أن يجد الغرب فى نفسه مبادئ للتطور فى اتجاهات أخرى، تعيده لحالة العقلانية الحقيقية والطبيعية، وتقضى على كونه مجرد فرع مقطوع عن شجرة

الإنسانية، وهى الحال التى أصبح عليها منذ نهاية القرون الوسطى".(5)

1- الاسلام والغرب /خليلوفيتش.ص57 – نقلاً عن (الطريق إلى مكة /محمد أسد) 2- لماذا أسلم هؤلاء/محمد طهطاوى 83

3- نبوة محمد نقلاً عن Les dossiers H – intro- Pierre sigaud – p21 4- لماذا أسلم هؤلاء/محمد طهطاوى 83

5- نبوة محمد ص171- نقلاً عن Rene guenon(Dossiers H)-l'oeuvre de guenon – Ander coyne – p35

وبالرغم من أن غينون كان يستلهم مرجعياته الفكرية الأساسية من الثقافة الهندية، وأنه كان يعتقد بقدرة الكاثوليكية على الإسهام فى إنقاذ الغرب، حيث كتب: "ونحن نعتقد بأن (التقاليد) الغربية إذا استطاعت أن تتشكل من جديد، فإنها ستأخذ بالضرورة المظهر الدينى بالمعنى التام للكلمة، وأن هذا الشكل لن يكون إلا مسيحياً؛ لأن الأشكال الأخرى ظلت غريبة ومنذ مدة طويلة عن العقلية الغربية، ومن ناحية أخرى فلأنه فى المسيحية، وفى الكاثوليكية بالذات توجد بقايا الروح التقليدى الغربى".(1)

ومع حب غينون وتعلقه بالكاثوليكية، ورؤيته لها على أنها الشكل الأمثل الذى يمكن للتقاليد الغربية أن تتشكل به، لما فيها من بقايا الروح التقليدى للغرب. نرى أن الأمر انتهى به إلى تركه للكاثوليكية، وإشهار إسلامه عام 1912م وتغيير اسمه إلى (عبد الواحد يحيى).

ورغم دهشة الدارسين الغربيين باتباع (غينون) للإسلام، لم يشك أحدهم فى صدق إسلامه، وقد كتب الأستاذ (فريدريك تريستان): "أثار العدد الأخير من مجلة (بعث التقاليد) المسألة التى كانت تهم –فيما يبدو– مديرها على الأخص، وهى: هل اعتنق (غينون) فعلاً الإسلام مع العلم أنه ظل يرفض كلمة (اعتناق) التى لا تتعلق عنده إلا بتغيير الظاهر؟ وهذه مناقشة غير مجدية، وموجهة لإحداث الاضطراب، خصوصاً عندما نعلم موقف غينون... أن يختار غينون الإسلام إرادياً، وأن يخضع بتواضع لشريعته، فهذا لا يدهش إلا الجاهلين بسيرته وإنتاجه، فلقد كان من الممكن أن يختار الهندوسية، ولكن يبدو أن دخوله إلى الإسلام كان يَظهر له أكثر مناسبة".(2)

وقد كان للكنيسة الكاثوليكية فى أوروبا موقفاً معادياً من عبد الواحد يحيى-دينيه غينون.سابقاً-، حيث رأت فى غينون خطراَ يكبر كل خطر سابق، فلم تحرم قراءة كتبه فحسب بل حرمت حتى الحديث عنه.

ومع ذلك ورغم هذا العداء من الكنيسة لغينون، فإن كتبه انتشرت فى جميع أرجاء العالم وطبعت المرة تلو الأخرى، وترجم الكثير منها إلى جميع اللغات الحية الناهضة عدا العربية.(3)

1- المرجع السابق-نقلاً عن la crise du moderne – Abdel Wahid guenon – p37

2- المرجع السابق. ص 175-نقلاً عن R. guenon (les dossiers H) – Reflexion sur R. guenon – Frederic Tristan – p214

3- لماذا أسلم هؤلاء ؟نقلاً عن أوروبا والإسلام/للدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق

4- **رجاء جارودى (روجيه جارودى):**

تعلم (جارودى) فى المدرسة الإكليريكية، وفى شبابه كان مسيحياً - متديناً، وحارب النازية لأنه كان يعادى كل فكر عنصرى يدعى أن هناك جنساً متفوقاً على سائر أجناس البشر، لكنه تمرد على المسيحية وانضم إلى الحزب الشيوعى الفرنسى فى وقت كان العالم يعيش فيه مرحلة صراع مع النازية، ويعانى من أزمة اقتصادية خانقة، وقد رأى جارودى –وفقا للنظرية الماركسية– أن هذه الأزمة وليدة النظام الرأسمالى، وبعد ذلك اكتشف أن الماركسية ترفض عبادة الله وتدعو على عبادة ستالين، وتفرض على دول الاتحاد السوفيتى ستاراً حديدياً يمنعها من التواصل مع العالم كما تفرض على العقول ستاراً حديدياً يمنعها من التفكير الحر... ورأى أن الشيوعية التى انضم إليها لم تنجح فى دول أمريكا اللاتينية إلا فى كوبا فقط، وفى أفريقيا لا توجد دولة شيوعية، وفى إندونسيا قضى على الحزب الشيوعى، وفى الهند واليابان يعانى الحزب الشيوعى من الضعف والانقسامات، إلى أن أصبحت (المراجعة الأليمة) أمراً لا مفر منه.(1)... وبدأ (جارودى) –كمفكر– رحلة الشك بحثاً عن اليقين بدراسة الأديان إلى إن توقف عند الإسلام لدراسته كدين وحضارة، وقارن بين ما فى القرآن من الإشارات العلمية والاكتشافات العلمية الحديثة، وعبّر عن هذه المرحلة من حياته قائلاً: **"كلما تعمقت فى الدراسة والمقارنة ازددت اقتناعاً بأن الإسلام هو الدين الذى أبحث عنه".**

وأعلن (جارودى) إسلامه فى شهر رمضان عام 1982م وأصبح اسمه (رجاء جارودى)، وأصدر كتابه الشهير (وعود الإسلام) الذى كان بداية حرب شعواء شنت عليه من أكثر من جهة، خاصة أنه قد أعلن فى كتابه هذا: "**أنه لا توجد اليوم أمة تحمل كلمة الله بأمانة وصدق غير الأمة الإسلامية، ولا يوجد كتاب سماوى يمثل كلمة الله بحق دون تحريف إلا القرآن، ولا أمل فى إنقاذ الغرب إلا بأن يعترف بأنه مدين لحضارات أخرى ويغير موقفه المتعنت من الإسلام، لأن الغرب الذى رفض روحانيات الإسلام هو اليوم أحوج ما يكون إليها، ورفض الغرب عقيدة التوحيد وغرق فى المادة فانتهى به الأمر إلى خواء روحى وتمزق بين الإيديولوجيات.. والإسلام ليس كفراً كما روج المغرضون القدامى فى الحرب الصليبية، وليس إرهاباً كما يصوره المغرضون الجدد.. إنه الدين العملى الذى يقدم للإنسان نظاماً كاملاً شاملاً لحياة إنسانية بكل احتياجاتها، وليس مجرد عقيدة منعزلة عن دنيا الناس**".(2)... وقد تولى (جارودى) فى كتابه (وعود الإسلام) تفنيد الاتهامات التى تتردد فى الغرب ضد الإسلام.

ويعارض جارودى التيار الغربى الذى يتهم الإسلام بأنه دين ينتمى إلى الماضى، فيقول: إن الإسلام قوة روحية عظيمة للإصلاح وللتقدم فى المستقبل كما كان دائماً، كما يعارض الذين يقولون: أين هو المجتمع

1- المنصفون للإسلام فى الغرب.ص222 – نقلاً عن ( التحول الكبير للإشتلراكية/جارودى) 2- المرجع السابق – نقلاً عن ( وعود الإسلام/جارودى).

الإسلامى الذى يمكن أن نذهب إليه ونجد فيه الإسلام حياً وموجوداً على أرض الواقع، وليس مجرد وعود وآراء يرددها الناس بألسنتهم؟. فيقول: إن على الذين يطرحون هذا السؤال فى الغرب للتشكيك فى صلاحية الإسلام لبناء مجتمع حديث صالح للقرن الحادى والعشرين، عليهم أن يطرحوا على أنفسهم سؤالين على الأقل بدلاً من أن ينصّبوا أنفسهم أوصياء على الإسلام:

**السؤال الأول**: ما هو نصيب الغرب المستعمر من المسؤولية عن تخلف العالم الإسلامى وظهور التعصب فيه؟. أليس سبب التخلف هو استنزاف الاستعمار الغربى لثروات العالم الإسلامى؟. ولقد كان العالم الإسلامى تحت الحكم الاستعمارى الغربى فلماذا لم يساعده الغرب على التنمية الاقتصادية والاجتماعية لسد الفجوة الحضارية؟. ثم إن التعصب وظهور الأصولية، هما كل ما تستطيع الشعوب الإسلامية عمله لكى تحافظ على هويتها وتحمى دينها، وبذلك ظل الإسلام محتفظاً بنقائه ولم تستطع السيطرة الاستعمارية أن تطمس معالمه أو تغير منه شيئاً. لماذا لا يسأل الغرب نفسه هذا السؤال ويعترف بمسئوليته عما وصل إليه العالم الإسلامى؟.

**والسؤال الثانى**: لماذا يقارن معظم الباحثين الغربيين بين النظام الإسلامى كما هو عليه الآن بنظام مسيحى مثالى ليس موجوداً على الإطلاق؟. ويقول (جارودى) هؤلاء يسألون بسخرية حمقاء: أين هو الإسلام الذى تنسبون إليه الكمال؟. وإننى أجيب: هاتوا خريطة العالم وقولوا لنا أين نجد مجتمعاً مسيحياً مثالياً يطبق المسيحية ونعتبره النموذج الحى للمبادئ والتعاليم؟. وقولوا لنا لماذا تهاجمون الإسلام لأنه لم يمنع وجود المنازعات بين المسلمين على رغم أنه الدين الذى يقرر أن المسلمين إخوة ويدعو إلى الإصلاح بين الإخوة ؟. وإننى أقول: إن المسيحية هى دين التسامح والإخاء والرحمة.. فكيف خرج الصليبيون باسم هذا الدين لذبح المسلمين فى بلادهم ؟. وكيف خرجت الجيوش الاستعمارية من دول مسيحية لغزو العالم الإسلامى الذى لم يبادر بالعدوان؟. وكيف سمح الضمير المسيحى باستغلال الشعوب الإسلامية واستنزاف ثرواتها وهو يدعو إلى العدل والحق؟.(1)

إن (جارودى) يعلن للعالم أنه لم يعتنق الإسلام إلا بعد أن تعمق فى دراسة أصول الدين ومبادئ الشريعة والفقه، والتعرف على تاريخ الحضارة الإسلامية بالتفصيل... ولأن جارودى اكتشف المنبع، فقد عاد إليه مخلصاً بعد رحلة طويلة عايش فيها الإلحاد، والشك، والفلسفة المادية، والفكر الماركسى، والحضارة الغربية، ثم وصل إلى اليقين، وكان صوته مدوياً فى الغرب دفاعاً عن الإسلام، وتحمل بسبب ذلك الكثير من الاضطهاد والمطاردة إلى حد محاكمته والتهديد بسجنه، ولكنه مثل كل المؤمنين الصادقين الذين يختبر الله صدق إيمانهم، وعندما يثبتون على الحق يجزيهم الله بأحسن ما عملوا.(2)

1- المنصفون للإسلام فى الغرب.ص225 – نقلاً عن (وعود الإسلام/جارودى) 2- المرجع السابق. ص 231

**5- مراد هوفمان:**

ولد المستشرق الألمانى المسلم (مراد هوفمان) فى 1931م لأسرة كاثوليكية، وبدأ دراسته الجامعية بنيويورك فى 1950م، وحصل على الدكتوراه فى القانون الأمريكى من هارفارد ، وقد عمل فى الإدارة الخارجية الألمانية من 1961م إلى 1984م، تولى خلالها إدارة استعلامات حلف الناتو، وعيّن بعدها سفيراً فى الجزائر سنة 1987م، وانتقل منها إلى المغرب سنة 1990م حيث تولى المنصب نفسه إلى أن بلغ سن التقاعد سنة 1994م.

ويعتبر (مراد هوفمان) –كما تدل على ذلك كتاباته– من الغربيين الذين دخلوا الإسلام عن دراسة موضوعية لأصوله العقدية والتشريعية، وهو من أنشط العاملين فى مجال الدعوة إلى الإسلام، وقد أخرج منذ إعلان إسلامه سنة 1980م مجموعة من الكتب، يزاوج فيها بين الخطاب الموجه إلى العالم الغربى، حيث يركز على كشف نقائص الفكر والحياة فى الغرب، والتعريف بحقائق الإسلام، وبين دراساته النقدية التى تتوجه إلى المسلمين لتقويم ما يرى أنه (حيدة) فى تصورهم لدينهم.(1)

ويقول (مراد هوفمان): "**إن المستشرقين حاولوا إثبات أن القرآن ليس من عند الله وفشلوا، كما فشلوا فى إثبات حدوث تغيير فى أى حرف أو كلمة فيه، وقد يرفض غير المسلم محتوى القرآن، ولكنه لا يستطيع أن يتجاهل تأثيره الخلاب على قارئه والمستمع إليه، ويجد الباحث أن فى القرآن إشارات علمية لم تكن معلومة فى هذا الزمان ثم ثبت صدقها مؤخراً، لكنها لا تعنى اعتباره موسوعة علمية، والقرآن هو الكتاب الوحيد فى العالم الذى يحفظه ملايين البشر عن ظهر قلب، ولغة القرآن هى اللغة العربية التى تجمع العالم الإسلامى الذى يزيد على 1200 مليون مسلم، والقرآن هو الذى حافظ على اللغة العربية بقواعدها وكلماتها، ولذلك فهى اللغة الوحيدة فى العالم التى كتب بها القرآن منذ أكثر من 1400 عام**".(2)

ويستكمل (هوفمان) شرحه للإسلام فيقول: إنه يتفق مع المسيحية فى الدعوة إلى الفضائل مثل الأمانة، والتقوى، والإيثار، والإخاء، ويختلف فى أن المسلم يصلى لله مباشرة ويتعامل مع الله دون كهنوت، ويحرّم أكل الخنزير والمسكرات ولا يسقط المسؤولية عمن يرتكب خطأ وهو تحت تأثير الخمر أو المخدرات، وتحافظ الصلوات الخمس بما فيها من خشوع وتأمل على الصحة النفسية للمسلم، ولم يحرّم الإسلام الجنس على أحد من المسلمين، بل أمر بالزواج، وحرم العلاقات خارج الزواج، فهو دين لا يؤدى إلى كبت الغريزة ولا يسمح بالإباحية، ويقول الإسلام: إن الإنسان خليفة الله فى الأرض، وبأن كل إنسان مسئول عن نفسه فقط، لا يرث الخطيئة ممن سبقوه، ولا يورثها لمن بعده، وحساب الله لكل إنسان على حدة ولا ينفع الأب ابنه أو الابن أباه

1- نبوة محمد.ص190 2- المنصفون للإسلام فى الغرب.ص 109- نقلاً عن (الإسلام كبديل/مراد هوفمان).

فى يوم الحساب، بل إن الإسلام يدعوه إلى مراعاة الأهداف الاجتماعية، بحيث يكون المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا، ويشدد على مسؤولية المسلم عن والديه وجيرانه أيضاً. وأخيرا فإن الإسلام له موقف فريد من أصحاب العقائد الأخرى، ينفرد به وحده، هو التسامح مع المؤمنين بعقائد تتعارض مع عقيدته، ويتلخص ذلك فى آية تقول: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}.(1)،وهذا يعنى أن الإسلام فى جوهره دعوة للتعايش السلمى مع المختلفين معه فى الفكر والعقيدة، ويدهش الإنسان فى الغرب عندما يرى المسلم كلما نطق اسم محمد يقول: عليه الصلاة والسلام، ويفعل ذلك أيضاً كلما ذكر اسم عيسى، وهذا تطبيقاً للمبدأ القرآنى: {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ}.(2) أى أن الإسلام لا يبنى صلاحيته على إنكار الديانتين اليهودية والمسيحية، ويدهش الإنسان الغربى عندما يعرف أن الإسلام لا يعتبر نفسه ديناً جديداً، ولكنه تكملة وإتمام للرسالات السابقة عليه جميعاً، وذلك فى الآية:{قُلْ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}.(3)... وقد ذكر القرآن موسى وعيسى -عليهما السلام- فى مواضع كثيرة وذكر معجزاتهما ولم ينكرها.(4)

وما ذكره هوفمان عن الإسلام يكشف عن عقلية غربية مستنيرة لا تتحدث إلا بعد دراسة كل جوانب الإسلام من مصادره الأصلية.

فهذه إشارة بسيطة لمن اعتنق الإسلام من الغربيين، وبرغم أن الكثير من الغربيين قد اعتنق الإسلام.. مثل:

- يوسف إستس (القس الأمريكى السابق) - جوتة (الشاعر الألمانى).

- كيث مور (بروفيسور علم الأجنة) - كينيث جينكينز (القس الأمريكى السابق).

- كات ستيفس- يوسف إسلام (المطرب البريطانى) - ركس إنجرام (المخرج السينمائى العالمى).

- محمد على كلاى (الملاكم العالمى).

هذا بجانب الآلاف الذين اعتنقوا ويعتنقوا الإسلام فى عصرنا الحالى وبشكل يومى، والدليل على ذلك، إحصائيات الأزهر الشريف، والمراكز الإسلامية فى جميع بلدان العالم، والإحصائيات العالمية للدول الغربية.

1- ]الكافرون: 6[ 2- ]البقرة: 285[ 3- ]آل عمران: 84[

4- المنصفون للإسلام فى الغرب.ص 109- نقلاً عن( الإسلام كبديل/مراد هوفمان )

# الباب الثالث : الحرب

* ***الفصل الأول: الجهاد فى الإسلام***
* ***الفصل الثانى: القتال فى الإسلام***
* ***الفصل الثالث: الإرهاب والإسلام***
* ***الفصل الرابع: سماحة الإسلام***

# الفصل الأول: الجهاد فى الإسلام

الجهاد فى اصطلاح العربية – كما جاء فى" لسان العرب" لابن منظور- هو: "استفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أَو فعل".(1)... فهو لا يقف عند "الفعل" فضلاً عن أن يكون هذا "الفعل" فقط هو "الفعل العنيف" –الحرب– دون سواه.

والجهاد فى الاصطلاح القرآنى "هو بذل الوسع فى المدافعة والمغالبة" فى كل ميادين المدافعة والمغالبة.. أى فى كل ميادين الحياة.. وليس فقط فى ميادين القتال... "وأكثر ما ورد الجهاد فى القرآن الكريم ورد مراداً به بذل الوسع فى نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عنها".(2).. وسبيل الدعوة الإسلامية هو الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن.. وليس بالقتال والإكراه والحرب الدينية المقدسة.. فميادين الجهاد الإسلامى الأكبر والأعظم والأغلب هى عوالم الأفكار والحوار... وكذلك جاء تعريف الجهاد "بالدعاء إلى الدين الحق" فى الكثير من موسوعات المصطلحات فى تراث حضارة الإسلام.(3)

فبذل الوسع واستفراغ الطاقة والجهد فى ميادين العلم والتعلّم والتعليم هو جهاد... وبذل الوسع واستفراغ الطاقة والجهد فى عمران الأرض-نهوضاً بأمانة الاستخلاف الإلهى للإنسان- هو الجهاد.. بل إن الرفق بالإنسان والحيوان والنبات والجماد –الطبيعة- هو جهاد.. وكذلك البر والإحسان إلى الوالدين والأقربين وأولى الأرحام هو جهاد.. كما أن الخشية لله ومراقبته وتقواه والتبتل إليه -سبحانه وتعالى- هى قمة من قمم الجهاد الذى فرضه الإسلام... ولهذه الحقيقة -حقيقة عموم الجهاد فى كل ميادين الحياة، وليس اختزاله فقط فى القتال- قَسَّمَ الراغب الأصفهانى(502هـ 1108م) "الجهاد" إلى ثلاثة أضرُب:

1- مجاهدة العدو الظاهر.. 2- ومجاهدة الشيطان.. 3- ومجاهدة النفس..

وتدخل ثلاثتها فى قوله –تعالى-: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}.(4)، وقوله: {وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}.(5)، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}.(6)...

1- لسان العرب / ابن منظور (كلمة :جهد)

2- هذا هو الإسلام ج2 ص 51/ د.محمد عمارة( طبعة مكتبة الشروق) – نقلاً عن (معجم ألفاظ القرآن الكريم/ مجمع اللغة العربية)

3- هذا هو الإسلام ج2- نقلاً عن ( التعريفات /الجرجانى) 4- ]الحج: 78 [ 5- ]التوبة: 41[ 6- ]الأنفال: 72[.

وإن كان القرآن ذكر الجهاد، فإن الموضع الوحيد الذى وصف فيه "الجهاد" بـ: (الكبير) -فى القرآن الكريم -كان حديثاً عن الجهاد بالقرآن -أى بالفهم والوعى والحوار بالحكمة والموعظة الحسنة- وليس حديثًاعن القتال باللسان:{فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا}.(1)

بل لقد جعلت السنة النبوية -وهى البيان النبوى للبلاغ القرآنى- من أفعال القلوب -وليس فقط الأيدى والألسنة- ميداناً من ميادين الجهاد الإسلامى... فعن عبد الله بن مسعود -رضى الله عنه- أن رسول الله قال: "ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى، إلا من أمتّه حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل".(2)

كذلك جعلت السنة النبوية العلم والتعلم قريناً مساوياً للجهاد فى سبيل الله فعن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله  قال: "من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً أو يعلمه كان كالمجاهد فى سبيل الله".(3).. وفى الحديث كذلك أن "الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله ".(4)، وكذلك بر الوالدين، هو ميدان من ميادين الجهاد الإسلامى، فعندما جاء رجل إلى النبى يستأذنه فى الجهاد، فقال له رسول الله :

"أحىٌّ والداك"؟... قال: نعم.... قال رسول الله:"ففيهما فجاهد".(5)

وكذلك الحال مع حراسة النفس من الشيطان، يعدها الإسلام ميداناً من ميادين الجهاد... فقال رسول الله : "فالمجاهد من جاهد نفسه فى الله -عزوجل-".(6)... وجعلت السنة النبوية الحج إلى بيت الله الحرام ميداناً من ميادين الجهاد الإسلامى -وفيه التجرد من الدنيا وقوتّها، بل وزينتها، والتعايش السلمى حتى مع الهوام وكل أنواع الحيوانات والنباتات-، فقال رسول الله : "الحج جهاد والعمرة تطوّع".(7)

تلك هى حقيقة الجهاد الإسلامى، الذى هو بذل الجهد واستفراغ الوسع والطاقة، فى أى ميدان من ميادين الحياة، على امتداد هذه الميادين واتساعها وتنوعها، إن الجهاد الإسلامى ليس حرباً دينية مقدسة، لأن الإسلام ينكر ويستنكر أى حرب دينية، فالإيمان الإسلامى: تصديق قلبى يبلغ مرتية اليقين... وهو سر بين المؤمن وبين

خالقه، لا يتأتى إلا بالفهم والعلم والإقناع والاقتناع، ولا يمكن أن يكون ثمرة لأى لون من ألوان الإكراه -فضلاً عن أن يكون هذا الإكراه عنفاً قتالياً- ولذلك فقد قرر القرآن الكريم القاعدة المحكمة والحاكمة :

{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}.(8)، والتى لا تعنى فقط "النهى" عن الإكراه فى الدين، وإنما تعنى -أيضًا- "نفى" أن يكون

1- ]الفرقان: 52[ 2- رواه مسلم 3- متفق عليه. 4- متفق عليه

5- متفق عليه 6- رواه الترمذى والإمام أحمد. 7- رواه ابن ماجه. 8- ] البقرة: 256[.

هناك دين أو تدين عن طريق الإكراه!... إذ الإكراه يثمر "نفاقاً" -وهو أخطر من "الشرك" الصراع و"الكفر" البواح-... ولا يمكن أن يثمر "إيماناً" بحال من الأحوال.. ولذلك شاعت فى القرآن الكريم الآيات التى تقول للمخالفين:{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}.(1)، {فَمَنْ شَاءَفَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}.(2)، والتى تحدد مهمة الرسالة فى الاعتقاد: {مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ}.(3)، {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ.. لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ}.(4)، {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ}.(5)، {وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ}.(6)

وإذا كان الخلط بين الجهاد الإسلامى وبين الحرب الدينية المقدسة هو أثراً من أثار سوء الفهم للإسلام، أوسوء النية فى تصويرالإسلام... فإن هناك خطأ آخر يقع فيه الذين يختزلون الجهاد الإسلامى فى القتال الذى تحدث عنه القرآن الكريم، ومارسه المسلمون فى عصر النبوة ، وعلى امتداد تاريخ الإسلام.(7)... وذلك أن الجهاد الإسلامى-الذى هو فريضة إسلامية- أعم من القتال-الذى شرعه الإسلام- فكل قتال جهاد وليس كل جهاد قتالاً... إذ القتال هو الجانب العنيف من الجهاد، وليس كل الجهاد!

ولقد أدرك حقيقة مغايرة الجهاد الإسلامى للحرب الدينية المقدسة نفر من علماء الغرب، الذين تحلوا بالموضوعية والعمق والإخلاص فى دراساتهم للإسلام.. ومن هؤلاء العلماء كانت المستشرقة الألمانية الدكتورة (يجريد هونكه) التى كتبت عنه فقالت: "إن الجهاد الإسلامى ليس هو ما نطلق عليه –ببساطة- مصطلح الحرب المقدسة ، فالجهاد " هوكل سعى مبذول، وكل اجتهاد مقبول، وكل تثبيت للإسلام فى أنفسنا، حتى نتمكن فى هذه الحياة الدنيا من خوض الصراع اليومى المتجدد أبداً ضد القوى الأمارة بالسوء فى أنفسنا وفى البيئة المحيطة بنا عالميّا، فالجهاد هو المنبع الذى لاينقص، والذى ينهل منه المسلم مستمداً الطاقة التى تؤهله لتحمُل مسئوليته، خاضعًا لإرادة الله عن وعى ويقين، إن الجهاد بمثابة التأهب اليقظ الدائم للأمة الإسلامية، من نظام اجتماعى إسلامى فى ديار الإسلام".(8)

وتلك هى حقيقة الجهاد الذى فرضه الله-سبحانه وتعالى- وجعله ذروة سنام الإسلام... والذى يكون جهاداً كبيراً عندما يكون فقهاً ووعياً وحواراً بالحكمة والموعظة الحسنة، انطلاقاً من القرآن الكريم: {وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا}.(9)

1- ]الكافرون: 6[. 2- ]الكهف: 29 [ 3- ]المائدة: 99[ 4- ]الغاشية: 21- 22 [

5- ]ق: 45[ 6- ]الأنعام: 107[. 7- هذا هو الإسلام ج2 ص 51

8- المرجع السابق.ص56. 9- ]الفرقان: 52[

# الفصل الثانى: القتال فى الإسلام

إذا كان الجهاد –فى الإسلام– أعم من القتال... وكان القتال هو الجانب العنيف من الجهاد، وليس كل الجهاد.. فالقتال -فى الإسلام- هو الاستثناء الذى لا يجوز اللجوء إليه إلا لمدافعة الذين يفتنون المسلمين فى دينهم... أو يخرجونهم من ديارهم... ولقد كان منهاج الدعوة الإسلامية هو التجسيد لهذا المنهاج... ففى البداية... وبعدما تعرض له المسلمون من أذى فى عقيدتهم وأنفسهم وأموالهم وأهليهم، وفتنة عن دينهم، واضطهاد تصاعد حتى اقتلعهم من وطنهم –مكة– وجعلهم يهاجرون إلى يثرب (المدينة) -بعد هجرة العديد منهم إلى الحبشة- أذن الله -مجرد إذن- للمؤمنين فى القتال... فالإخراج من الديار، والفتنة فى الدين والاضطهاد والتعذيب، كل هذا كان سبباً فى تشريع القتال والإذن به، وذلك فى قول الله: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ.. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}.(1)

وعندما تطور الحال من "الإذن" فى القتال إلى "الأمر" به، جاء القرآن ليضع الإخراج من الديار سبباً لهذا الأمر بالقتال، فقال الله:{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ.. وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ.. فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.(2)

فهو قتال دفاعى، ضد الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم، وفتنوهم فى دينهم، لتحرير الوطن الذى سلبه المشركون من المسلمين {وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ}.، ذلك لأن منهاج الشريعة الإسلامية فى الدعوة إلى الله وإلى دينه ليس القتال، وإنما هو الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ.. وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ.. وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ.. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}.(3)

بل لقد تميز الإسلام -فى هذا الميدان- برفضه فلسفة "الصراع" لأنه يؤدى إلى أن يصرع القوى الضعيف، وأحل محلها فلسفة "التدافع" الذى هو حراك يعدّل المواقف ويعيد التوازن والعدل وذلك فى قول الله: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ.. وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ.. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}.(4)...

1- ]الحج: 39- 40 [ 2- ] النحل: 125- 128[ 3- ] البقرة: 190- 192[.

4- ] فصلت: 33- 35[

كذلك يرفض الإسلام الفلسفات التى اعتبرت القتل والقتال وإزهاق الأرواح جبلّة جُبل عليها الإنسان، وغريزة من غرائزه المتأصلة فيه.. وقرر أن القتال هو الاستثناء المكروه، وليس القاعدة... وذلك فى قول الله: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ}.(2)، وليس هناك ما شرعه الله للمسلمين ووصفه أنه "كُرْه" سوى القتال!... ولما لا وقد قال الله: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}.(3)... ولقد بينت أحاديث النبى محمد  -وأكدت– هذه الفلسفة الإسلامية إزاء القتال، فقال رسول الله:"يَا أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا ".(4)... وحتى هذا القتال –الذى كُتب على المسلمين وهو كُره لهم– والذى وقف به الإسلام ودولته عند حدود القتال الدفاعى لحماية حرية العقيدة، وحرية الدعوة من الفتنة –التى هى أكبر من القتل المادى–، ولحماية حرية الوطن –الذى بدونه لا يُقام الإسلام-... حتى هذا القتال -الاستثناء والضرورة– قد وضع الإسلام ودولته له "دستوراً أخلاقياً" تجاوز فى سُموَّه كل المواثيق الدولية التى تعارف عليها المجتمع الدولى نظرياً، بعد أربعة عشر قرناً من ظهور الإسلام، وتطبيق المسلمين لقواعد الدستور الأخلاقى لهذا القتال.

وهذا الدستور الأخلاقى يتمثل فى ما ورد عن رسول الله : "أنه إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِى خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا ولاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ -أَوْ خِلاَلٍ- فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ".(5)، وتلك الخصال الثلاث هى: دعوتهم إلى الإسلام مع حفظ الأرواح والممتلكات، أو دفع الجزية مقابل حمايتهم، أو القتال.(6)

وقد صاغ أبو بكر -الخليفة الأول لرسول الله - قواعد هذا الدستور الأخلاقى للقتال والحرب، فى وثيقة إسلامية، عندما أوصى قائد جيشه يزيد بن أبى سفيان (18 هـ/ 639 م) وهو يودعه أميراً على الجيش الذاهب لرد عدوان البيزنطيين فى الشام، فقال -فى وثيقة الوصايا العشر-: "إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حَبسوا أنفسهم لله –الرهبان- فدعهم وما زعموا أنهم حَبسوا أنفسهم له... وإنى موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبيّاً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة، ولا بعيراً إلا

لمأكله، ولا تحرقن نخلاً، ولا تفرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن".(7)

2- ]البقرة: 216[ 3- ]المائدة: 32[ 4- متفق عليه.

5- مسلم 6- هذا هو الإسلام ج2 ص 64 7- رواه البيهقى فى السنن الكبرى.

فكانت هذه -"وثيقة الوصايا العشر"- دستور الآداب الإسلامية وأخلاقيات القتال، عندما يُفرض على المسلمين القتال.(1)

وفى هذا الصدد نذكر ما جاء بسفر التثنية من التوراة؛ حين جاء: }**حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح.. فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك.. وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها.. واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف.. واما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتاكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك**{.(2)، يقول القمص (تادرس يعقوب المالطى) (3) شارحاً تلك الآيات: "بالنسبة للأمم البعيدة يرسل إليهم لإقامة عهود سلام، لا يجوز لهم أن ينزلوا فى معركة مع الجيران ما لم يقدموا أولاً إعلاناً عاماً، يطلبون فيه الصلح... حيث تكون شروط الصلح هى:

1-جحد العبادة الوثنية، والدخول إلى عبادة الله الحى.

2- الخضوع لليهود.

3-دفع جزية سنوية.

ومن لا يقبل هذه الشروط لا يبقون فى مدينتهم كائناً حياً متى كانت من الأمم السبع الكنعانية، أما إذا كانت من المدن المجاورة فيقتل الرجال ويستبقى النساء والأطفال مع الحيوانات وكل غنائمها. أما سبب التمييز فهو ألا يترك أى أثر فى وسط الشعب للعبادة الوثنية".(4)

ولعل الفرق واضح تماماً بين ما يدعو إليه الإسلام وما يدعو إليه ما سواه.

1- هذا هو الإسلام ج2 ص 64 2- [10:20- 14 التثنية]

3-...كاهن كنيسة الشهيد مارجرجس والأنبا أنطونيوس-أتاوا-كندا. 4- تفسير سفر التثنية.ص408/القمص تادرس يعقوب المالطى

# الفصل الثالث: الإرهاب والإسلام

إن مصطلح الإرهاب فرض نفسه على وسائل الإعلام وفى الأدبيات التى تعنى بالفكر الدينى أو السياسى أو القانونى أو الاجتماعى أو العسكرى، كما ظهرت وثائق ومواثيق تدور حول الموضوع، أو تعمل لاستكشاف الدلالة والفعل فيه.

**الإرهاب: المصطلح والتعريف**

إن مصطلح الإرهاب بدلالة سياسية لم يعرفه عالم المصطلحات العربية فى المعاجم القديمة، ولعله قد أخذ طريقه إلى الوجود -كما تؤكد المصادر– عند الفرنسيين من خلال ما جرى من وقائع عُنفية بعد الثورة الفرنسية، وحالات الكرَّ والفرَّ السلطوية التى أعقبتها فى أواخر القرن الثامن عشر للميلاد، فكانت مصطلحات Terrorism (إرهاب- حكم إرهابى)، وTerrorist (إرهابى)، وقد أُطلق المصطلح الأخير على كل متمرد على السلطة، والذى يقترن تمرده بأعمال شغب وعنف ينتج عنها أذىً للآخرين.

أما عند العرب، فإن الفعل (رهب) يعنى خاف، والرهبة: مخافةٌ مع تحرُزٍ واضطراب، هذا فى لسان العرب والمعاجم القديمة.

أما فى المعاجم المعاصرة فإن المصطلح يظهر متأثراً بالمعاجم اللاتينية: ففى "المنجد": أرهبه= خوَّفه، والإرهابى= من يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطته، والحكم الإرهابى: حكم يقوم على الإرهاب والعنف. أما فى "الرائد" (لجبران مسعود): الإرهاب= رعبٌ تحدثه أعمال عنف كالقتل وإلقاء المتفجرات أو التخريب، والحكم الإرهابى نوع من الحكم الاستبدادى يقوم على سياسة الشعب بالشدة والعنف بغية القضاء على النزعات والحركات التحررية أو الاستقلالية.

ولذلك نجد فى اللغة العربية أن الارهاب ليس منسجماً مع المصطلح المتداول حالياً، ولعل مصطلح العنف يعبِّر عن الأمر بشكل أدق، ففى "لسان العرب" (لابن منظور): العنف= الخرق بالأمر وقِلةُ الرِفقِ به، وهو ضد الرفق، واعتنف الأمرَ: أخذه بعنف. والتعنيف: التوبيخ والتقريع واللَّوم.(1)... وفى أقوال رسول الله : "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِى عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِى عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِى عَلَى مَا سِوَاهُ ".(2)... أما فى النص القرآنى فقد ورد الفعلُ أو الاسم فى ثمانية مواقع هى:

1- {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}.(3)

2- {فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ}.(4)

1- لسان العرب/ ابن منظور ( كلمة: عنف) 2- صحيح مسلم

3- ]البقرة: 40 [ 4- ]الأعراف: 116[

3- {وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}.(1)

4- {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...}.(2)

5- {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}.(3)

6- {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}.(4)

7- {وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ}.(5)

8- {لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}.(6)

بمراجعة مواقع المصطلح فى النص القرآنى نجد أن ما ورد فى الأرقام 1،3،5،6.جاء بمعنى الخشية والخوف من الله. فهو متعلق بالرهبة من الله وليس من غيره.،

- وأما النص القرآنى فى الرقم 7 فجاء المصطلح متعلقاً بحال موسى وما هو عليه من الخوف عندما أظهر له الله الآيات التى يخاطب بها بنى اسرائيل ونجد هذا فى الآية التى سبقتها مباشرة: {يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآَمِنِينَ}.(7)، وفى الكتاب المقدس أيضاً: }فقال اطرحها إلى الأرض فطرحها إلى الأرض فصارت حية فهرب موسى منها{ (8)

إذاً لم يتبقَ فى النصوص القرآنية التى ذُكر فيها مصطلح الرهبة سوى فى الأرقام 2،4،8 وهى التى نجد فيها ما يتعلق بموضوعنا.

**-** فى الرقم 2 كان المصطلح يخص إرعاب سحرة فرعون للشعب بما ساقوه من سحر عظيم عندما ألقوا عصيهم فصارت ثعابين وذلك فى قول الله: {فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ}.، وجاء فى الكتاب المقدس: }طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين{.(9)

**-** فى الرقم 4 يكون معنى الآية: "وأعدوا -يا معشر المسلمين- لمواجهة أعدائكم ما استطعتم من قوة حربية شاملة لجميع عتاد القتال، من المرابطين فى الثغور وأطراف البلاد بخيلهم، لتخيفوا بهذا الإعداد والرباط عدو اللَّه وعدوكم من الكفار المتربصين بكم الدوائر، وتخيفوا آخرين لا تعلمونهم الآن واللَّه يعلمهم. لأنه لا يخفى عليه شئ".(10)... ويشرح المعنى الآية التالية لها: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.(11)... والتى ورد فى تفسيرها: "وإن مال الأعداء عن جانب الحرب إلى جانب السلم ، فاجنح لها

1- ]الأعراف: 154[ 2- ]الأنفال: 60[ 3- ]النحل: 51[ 4- ]الأنبياء: 90[ 5- ]القصص: 32[

6- ]الحشر: 13[ 7- ]القصص: 31 [ 8- ]4 : 3 سفر الخروج[ 9- ]7 : 12الخروج[

10- تفسير المنتخب 11- ] الأنفال: 61[

-أيها الرسول- فليست الحرب غرضاً مقصودا لذاته عندك إنما أنت قاصد بها الدفاع لعدوانهم، وتحديهم لدعوتك. فاقبل السلم منهم، وتوكل على اللَّه، ولا تخف كيدهم ومكرهم إنه سبحانه هو السميع لما يتشاورون به، العليم بما يدبرون ".(1)

**-** فى الرقم 8 يكون معنى الآية: "لأنتم -أيها المسلمون- أشد مهابة فى صدور المنافقين واليهود من الله؛ ذلك لأنهم قوم لا يعلمون حقيقة الإيمان".(2) حيث أن الخطاب فى الآية كان للمسلمين زمن النبوة، عندما كانوا فى مواجهات مع يهود المدينة.

ففى هذا النص القرآنى تأكيد على أن الإرهاب معناه فى القرآن: إلقاء الخوف فى قلوب الأعداء، وهذا الخوف يدفعهم إلى التسليم، فعندما لا تكون حالات قتل، ولا تكون أية آثار سلبية، فإن الإعداد والتجهيز بمفرده كاف لإلقاء هذا الرعب فى قلوبهم، وفى هذا جاء حديث رسول الله : "فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِىَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِىَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِىَ النَّبِيُّونَ".(3)، وفى كثير من مواجهات جيش الإسلام فى زمن النبوة والخلافة الإسلامية كان تحقيق هذا المعنى، ففى فتح مكة ظهر هذا المعنى، عندما دخل النبى محمد وجيشه وهم فى كامل عُدَّتهم وعَدَدِهم، فتصف (كارين أرمسترونج) (4) هذا المشهد بقولها: "وفى مكة، خشى كبارها من غزوة استئصال لهم عندما علموا باقتراب جيش المسلمين... وذهل (أبو سفيان) من مرأى أعداد المسلمين فى صلاة الفجر، ثم تحركهم بعد ذلك صوب مكة، فأسرع (أبو سفيان) عائداً إلى مكة، وهناك جمع الناس قائلاً فيهم: "يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به." ، فكان فتح مكة فتحاً سهلاً يسيراً دون قتال عدا مناوشة صغيرة سرعان ما انتهت، وصفتها (كارين أرمسترونج) قائلة: "أرادت قلة من قريش القتال، فجمع (عكرمة وصفوان وسهيل) قوة صغيرة حاولت الهجوم على جناح (خالد بن الوليد) من الجيش الفاتح، ولكن سرعان ما انهزموا، وفر كل من صفوان وعكرمة خوفاً على حياتهما، أما سهيل، فقد ألقى سلاحه ودخل بيته، ودخل بقية الجيش الإسلامى مكة دون مقاومة".(5)

وكان فتح المسلمين للقدس مثالاً آخر على هذه الرهبة التى كانت فى قلوب خصومهم، فيقول القس الانجليزى (كولن تشابمان): "حين حاصرت جيوش المسلمين القدس سنة 638 م، أدرك (سفرونيوس) بطريرك القدس أنه سيضطر إلى التسليم، لكنَّه أصرَّ على أن يتم التسليم لأكبر شخصية فى الدولة الإسلامية وحين اقترب عمر كان يرتدى ثياباً مصنوعة من وبر الجمال، وكانت كلها متسخة وممزقة".(6)

1- تفسير المنتخب / الأزهر 2- المرجع السابق. 3- صحيح مسلم.

4-...راهبة كاثوليكية إنجليزية،عنيت بدراسة الإسلام والدفاع عنه وعن رسوله، من مؤلفاتها(حياة محمد،محمد نبى لزماننا،الأصولية فى اليهودية والمسيحية والإسلام). 5- محمد نبى لزماننا / كارلين أرمسترونج ص 179 6- القدس لمن؟ القدس والصراع العربى الإسرائيلى/ القس:كولن تشابمان ص62

ويصف الداعية الإسلامى (د.طارق سويدان) هذا اللقاء بقوله: "ولما رأى البطريرك هذا المنظر هاله وأرعبه، وعظم شأن الإسلام فى نظره، وقال لقومه إن أحداً فى الدنيا لا يستطيع الوقوف فى وجه هؤلاء القوم، فسلِّموا لهم تنجوا".(1)

ويؤكد هذا المعنى قول القس (كولن تشابمان): "وفى القدس، وُلدت المسيحية ثانية بدخول (عمر بن الخطاب) والإسلام، الذى أظهر رسالته وتسامحه حين تقابل مع (سفرونيوس) بمحبة، وقبول، واحترام، وعهد؛ عهد الله وعهد الإنسان لأخيه الإنسان".(2)

وحتى إن وقع قتال فى معارك أخرى للمسلمين على مر التاريخ فهى ليست تحت مسمى الإرهاب بأى حالٍ من الأحوال، وهذا ما يؤكده (سيدربرج) قائلاً: "إن القتال الذى يدور بين وحدتين مسلحتين متنافستين فى صراع قوة سياسى لا يعد إرهاباً، حتى ولو كان أحد الجانبين من رجال حروب العصابات أو أخذ خصمه على حين غرة، وأى حرب مهما كانت غير عادية ستبقى مجرد قتال ما دامت كلُّ الأطراف فيها مستهدفة ً بوسائل مميزة".(3)

وإذا كنا قد تعرفنا على مصطلح الإرهاب الوارد فى القرآن وأحاديث رسول الله ، وفتوحات المسلمين فى عهد النبى وبعد وفاته، وفى المعاجم العربية القديمة، فهل نجد هذا المعنى يتطابق مع معنى الإرهاب الحالى (والذى جاء تعريفه -فى بيان مجمع البحوث الإسلامية فى الأزهر الشريف 2001 م- كالتالى: "الإرهاب: هو ترويع الآمنين، وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم، والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحرياتهم، وكرامتهم الإنسانية، بغياً وإفساداً فى الأرض"؟... وهل فى القرآن أو السنة أو معارك وفتوحات المسلمين فى الماضى البعيد والقريب ما يتناسب مع هذا المعنى لمصطلح الإرهاب؟!

وأما عن الجماعات الإسلامية التى ظهرت فى الآونة الأخيرة بمسميات شتى، والتى كانت من أسباب اتهام الإسلام بالإرهاب، فالمستشرق البريطانى البروفيسور (فريد هاليداى) –الأستاذ بجامعة لندن– يناقش هذا الموضوع قائلاً: "إن هذه الجماعات ليست المعبرة عن روح الإسلام، وهى لا تقدم المبادىء الإسلامية، ولكنها تقدم ما يبرر ممارساتها العدوانية، وهذه الجماعات لا تمثل ظاهرة إسلامية بل تمثل قوى نشأت فى مجتمعات معينة كرد فعل للمشكلات التى تعانى منها هذه المجتمعات، وهى مشكلات اجتماعية وسياسية،كما أنها رد فعل لما تشعر به هذه المجتمعات من مخاطر الهيمنة الخارجية، وما تتعرض له من رياح التغيير الاجتماعى والثقافى وخاصة بالنسبة لتغيير الوضع التقليدى للمرأة السائد فى مجتمعات بدوية، ولذلك فإن الغرب يخطىء حين

1- فلسطين التاريخ المصور/ د.طارق السويدان (طبعة الإبداع الفكرى – الكويت ص 84) 2- القدس لمن؟ القدس والصراع العربى.ص 73.

3- لا للإرهاب.نعم للجهاد/ د. أسعد السحمرانى ( طبعة دار النفائس- بيروت ص 16) نقلاً عن (سيدربرج ، بيتر.سي: م.س،ص56،57).

يستسلم لادعاء هذه الجماعات بأنها إسلامية، بدلاً من دراسة الظروف التى أدت إلى نشأة هذه الجماعات وهى ظروف خاصة بكل مجتمع من المجتمعات الإسلامية."(1)

**شبهة: الإسلام يدعو أتباعه لممارسة الإرهاب**

بعد هذا العرض لمفهوم الإرهاب فى الإسلام وتوضيح معنى الرهبة فى القرآن وفى أحاديث النبى محمد... يبقى سؤال: لماذا يُثار أن الإسلام يتضمن دعوة المؤمنين به لممارسة الإرهاب؟!

والجواب يبسطه لنا (هاليداى) فى قوله: "إن الخرافة الشائعة فى الغرب بأن الإسلام يتضمن دعوة المؤمنين به لممارسة الإرهاب، فإنه من المعلوم للدارسين للإسلام أنه لا توجد علاقة بين الدين الإسلامى والإرهاب، وعندما ظهر الإرهاب بمعناه المعاصر فى القرن التاسع عشر لم يكن المسلمون هم الذين روجوا له، وفيما بعد نشأ الإرهاب فى أيرلندا الشمالية، وسريلانكا، وغيرها من المجتمعات التى لا تدين بالإسلام، وإذا كان المقصود بالإرهاب هو النزعة للتعصب، وقمع المجموعات العرقية والدينية الأخرى، فسوف نجد فى تاريخ المجتمعات الإسلامية جرائم من هذا النوع، إلا أن المجتمعات الإسلامية ليست الوحيدة التى ظهرت فيها هذه الجرائم، فالمجتمعات الإسلامية لم تمارس التعذيب والإبادة العرقية لليهود، ولكن حدث ذلك فى الغرب فقط وفى ألمانيا النازية بالذات، كما حدث نفى اليهود الشرقيين من أسبانيا، واليوم نجد أن الشعوب الإسلامية التى تناضل من أجل تحرير أرضها ومن أجل الاستقلال هى المسئولة عن الإرهاب!!، فهناك فرق بين الإرهابيين والمقاتلين من أجل الحرية".(2)

1- المنصفون للإسلام فى الغرب ص 41،42 – نقلاًعن (الإسلام والغرب/فريد هاليداى). 2- المنصفون للاسلام فى الغرب ص 38.

# الفصل الرابع: سماحة الإسلام

إن السماحة التى تعنى: المساهلة واللين فى المعاملات، والعطاء بلا حدود، ودونما انتظار مقابل، أو حاجة إلى جزاء.. إن هذه السماحة -فى النسق الإسلامى– ليست مجرد كلمة تقال، ولا شعار يُرفع، ولا حتى صياغة نظرية تأملية ومجردة، كما أنها ليست فضيلة إنسانية، يمنحها حاكم ويمنعها آخر.. وإنما هى دين مقدس، ووحى إلهى.. وبيان لهذا الوحى الإلهى.. وتجسيد وتطبيق لهذا الدين فى دولة النبوة (1-11 هـ 622-632م) وفى دولة الخلافة الراشدة (11-41 هـ 632-661م).. وفى التاريخ الحضارى للشرق الإسلامى منذ ما قبل أربعة عشر قرناً، وحتى هذه اللحظات.. بل، لأن السماحة هى ثمرة الدين الخالد والشريعة الخاتمة، فإنها ستظل منهاجاً للإسلام والمسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.(1)

ففى الوقت الذى فهم فيه غير المسلمين دين الإسلام فهماً خاطئاً، وتوهم كثير منهم أنه دين عنف وتشدد، وأن فيه بعض التعاليم التى التبست عليهم أو توهموا أن بها تشدداً، وزعموا أن بعض الذين مارسوا بعض صور التشدد والإرهاب هم نموذج للمسلمين.. فى هذا الوقت الراهن؛لم يروا الإسلام –عبر عصور تاريخه الزاهر– عندما كان يتسع للتعددية الدينية، والآراء المذهبية، وكانت سماحته فى معاملة غير المسلمين من أهم الأسباب التى جعلت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً، ولم يغلق الإسلام أبوابه فى وجه غير المسلمين، بل إنه تعاون مع الجميع، واشتملت رسالته –ومصادرها من الكتاب والسنة والإجماع– على كل ما فيه خير ومصلحة للناس أجمعين.(2)

بل إن رب العزة  حين لخص دعوة رسول الله وبين سبب بعثته وإرساله للناس كافة، بَيَّن أنه إنما أرسله ليكون برسالته وبعثته رحمة للعالمين، حيث قال الله تعالى مخاطباً رسوله محمد : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}.(3)، وقد جعل الله فى القرآن ضوابط للدعوة إلى الإسلام فقال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}.(4)، وقال تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}.(5)، وأيضاً جعل الله العفو والصفح سبيلاً إلى مغفرة الله فقال تعالى: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.(6)

إن مظاهر السماحة فى الإسلام لمتعددة فمنها ما هو فى العبادات ومنها ما هو فى الأخلاق ومنها ما هو فى المعاملات، وتعددت أيضاً من وجه آخرن؛ فكان منها ما هو بين المسلمين بعضهم البعض، ومنها ما كان

بين المسلمين وغير المسلمين، وأيضاً منها ما كان بين السادة والعبيد- الرقيق-.

1- هذا هو الإسلام ج2 ص9 2- الإسلام دين التسامح/ أ.د. أحمد عمر هاشم 3- ]الأنبياء: 107[

4- ]البقرة: 256[ 5- ]الكهف: 29[ 6- ]النور: 22[

ولعموم الفائدة نستعرض فى السطور القادمة بعض مظاهر تلك السماحة، فنعرض:

**سماحة الإسلام مع المرأة... وسماحة الإسلام مع غير المسلمين... وسماحة الإسلام فى معاملة الرقيق.**

1- **سماحة الإسلام مع المرأة**:

إذا تحدثنا عن المرأة فى الإسلام وما دار حولها من قضايا، نجد أنه لن يتحدث عن تلك القضايا خيرٌ من المرأة ذاتها، ولهذا آثرنا أن نترك المجال للمرأة لتتحدث عن نفسها، ولكى يكون الحديث خاليًا من التحيز للدين أو العِرق، فرأينا أن الأولى فى هذا الشأن أن يكون المتحدث لا ينتمى لا للدين ولا للعِرق، فالمتحدث هى (أنّا مارى شيمل). تلك الشخصية العالمية صاحبة الثقل والمكانة العلمية، والتى قضت عمرها فى دراسة الإسلام والدفاع عنه، وتدليلاً على ما تقوله شيمل؛ نأتى بنموذج آخر من النساء وهى الراهبة الكاثوليكية البريطانية (كارين أرمسترونج Karen Armstrong) والتى درست الأديان عن عمق، مما جعلها تُنَصِّب نفسها -أيضاً- مدافعة عن الإسلام ورسوله، ومصححة للصورة الخاطئة التى لدى الغرب عنهما.(1)

**- المرأة والإسلام:**

تقول (أنا مارى شيمل) فى هذا الصدد: "إن الفكرة السائدة فى الغرب بأن الإسلام يعادى المرأة فكرة خاطئة، بل إن فى الغرب مفكرين يقولون: إن المرأة فى الإسلام كائن بلا روح، ولكى نعرف كذب هذا الادعاء علينا إلى العودة إلى القرآن وسوف نرى أنه يسوِّى بين الذكر والأنثى، وبين المؤمنين والمؤمنات، ولم يفرق بينهم فى مجال الفرائض الدينية، وإذا قيل: إن المرأة نصف نصيب الرجل فى الميراث. فذلك لسبب عملى، فالمرأة حين تتزوج تحصل على مهر مناسب، والزوج هو المسئول شرعاً عن الإنفاق عليها، وهكذا تظهر العدالة فى توزيع الأعباء والمسئوليات وفى النهاية سنجد أن المرأة هى الرابحة.. وإننى أقول للغربيين الذين يشوهون صورة الإسلام: إن الإسلام منح المرأة حق الاحتفاظ باسمها، وبما تملكه من مال قبل زواجها، وبما تكسبه بعد الزواج، وهذا يتضمن حق المرأة فى أن تعمل وتكسب من أية مهنة أو تجارة، والمرأة فى أوروبا لم تتوصل إلى حق الاحتفاظ بما تملكه من مال بعد زواجها إلا منذ فترة قريبة.. وإننى كمؤرخة للأديان أقف بإعجاب عند الآية 187 من سورة البقرة والتى تحدد العلاقة بين الرجل والمرأة فى إطار الزواج: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}.(2)، واللباس يعنى الذات أو النفس الأخرى، وبذلك يكون معنى الآية أن الرجل والمرأة يكمل كل منهما الآخر، وأن كلا منهما هو النصف الأفضل للآخر، وأعتقد أنه يجب تسليط الضوء على هذه الآية عند الحديث عن مكانة المرأة فى الإسلام، لأن هذه الآية تؤكد المساواة بين الرجل والمرأة بما لا يدع مجالاً للشك.(3)

1- المنصفون للإسلام فى الغرب.ص184 /أ. رجب البنا 2- ]البقرة: 187[

3- (حوار صحفى بينها وبين د. ثابت عيد نشر فى (مجلة أكتوبر) فى عدد 10 مارس 1996 م.)

وتقول (كارين أرمسترونج): "لم تكن النساء قبل الإسلام تستطيع أن تمتلك شيئاً فى بلاد العرب، فكل الثروات لدى ذكور العائلة، إلا فى مكة حيث كان الناس مختلفين قليلاً عن بقية الجزيرة، فاستطاعت بعض النساء الحصول على المواريث والاحتفاظ بالثروات وإدارتها بالتجارة أو غير ذلك، وكانت خديجة مثالاً، وإن كان نادراً فى مكة، وليس له مثيل فى المدينة. سخر معظم الرجال من فكرة أن ترث المرأة أو تدير أموالها. ليس للنساء حقوق شخصية، كيف يكون لهن؟ وباستثناءات قليلة، لم يفعلن شيئًا لمصلحة الاقتصاد، ولم يشاركن فى الغزو، فهن لم يجلبن أى ثروات للمجتمع.. فتقليديّا كانت المرأة جزءاً من أملاك الرجل، وبعد وفاته: تئول زوجاته وبناته إلى وريثه الذكر، والذى عادة ما يبقيهن بدون زواج، حتى يتحكم فيما لديهن، ويغتنى على حساب فقرهن... أما فى الإسلام فقد كان القرآن يحاول إعطاء النساء حقوقاً لم تتمتع بها نساء الغرب إلا فى القرن التاسع عشر".(1)

وأما عن عزل المرأة المسلمة وتحريم مشاركتها للرجال فى المجالس فتقول أنا (مارى شيمل): إن ذلك ليس من الشريعة، ولكنه نتيجة تطورات اجتماعية وسياسية، ولن نجد آية فى القرآن تفرض على المرأة الانعزال عن المجتمع، أو إبعادها عن أنشطة الحياة، وما حدث من فرض العزلة على المرأة جاء نتيجة أفكار لا وجود لها فى القرآن، ونتيجة التفسير الشعبى الساذج للقرآن، والتفسير المتأثر بالأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية فى مجتمع من المجتمعات الإسلامية، ففى الهند مثلاً، وتحت تأثير الهندوسية لم يكن مسموحاً للأرملة المسلمة بأن تتزوج مرة أخرى، وهذه ليست من أحكام الإسلام ولكنها من التعاليم الهندوسية، ولذلك بدأ مسلمو الهند فى محاربة مثل هذه التأثيرات الغريبة عن الإسلام، وهكذا يجب أن ننظر إلى كثير من الأمور من منظور اجتماعى وتاريخى.(2)

وتقول (أرمسترونج): كان تحرير المرأة مشروعاً عزيزاً على قلب النبى محمد، وقد أعطت حياة محمد العائلية فرصة لزوجاته لدخول عالم السياسة ، وأحسسن بالألفة فى ذلك، ولم يمر وقت طويل حتى بدأت النساء الأخريات الإحساس بذواتهن وقدراتهن، مما اعتبره أعداء محمد أمراً معيباً تجدر مهاجمة محمد عليه.(3)

فإن كانت (أنا مارى) قد دافعت عن وجهة نظر الإسلام فى جعل نصيب المرأة من الميراث نصف نصيب الرجل، فلعنا نشرح الأمر بشيء من التفصيل:

1- محمد نبى لزماننا / كارين أرمسترونج (طبعة مكتبة الشروق ص134،135 ترجمة: فاتن الزلبانى)

2- (مجلة أكتوبر) فى عدد 10 مارس 1996 م.) 3- محمد نبى لزماننا / كارين أرمسترونج -ص 136

لقد شرع الله للمرأة أن ترث ولم يكن ذاك مباحاً لها قبل الإسلام، وقد ورد فى ذلك أنه لما نزلت الفرائض التي فَرَضَ الله فيها ما فرض، للولد الذكر والأنثى والأبوين، كرهها الناس أو بعضهم وقالوا: تُعطَى المرأة الربع أو الثمن، وتعطى البنت النصف. ويعطى الغلام الصغير. وليس أحد من هؤلاء يقاتل القوم، ولا يحوز الغنيمة..، وهذا لأنهم كانوا قبل الإسلام لا يعطون الميراث إلا لمن قاتل القوم، ويعطونه الأكبر فالأكبر.

وقد نزلت آيات الفروض التى تحدد نصيب كل فرد من العائلة فى الميراث، ولتسوى بين الذكور والإناث فى الحق فى الميراث، بعدما كان الميراث عند أهل الجاهلية للذكور فقط، ولكن جعل الله للذكر مثل حظ الأنثيين؛ وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤنة النفقة على الزوجة والأبناء وفى بعض الأحوال على الآباء، فهو المنوط به إعداد المسكن والمشرب والملبس وما لازم تكاليف الحياة لكل من يعول أمرهم، بجانب معاناة التجارة والتكسب وتجشُّم المشقة.

ولكن مع كل هذا لم يكن للمرأة نصف نصيب الرجل فى كل الأحوال، فقد اختلفت أحوال المرأة فى الميراث باختلاف المورَّث ذاته، وباختلاف الوارثين أيضاً ، فمثلاً:

**-** ترث المرأة نصف ما يرث الرجل إن كانوا إخوة والمورِّث هو أحد الأبوين: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ

لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ}.(1)

**-** ترث المرأة مثل نصيب الرجل إن كانوا أبوين وكان المورِّث له ولد فأكثر أو بنتان فأكثر: {وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ}.(2)

**-** ترث المرأة أكثر من نصيب الرجل إن كانت هى الابنة الوحيدة للمورِّث وكان الرجل هو الجد: {وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ}.(3)، وهنا يبقى سدس يذهب للجد، فيكون للبنت ثلاثة أسداس وللجد سدسان وللجدة سدس.

وهكذا يختلف نصيب المرأة بالنسبة للرجل باختلاف أحوال الأسرة وعدد أفرادها وتكوينها، وليس الأنثى فى كل حال نصف نصيب الرجل، وباب المواريث باب كبير فى الفقه الإسلامى لا يستطيع أى شخص وإن كان من علماء المسلمين أن يدلى بدلوه فيه إلا إن كان دارساً له.

1- ]النساء: 11[ 2- الآية السابقة 3- الآية السابقة

**- شبهة: تعدد الزوجات فى الإسلام.**

لقد كان العرب يبيحون للرجل أن يجمع في عصمته من الزوجات ما شاء دون التقيد بعدد، وكان الذين جمعوا بين أكثر من أربع زوجات أكثر من أن ينالهم العد(1)،. وجاء الإسلام ومنهم من له العشرة من النساء والأكثر، والأقل، فقصر ذلك على أربع إن علم أنه يستطيع الإنفاق عليهن، والعدل بينهن، فإن خاف عدم العدل فليكتف بواحدة، وما كانوا في الجاهلية يلتزمون العدل بين الزوجات، وكانوا يسيئون عشرتهن، ويهضمون حقوقهن حتى جاء الإسلام فأنصفهن، وأوصى بالإحسان إليهن في العشرة، وقرر لهن حقوقا ما كن يحلمن بها(2).

وتقول أنا (مارى شيمل) عن تعدد الزوجات فى الإسلام: "إن القرآن يعطى رخصة فى التعدد وذلك فى قوله تعالى: {فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً}.(3)، وهو ما يجعلنا نجد أن التعدد ليس واجباً أو فرضاً ولكنه رخصة وهو مشروط بشرط العدل، ومجرد الخوف من عدم القدرة على تحقيق العدل يعنى عدم السماح بالتعدد، ومن الناحية العملية فإن وجود سيدات أرامل كثيرات فى الحروب سبب يجعل التعدد لصالح المرأة ولحمايتها، ويجب أن نعلم أن الرجل فى الجاهلية كان يحق له الزواج بعدد غير محدود من النساء، فجاء الإسلام وحدد العدد وجعل لهذا التعدد شرطاً لازماً وهو العدل، مما جعل رجال الإصلاح فى الفقه يقولون إن الزوجة الواحدة أفضل من الناحية الشرعية، لأن الرجل يصعب عليه أن يحقق العدل فى مشاعره بين زوجاته".(4)

وتقول (أرمسترونج): "لقد ترك المسلمون الذين ماتوا فى غزوة أُحد خلفهم زوجات وبنات بدون عائل، فنزل الوحى بعد الهزيمة يسمح للمسلمين باتخاذ أربع زوجات، وعلى المسلمين أن يتذكروا بأن الله خلق الناس من نفس واحدة، فكل من الذكر والأنثى متساويان أمام الله: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا}.(5)، وكثيراً ما يتعرض تعدد الزوجات لنقد شديد، على أنه السبب فى معاناة نساء المسلمين، ولكن فى وقت نزول الآيات، كان يعتبر تقدماً اجتماعيّا، حيث جاء نظام تعدد الزوجات –طبقًا للقرآن– بمثابة قانون اجتماعى، ليس بغرض مكافئة الشهية الجنسية للرجال، ولكن لرفع الظلم عن الأرامل واليتامى، وبصفة عامة

عن النساء اللاتى كن معرضات للظلم، فكما أن كثيراً ما يستحوذ بعض الأنانيين على كل شىء على حساب الضعفاء، كذلك كان كثير من النساء يتعرضن للاعتداء الجنسى ممن يُفترض أن يكونوا حماتهن من الوارثين

1- السيرة النبوية للصلابى –نقلاً عن(دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد  ص24،25) 2- المرجع السابق.نقلاً عن(السيرة النبوية لأبي شهبة) 3- ]النساء: 3[ 4- (مجلة أكتوبر) فى عدد 10 مارس 1996م. 5- ]النساء: 3[

الذكور، أو حتى يتحولن إلى أملاك تباع فى سوق العبيد، وكان (ابن أًبَى)(1) -على سبيل المثال- يجبر إماءه على الدعارة لحسابه، فرفض القرآن ذلك بحسم، وضمن للمرأة نصيبًا فى الميراث، فكان الهدف من تعدد الزوجات ضمان حماية المرأة بأن تتزوج بكرامة، وحدد التعدد المفتوح السابق للإسلام بأربع زوجات، مع وجوب معاملتهن بالعدل، ومع الامتناع عن سلبهن ممتلكاتهن".(2)

**- شبهة: حجاب المرأة.**

لقد أثير فى الآونة الأخيرة قضية حجاب المرأة المسلمة على أنه حبس للمرأة، وعلامة من علامات الرجعية والتخلف، وأن الله لم يخلق المرأة لتتستر بل لتبدى وتظهر جمالها. وهذا الكلام ما أنزل الله به من سلطان، ولا أرى قائله إلا جاهلاً بما جاء فى الأديان الثلاث المنزلة، ولم يكن رأيه إلا دعوة لإشاعة العرى والسفور.. والذى نريد أن نبينه هنا؛ أن حجاب المرأة فى الإسلام لم يكن رمزاً من رموز الدين، بل هو واجب وفرض شرعى فرضه الله على نساء المسلمين كافة، تشريفاً لهن وعفافا لهن، وستراً لهن من أعين أصحاب الأغراض المختلفة، وإننا لنجد أن المرأة كلما تكشفت كان ذلك سبباً فى مضايقتها من الرجال عديمى المروءة والأخلاق. ولعلنا نبين فى السطور القادمة أن حجاب المرأة فى الإسلام؛ ليس إلا شرع شرعه الله فى أديانه المنزلة، وعرفه وعمل به أهل تلك الأديان، مذعنين لله بالخضوع التام فى كل ما أراد.

- **حجاب المرأة فى التوراة:**

ففي سفر التكوين عن (رفقة):} أنها رفعت عينيها فرأت إسحاق، فنزلت عن الجمل وقالت للعبد: من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائي، فقال العبد: هو سيدي، فأخذت البرقع وتغطت{.(3)

وفى هذه الآية يقول القس (وليم مارش): "كانت العروس فى الشرق تُزف على زوجها محجبة الجسد كله وكان برقعها حينئذ أحمر والبرقع العادى أى فى غير أيام الزفاف أزرق أو أبيض".(4)

وفي سفر أشعيا نجد أن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن والمباهاة برنين خلاخيلهن. بأن ينزع عنهن: زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب.

1- عبد الله بن أبى بن سلول...رأس النفاق فى زمن النبى محمد. 2-محمد نبى لزماننا/كارين أرمسترونج-ص134

3- ]65:24 سفر التكوين[ 4- السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم/د.وليم مارش

- **حجاب المرأة فى الإنجيل:**

جاء فى رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس: }وأما كل امرأة تصلي أو تتنبا ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شيء واحد بعينه... إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها وإن كان قبيحا بالمرأة أن تقص أو تحلق فلتتغط{.(1)... يقول الآب (أنطونيوس فكرى): "عدم تغطية المرأة لرأسها متشبهة بالرجال إعلان عن عدم اعتزازها بجنسها كامرأة"، ويقول فى حلق شعر المرأة: "إنه شئ غير مقبول... وإن كان هذا قبيحاً للمرأة (فالشعر الطويل هو جمال المرأة) فلتغط شعرها".(2)، ويقول: "شعر المرأة قد أعطى لها كغطاء طبيعى تغطى به رأسها، شعر المرأة هو جمالها لذلك يجب تغطيته حين تقف أمام الله".(3)

وفى رسالة بولس الرسول إلى أهل تيموثاس. جاء: } إن النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بضفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن... بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة{.(4)

يقول الآب (أنطونيوس فكرى): "كانت تغطية رأس المرأة عادة شرقية، علامة على خضوع المرأة لرجلها، ومع التحرر الذى نادت به المسيحية، وأن المرأة مثل الرجل فى الرب، ظنت السيدات أنهن تحررن من كل شئ، فخلعن غطاء الرأس، فثار الرجال وأرسلوا لبولس شكوى بخصوص هذا الموضوع. وهنا نجد الرسول يؤيد تغطية المرأة لرأسها... وهنا نجد أن غطاء الرأس عادة شرقية ولكننا نجد الرسول يؤيدها طالما لا تتعارض مع الإنجيل، وكان النساء الشريفات يغطين رؤوسهن فى ذلك الوقت".(4)

- **حجاب المرأة فى الإسلام**

إن كان غطاء الرأس والبرقع –ما يستر الرأس وما يستر الوجه– قد ذُكرا فى التوراة والإنجيل وأن الأمر ليس ببدعة ابتدعها الإسلام، ولكنه من وسائل صيانة المرأة التى شرعها الله على مر الزمان. فِلمَ تدور الدوائر ولا ننظر إلا إلى ما ذكره الإسلام عن حجاب المرأة، صيانة لعفتها، وحفظاً لها من شر الأشرار وستراً لجمالها من أن تكون سلعة رخيصة ينظرها القاصى والدانى.

إن المرأة فى الإسلام لهى جوهرة ثمينة أراد الله حمايتها وصيانتها من عبث العابثين وكيد الكائدين، فلذلك أمر الله المرأة فى القرآن بأن تحتجب عن أعين الرجال ولا تظهر زينتها إلا إلى محارمها –الممنوع لهم الزواج منها على التأبيد– من أب وأخ وعم وخال وجد وابن وزوج، لأن نظرتهم لها ليست كنظرة الغريب عنها

1- ]5:11 رسالة بولس إلى كورنثوس[ 2- تفسير العهد القديم/ انطونيوس فكرى 3- المرجع السابق

4- ]9:2 رسالة بولس إلى تيموثاس[ 4- تفسير العهد القديم/ انطونيوس فكرى.

الذى ربما يشتهيها أو يفتن بها.. فجاء قول الله تعالى فى هذا الشأن على النحو التالى: {وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى}.(1)

وجاء قوله: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آَبَائِهِنَّ أَوْ آَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ}.(2)، وجاء قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ}.(3)، وجاء قوله: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ}.(4)

فتلك هى شريعة الإسلام التى منعت الزنا فمنعت كل ما يفضى إليه من تبرج وسفور وكشف للعورات والزينات... وهكذا عرضنا كيف كانت معاملة الإسلام للمرأة، وكيف حافظ عليها وعلى ما لها من حقوق، وكيف كانت المعاملة لها معاملة سمحة ليس بها أى لون من ألوان الإساءة، بل رفع من شأنها ووضعها فى مكانة لم تحظى بها قبل مجيئه لا فى الشرق ولا فى الغرب، وكيف أن المرأة فى الغرب لم تحظى بما للمرأة المسلمة إلا فى زمن قريب، وإن كانت لم تحظى حتى الآن بكل ما للمرأة المسلمة من حقوق وواجبات.

1**-** ]الأحزاب: 33[ 2- ]النور: 21[ 3-] الأحزاب: 59[. 4- ]الأحزاب: 53[**.**

**2- سماحة الإسلام مع غير المسلمين:**

لقد راعى الإسلام السماحة أيضا فى معاملة المسلمين لغيرهم من أصحاب العقائد الأخرى، فقال الله: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}.(1)... فنرى فى الآية كيف ميَّز الإسلام بين المحاربين له، وغيرهم ممن لا ينتصبون لقتاله، بل قرر الإسلام حماية أهل الذمة والمستأمنين ما داموا فى دار الإسلام، حماية لهم وتمكيناً لعبادتهم، حتى يتم التعاون بين عنصرى الأمة، وقد أكد الإسلام على حسن معاملة غير المسلمين فى مواطن كثيرة، فقد قال رسول الله : "ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة".(2)

ويتضح ذلك فى فتح مكة حينما دخلها رسول الله والمسلمون، وقد أتى إلى النبى  سادة مكة، فقال لهم: "ما تظنون أنى فاعلٌ بكم" قالوا: أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريم. فقال قولته المشهورة والتى دان له بها أهل قريش من المشركين بعد فتح مكة، قال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء".

وها هو (عمر بن الخطاب) يعيد التاريخ ثانية حينما فتح بيت المقدس، ووقَّعَ وثيقة بينه وبين سكان البلدة والتى ذكر جزء منها القس (كولن تشابمان) (3) فى كتابه (القدس لمن؟): "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا هو الضمان الذى مُنح لسكان "آيليا" من قِبَل خادم الله عمر، فهو يُؤَمنُهم على أشخاصهم، وبضائعهم، وكنائسهم، وصلبانهم -سواء كانت هذه فى حالة سيئة- وعلى عبادتهم بصفة عامة.. ولن تُصادر كنائسهم أو تُدمر... ولن تُفرض عليهم أى قيود فى موضوع الدين، ولن يتعرض أحد منهم للمضايقة...".(4)

فنظرة اليهود لتلك الوثيقة سجلها المؤرخ (أنجليوس رابوبورت) فى مؤلفه (تاريخ فلسطينHistoire de Palestine) فقال: "يجب أن نعترف بأن إعلاناً كهذا فى بداية القرن الوسيط -وقد التزمت به كل الجيوش الإسلامية عامة- هو إعلان حافل بالإنصاف، فهو يتنفس عدالة وتسامحاً، وما استطاع أباطرة بيزنطة ولا أساقفة الكنيسة أن يُعبِّروا مُطلقاً عن مشاعر من هذا القبيل باسم ذلك الذى دعاهم إلى دين الحب.. فإن وثيقة كإعلان الخليفة كانت كفيلة بإحداث تأثير عميق، لا فى روح اليهود فحسب، بل فى روح نصارى سورية وفلسطين، وبعضهم كان يعانى من الظلم والطغيان، فى حين كان الآخرون يعانون من اضطهاد الكنيسة التابعة لدولة جَرَّاءَ ما يعتنقون من آراء دينية مختلفة، وكان الجميع يتحملون أغلال الموظفين وأعباء الضرائب الباهظة".(5)

1- ] الممتحنة: 8[ 2- رواه البيهقى.

3-...قس بالكنيسة الأسقفية(الانجليكانية)، انجليزى، متخصص فى الدراسات الإسلامية،مشهور دولياً لنشاطه فى مجال الحوار بين الأديان.

4- القدس لمن؟/كولن تشابمان. ص105 5- فلسطين أرض الرسالات الإلهية / رجاء جارودى- ترجمة عبد الصبور شاهين.ص 144

ويتجدد اللقاء تارة أخرى مع القدس، ولكن تلك المرة مع (صلاح الدين الأيوبى) القائد المسلم، والذى حررها تارة أخرى من أيدى الصليبيين، وفيما يلى يُبيِّن (جيمس ريستون) بإيجاز الطريقة التى استرد بها (صلاح الدين) مدينة القدس. فيقول: "بالسلوك المثالى عندما تولوا المسئولية فى القدس سنة 1187م، اكتسب (صلاح الدين) مديحاً كثيراً باعتباره قائداً حكيماً، وبصفة خاصة بالمقارنة مع الدمار والفوضى اللذين أحدثهما الصليبيون الأوائل عند غزوهم هذه المدينة سنة 1099م، وبحمايته كنيسة القبر المقدس والمواقع المسيحية المقدسة الأخرى، وتسامحه مع الديانات الأخرى بقيت هذه الأمور عالقة بالاذهان لزمن طويل، ويبدو أن أعماله كانت تحدد ما المقصود من أن يكون المرء مسلماً صالحاً، وبصفحهِ عن أعدائه، وأعمال الخير الأخرى التى عملها معهم احتفظ لنفسه إلى الأبد بسُمعة طيبة لإنسانيته وحكمته".(1)

وفى هذا الصدد نجد (سير توماس أرنولد) (2) فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام) يقول: "وإذا نظرنا إلى التسامح الذى امتد على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسيحيين فى صدر الحكم الإسلامى، ظهر أن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة التصديق... وإنما كان يدفع الناس إلى الإسلام بقوة ويجذبهم إليه هى تلك العقيدة".(3)... ويقول: "وقد نجد عوامل أخرى ساعدت على تناقص الشعب المسيحى فى الحقيقة.. ولكننا لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن اضطهاد منظم قُصد منه استئصال الدين المسيحى، ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التى أقصى بها (فرديناند، وإيزابيلا) دين الإسلام من إسبانيا، أو التى جعل بها (لويس الرابع عشر) المذهب البروتستانتى مذهباً يعاقب عليه متبعوه فى فرنسا، أو بتلك السهولة التى ظل بها اليهود مُبعدين عن انجلترا مدة ثلاث مائة وخمسون سنة، وكانت الكنائس الشرقية فى آسيا قد انعزلت انعزالاً تاماً عن سائر العالم المسيحى الذى لم يكن فيه أحد يقف فى جانبهم باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين، ولهذا فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن ليحمل فى طياته الدليل القوى على ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من التسامح نحوهم".(4)

وهكذا تستمر شهادات غير المسلمين فى إثبات ما للإسلام من ميزات، وفى دفع ما لحق به من شبهات، فوجوه السماحة والتيسير فى الدين واضحة؛ فى عقيدته.. فهى عقيدة سمحة، لا إكراه عليها، ولا تعقيد فيها، وفى عباداته.. فهى سمحة ومُيَسَّرة لا يريد الله أن يجعل على المؤمنين فى الدين من حرج، وفى معاملاته.. فهى معاملةٌ حسنة مع المسلمين وغير المسلمين، فالدين المعاملة.

1- القدس لمن ؟.ص110،111 -نقلا عن(جيمس روستون ص95) 2-انجليزى، أستاذ كرسى الدراسات الإسلامية فى مدرسة اللغات الشرقية بلندن.

2- سماحة الإسلام/د.عمر بن عبد العزيز القرشى-ص147،148-نقلاً عن(الدعوة إلى الإسلام/سير توماس أرنولد). 3- المرجع السابق.

**3- سماحة الإسلام فى معاملة الرقيق:**

ومن وجوه السماحة أيضاً، سماحته مع الرقيق، حيث جاء الإسلام، والرق نظام معترف به فى جميع أنحاء العالم، بل كان عُملة اقتصادية واجتماعية متداولة لا يستنكرها إنسان، ولا يفكر فى إمكان تغييرها أحد.. وقد كانت منابع الرق فى دول العالم قبل الإسلام متعددة متنوعة، **فكان من هذه المنابع.. الاسترقاق بسبب:**

- شهوة الاستعباد فى الحروب، وامتصاص دماء الشعوب. - الفقر أو عدم وفاء الدين.

- ارتكاب الجرائم الخطيرة كالسرقة أو القتل. - العمل فى الأرض والإقامة فيها.

- الإساءة إلى طبقة الأشراف والكبراء. - الخطف والسبي.

إلى غير ذلك من المنابع التى يعدونها مبرراً لسلب حرية الإنسان، وجعله عبداً ذليلاً مملوكاً بين يدى السادة!!

فجاء الإسلام وجفف منابع الرق القديمة كلها، فيما عدا منبعاً واحداً باعتباره النظام العالمى السائد للرق فى الحروب وهو منبع رق الحروب، لكنه خفف من وطأة هذا المنبع؛ بأن وضعَ قانوناً فى معاملة هؤلاء الأسرى، وذلك قبل أن يكون هناك مؤسسات وهيئات وحكومات محلية ودولية لتضع قوانين فى هذا الشأن.

ويمكن أن نقصر معاملة الرقيق تحت ظل النظام الإسلامى فى ثلاثة بنود أساسية:

أ- اعتبار الرقيق كائناً إنسانياً له حق الكرامة والحياة.

ب- مساواة الرقيق فى الجنس البشرى فى الحقوق والواجبات.

ج- معاملة الرقيق معاملة إنسانية خاصة تشعره بإنسانيته فى لقاءاته مع الناس. (1)

**أ-** **ففيما يتعلق بالبند الأول وهو اعتبار الرقيق كائنا انسانياً له حق الكرامة والحياة.**

فإن الإسلام حين جاء، جاء ليرد البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم، وتباين طبقاتهم وأحوالهم.. إلى أصلهم ويقرر لهم وحدة الأصل والمنشأ والمصير.. فجاء قول الله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}.(2)... وجاء نبى الإسلام  لِيُفَصِّلَ ذلك المعنى ويبين أنه لا فضل لسيد على عبد، ولا لأبيض على أسود، ولا لعربى على عجمي إلا بتقوى الله. فقال: "يا أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا أسود على أحمر ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى".(3)

1- نظام الرق فى الإسلام /أ. عبد الله ناصح عُلوان 2- ] الحجرات: 13[ 3- رواه أحمد.

فمن هذه النصوص يتبين أن الرقيق فى ظل النظام الإسلامى كائن حى له حق الكرامة والحياة.. كأى مخلوق آخر على حد سواء؛ وأنه لا فضل بينه وبين أحد من البشر مهما علت جنسيته، ومهما سمت وجاهته.. إلا بتقوى الله والعمل الصالح..

**ب-** **أما فيما يتعلق فى مساواة الرقيق مع الجنس البشرى فى الحقوق والواجبات**:

فإن الإسلام سَوَّى بين الرقيق وبين أىّ إنسان آخر فى جميع الحقوق والواجبات، اللهم إلا فى بعض حالات خاصة أعفاه الإسلام منها لكونها تتعارض مع مسؤولياته المكلف بها كإعفائه من صلاة الجمعة، وفريضة الحج.. وبناء على تقدير مبدأ المساواة الذى منحه الإسلام للعبيد.. فقد قرر الإسلام لهم مبدأ المساواة فى العقوبات والحدود؛ فجاء عن رسول الله أنه قال: "من قتل عبده قتلناه، ومن جدع عبده جدعناه، ومن خصى عبده خصيناه".(1)

علماً بأن الإسلام خفف عن العبيد عقوبة الحدود، فجعلها على النصف من عقوبة الحر لاعتبارات نفسية واجتماعية وإنسانية.. وكذلك يقرر الإسلام للعبيد مبدأ الثواب الأُخرَوى، فهم كالأحرار فيما أعد الله لهم من جنات ونعيم مقيم إن استقاموا وعملوا صالحاً.. فقال تعالى:{وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ}.(2)... ولفظ الآية عام لكل ذكر أو أنثى سواء أكانوا عبيداً أم أحراراً، فقراء أم أغنياء..

**ج-** **أما فيما يتعلق بمعاملة الرقيق معاملة إنسانية خاصة تشعره بإنسانيته فى لقاءاته مع الناس:**

فجاء الإسلام ليقرر للعبيد مبدأ الأخوة الإسلامية.. فى أجلىَ صورها ومعانيها، فهم مع السادة إخوة متحابون متعاونون.. فقال رسول الله : "إخوانكم خَوَلكُم ملّكهُمُ الله إياكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم من الأعمال مالا يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم".(3)

حتى بلغ من رسول الله  أنه حينما كان ينازع فى مرض موته لم ينسَ أن يوصى بالرقيق، وقَرَنَهم مع وصيته بالصلاة. فقال: "الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم".(4)

ولم تكن تلك المبادىء التى تحدثنا عنها بمنأى عن الواقع، حيث كان هناك تطبيقُُ عمليُّ لتلك المبادىء فى زمن النبى وما بعده، ومن أمثلة ذلك التطبيق:**-** أن الرسول  قد آخى بين بعض الموالى وبعض الأحرار من سادة قريش؛ فآخى بين بلال بن رباح وخالد بن رويحة الخثعمى، وآخى بين زيد بن حارثة وعمه حمزة بن عبد المطلب، وزوج زيد لزينب بنت جحش.

1- رواه الترمذى 2- ]غافر: 40[. 3- متفق عليه 4- السلسلة الصحيحة للألبانى.

**-** أن الرسول  قد وَلْىَ أسامة بن زيد قيادة الجيش، مع ما فيه من سادة مكة والمدينة، ولِمَ لا وهو القائل: "اسمعوا وأطيعوا ولو استُعمِل عليكم عبدٌ حبشي كأن رأسه زبيبة، ما أقام فيكم كتاب الله".(1)

فإن كان الإسلام قد حدد مبادئ المساواة بين السادة والعبيد وقام بتطبيقها منذ أكثر من 1400 عام... فقد ظل العالم بأسره يعامل السود على أنهم أقل شأناً وأحقر مقاماً.. حتى أن الزعيم الأفريقى (نيلسون مانديلا) ظل بالسجن 27 عاماً بتهمة مناهضة التفرقة العنصرية، بعد أن بدأت محاكمته فى 9/10/1963م... وفى السادس من أكتوبر عام 1995م، اخترقت شوارع العاصمة الأمريكية واشنطن مسيرة (المليون أسود) والتى دعا إليها (لويس فرقان) -الزعيم الحالى لأقدم منظمة أو مؤسسة إسلامية فى أمريكا وهى منظمة (أمة الإسلام) والتى أسسها عام 1943م مواطن أمريكى أسود اعتنق الإسلام وأسمى نفسه (إليجا محمد)- وقد شارك فيها مليون وستمائة ألف أمريكى أسود، للإحتجاج على ما يتعرضون له، من اضطهاد وعبودية، وتفرقة عنصرية، وقد كان لليهود دوراً تاريخياً فى الإتجار بالسود، وشهدت بذلك كتابات الكثير من الباحثين والمؤرخين اليهود أنفسهم، ومنهم (هربرت آى بلوم) الذى قال فى الكثير من كتاباته أن "تجارة العبيد السود، كانت واحدة من أهم النشاطات اليهودية، وأن كبار التجار اليهود، كانوا يستثمرون أموالهم فى تجارة العبيد".(1)

ورغم كل هذا الذى جعله الإسلام للرقيق، فلم يكتفِ بتلك المساواة وحسن المعاملة، ولكن عمل على تحرير العبيد من هذا الرق بشتى الطرق.. فكان المنهج التشريعى الذى وضعه الإسلام فى تحرير الرقيق يتركز حول الوسائل التالية:

**1- العتق بالترغيب:**

وفيه جعل الإسلام من عتق الرقبة فى الدنيا سبيلاً للعتق من النيران فى الآخرة وذلك فى قول الله:{فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ.. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ.. فَكُّ رَقَبَةٍ}.(3)، وقال رسول الله : "مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنَ النَّارِ".(4)

**2- العتق بالكفارات:**

وهو وسيلة من أعظم الوسائل التشريعية فى تحرير الرقيق؛ والقرآن الكريم نص فى مناسبات كثيرة على تحرير الرقيق كفارة لما يرتكبه المسلم من مخالفات شرعية، وذنوب عارضة، بل وجعلها فى مقدمة الكفارات.. ولأن المسلم ليس ملاكاً وإنما هو من طبقة البشر، فهو يقع فى الذنوب إما عن عمد أو غير عمد، فحينما يكون من

1- صحيح البخارى 2- ]البلد: 11- 13[ 3- متفق عليه.

4- جريدة روز اليوسف عدد16 أكتوبر 2008-باب/ النهاردة..زمان- نقلاً عن(العلاقات السرية بين السود واليهود).

وسائل تكفيرها عتق الرقاب، فمعنى هذا أن الإسلام سعى سعياً حثيثاً على تحرير أكبر عدد ممكن من الأرقاء فى المجتمع الإسلامى.. **فمن وسائل العتق بالكفارة كما نص عليها القرآن**:

**-** القتل الخطأ.. فقال الله تعالى: {وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ..}.(1)

**-** الحنث باليمين المنعقدة.. فقال الله: {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ..}.(2)

**-** الظِهار -وهو أن يقول الزوج لزوجته: "أنت حرام على كظهر أمى" فَتُحرَّم عليه بهذا اللفظ - وذلك فى قول الله:{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا..}.(3)

**-** الجماع فى نهار رمضان.. فجاء أنه: "أتى رجل إلى النبي  فقال: هلكت وقعت على أهلي في رمضان قال: (أعتق رقبة)".(4)

**3- العتق بالمكاتبة:**

هو منح الحرية للرقيق متى طلبها بنفسه مقابل مبلغ من المال يتفق عليه السيد والرقيق، على أن يؤدى الرقيق المال إلى السيد مُقَسَّطَاً، فإذا أداه فهو حر، لقول الله: {وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آَتَاكُمْ..}.(5)

**4- العتق بحقه فى زكاة المال:**

ومن تيسير الله للرقيق أن جعل له حق فى أموال الزكاة، فقال الله:{ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ...}.(6)

**5- العتق بأم الولد:**

وهو أن الأَمَة حينما تكون مملوكة لمسلم، فإنه يحق له معاشرتها معاشرة الأزواج، فإذا ولدت له ولداً، وأَقرَ بأنه ابنه، أصبحت فى نظر الشرع "أم ولد"، وفى هذه الحالة يَحرُم على السيد بيعها، وإذا مات ولم يعتقها فى حياته، فإنها تصبح حرة بعد مماته مباشرة.

وهذه المبادئ التى قررها الإسلام للأرقاء واضحة الدلالة على تقرير الإسلام لفكرة المساواة الإنسانية الكاملة بينهم وبين السادة، وهى فى الحقيقة مبادئ خالدة وافية،لم يصل إليها قط أى تشريع بشرى، ونظام أرضى.. عبر التاريخ.. مما يؤكد أن الإسلام دين الواقعية والحياة.. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

1- ]النساء: 92[. 2- ]المائدة: 89[ 3- ]المجادلة: 3[

4- البخارى 5- ]النور: 33[ 6- ]التوبة: 60[.

# الباب الرابع : محمد رسول الله

* ***الفصل الأول: محمد قبل البعثة***
* ***الفصل الثانى: محمد والوحى***
* ***الفصل الثالث: محمد فى الكتاب المقدس***
* ***الفصل الرابع: محمد الخليفة الطبيعى للمسيح***
* ***الفصل الخامس: محمد رسول الله حقاً***
* ***الفصل السادس: قبسات من أخلاق محمد***
* ***الفصل السابع: محمد فى ميزان الغرب***

# الفصل الأول: محمد قبل البعثة

**بيئته:**

نشأ رسول الله فى بيئة صحراوية لا تعرف الزراعة ولا الصناعة إلا قليلاً وإنما كانت التجارة هى مصدر عيشهم، وكان الذين يمارسون التجارة من سكان الجزيرة العربية هم أهل المدن، ولا سيما أهل مكة فقد كان لهم مركز ممتاز في التجارة، وكان لهم بحكم كونهم أهل الحرم منزلة في نفوس العرب فلا يعرضون لهم، ولا لتجارتهم بسوء، وقد امتن الله عليهم بذلك في القرآن الكريم: {أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ}.(1)

وقد ابتُلِى العرب بتخلف ديني شديد، ووثنية سخيفة لا مثيل لها، وانحرافات خُلقية، واجتماعية، وفوضى سياسية، وتشريعية، ومن ثم قل شأنهم وصاروا يعيشون على هامش التاريخ، ولا يتعدون في أحسن الأحوال أن يكونوا تابعين للدولة الفارسية أو الرومانية، وقد امتلأت قلوبهم بتعظيم تراث الآباء والأجداد واتباع ما كانوا عليه مهما يكن فيه من الزيغ والانحراف والضلال ومن ثَم عبدوا الأصنام، فكان لكل قبيلة صنم (2).

وقد حالت هذه الوثنية السخيفة بين العرب، وبين معرفة الله وتعظيمه وتوقيره والإيمان به، وباليوم الآخر وإن زعموا أنها لا تعدو أن تكون وسائط بينهم وبين الله، وقد هيمنت هذه الآلهة المزعومة على قلوبهم وأعمالهم وتصرفاتهم، وجميع جوانب حياتهم، وضعف توقير الله في نفوسهم قال تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}(3)... أما البقية الباقية من دين إبراهيم عليه السلام فقد أصابها التحريف، والتغيير والتبديل، فصار الحج موسما للمفاخرة والمنافرة، والمباهاة وانحرفت بقايا المعتقدات الحنيفية عن حقيقتها وألصق بها من الخرافات والأساطير الشيء الكثير.

أما عن أخلاق العرب فقد ساءت، حتى أنهم أولعوا بالخمر والقمار، وشاعت فيهم الغارات وقطع الطريق على القوافل، والعصبية والظلم، وسفك الدماء، والأخذ بالثأر، واغتصاب الأموال، وأكل مال اليتامى، والتعامل بالربا، والسرقة والزنا... وكانت التقاليد والأعراف قد هيمنت على حياة العرب، وأصبحت لهم قوانين عرفية فيما يتعلق بالأحساب والأنساب، وعلاقة القبائل ببعضها والأفراد كذلك، فكانت كل قبيلة من القبائل العربية لها شخصيتها السياسية، وهي بهذه الشخصية كانت تعقد الأحلاف مع القبائل الأخرى، وبهذه الشخصية أيضًا كانت تشن الحرب عليها... وكانت الحروب بين القبائل على قدم وساق، فقد تكون أسبابها

شخصية أحيانًا، أو طلب العيش أحيانًا أخرى، إذ كان رزق بعض القبائل في كثير من الأحيان في حد سيوفها،

1- [العنكبوت: 67] 2- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث/على محمد الصلابى نقلاًعن(الغرباء الأولون،ص60). 3- [الأنعام: 36].

ولذلك ما كانت القبيلة تأمن أن تنقض عليها قبيلة أخرى في ساعة من ليل أو نهار لتسلب أنعامها ومؤنها، وتدع ديارها خاوية كأن لم تسكن بالأمس(1)... وقد قضى الإسلام على ذلك حتى كانت تسير المرأة والرجل من صنعاء إلى حضرموت لا يخافان إلا الله والذئب على أغنامهما.(3)

ولم يكن العرب أهل كتاب وعلم كاليهود والنصارى، بل كان يغلب عليهم الجهل والأمية، والتقليد والجمود على القديم -وإن كان باطلا- وكانت أمة العرب لا تكتب ولا تحسب وهذه هي الصفة التي كانت غالبة عليها، وكان فيهم قليل ممن يكتب ويقرأ ومع أميتهم وعدم اتساع معارفهم فقد كانوا يشتهرون بالذكاء، والفطنة، والتهيؤ لقبول العلم والمعرفة، ولذلك لما جاء الإسلام صاروا علماء، حكماء، فقهاء، وزالت عنهم الأمية، وأصبح العلم والمعرفة من أخص خصائصهم، وقد وضح ذلك عند حديثنا عن حضارة الإسلام(3).

وكانت المرأة عند كثير من القبائل كسقط المتاع، فقد كانت تورث، وكانوا لا يورثون البنات ولا النساء ولا الصبيان، ولا يورثون إلا من حاز الغنيمة وقاتل على ظهور الخيل، وبقي حرمان النساء والصغار من الميراث عرفا معمولاً به عندهم إلى أن نزل قوله تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا}.(4)، وكان العرب يُعيّرون بالبنات؛ وكثيرا ما كانوا يختارون دسها في التراب، ووأدها حية، ولا ذنب لها إلا أنها أنثى، وقد حدثنا القرآن الكريم عن حالة من تولد له بنت فقال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ - يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ ساءَ مَا يَحْكُمُونَ}.(5)

وكان بعض العرب يقتل أولاده من الفقر أو خشية الفقر فجاء الإسلام وحرم ذلك قال تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ}.(6)، وقال تعالى: {وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا}.(7)

وقد كان من سنن الله عزوجل في هذه الحياة، أن جعل لكل بداية نهاية، فمع اليوم غداً، وبعد الحدث جدثاً، ولكل مولود يوم موعود، وهذه سنة الله في الذين خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً، فكم من حضارة قامت وازدهرت ثم ما لبثت أن تبدلت وتبددت. ولكن جعل الله لهذه السنن أسباباً ونواميس وقوانين؛ حتى

يسهم البشر في صنعها؛ في تقديمها وتأخيرها، بحسب علمهم وحلمهم. وحتى يكون الجزاء من جنس العمل، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

1- السيرة النبوية/الصلابى نقلاً عن(دراسة تحليلية لشخصية الرسول/د.محمد قلعجى) 2- المرجع السابق نقلاً عن(السيرة النبوية لأبي شهبة 1/93)  
3- المرجع السابق 4- [النساء: 7] 5- [النحل: 58-59] 6- [الأنعام: 151] 7- [الإسراء:31].

فهكذا لمّا اندرست معالم التوحيد في أرض الجزيرة وترك الناس ملة الحنيفية خلا نفر قليل، واجتالت الشياطينُ البشرَ فتاهوا بين وثنية، ومجوسية، ويهودية، ونصرانية، (وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلاّ بقايا من أهل الكتاب)(2).، أمست حضارة العرب في حضيض وغدو في شر حال(2) وآذن الناس بهلاك، ولكن اقتضت رحمة الله أن ينبثق فجرٌ وأن يُبعث رسولٌ يخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم إلى صراط مستقيم:

لمّا أطل محمدٌ زكت الربى... واخضر في البستان كل هشيم.

فألف الله به بين الشمل وجمع به بين القلوب وعصم به من كيد الشيطان... واقتضت حكمته أن تكون أرض النبوة الخاتمة والرسالة العالمية الخالدة هي أرض الجزيرة العربية. ليبلغ أهلها رسالة ربهم إلى الناس كافة "فالعرب هم حملة شريعة الإسلام إلى سائر المخاطبين بها.. لأنهم يومئذ قد امتازوا من بين سائر الأمم باجتماع صفات أربع لم تجتمع في التاريخ لأمة من الأمم، وتلك هي: جودة الأذهان، وقوة الحوافظ، وبساطة الحضارة والتشريع، والبعد عن الاختلاط ببقية أمم العالم. فهم بالوصف الأول: أهل لفهم الدين وتلقيه. وبالوصف الثاني: أهل لحفظه، وعدم الاضطراب في تلقيه. وبالوصف الثالث: أهل لسرعة التخلق بأخلاقه، إذ هم أقرب إلى الفطرة السليمة... وبالوصف الرابع: أهل لمعاشرة بقية الأمم، إذ لا حزازات بينهم وبين الأمم الأخرى"(3).

**نسبه:**

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر-وهو الملقب بقريش وإليه تنتسب القبيلة- بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن هميسع بن سلامان بن عوص بن بوز بن قموال بن أبىَّ بن عوام بن ناشد بن حزا بن بلداس بن يدلاف بن طابخ بن جاحم بن ناحش بن ماخى بن عيض بن عبقر بن عبيد بن الدعا بن حمدان بن سنبر بن يثربى بن يحزن بن يلحن بن أرعوى بن عيض بن ديشان بن عيصر بن أفناد بن أيهام بن مقصر بن ناحث بن زارح بن سمى بن سمى بن مزى بن عوضة بن عرام بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.(4)

1- جزء من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه وهو عند مسلم برقم 2865.

2- عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: "لقد بعث الله النبي على أشد حال بعث عليها نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية ما يرون أن دينا أفضل من عبادة الأوثان فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل". رواه الإمام أحمد في المسند والبخاري في الأدب المفرد.

3- خصائص جزيرة العرب ص61، للشيخ بكر أبو زيد. مع اختصار يسير. 4- الرحيق المختوم / صفى الرحمن المباركفورى ص45

**أعمامه:**

كان لجده (عبد المطلب) عشرة بنين، وهم: الحارث والزبير وأبو طالب، وعبد الله(1) وحمزة، وأبو لهب، والغيداق ، والمقوم، وصفار، والعباس.

وأما البنات فست وهن: أم الحكيم، وبرة، وعاتكة، وصفية، وأروى، وأميمة.(2)

**مولده:**

ولد (محمد) فى عشيرة بنى هاشم، واحدة من أوسط عائلات قريش. فى صبيحة يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول، لأول عام من حادثة الفيل(3)، ولأربعين سنة خلت من مُلك كسرى أنوشروان، ويوافق ذلك العشرين أو الثانى وعشرين من شهر أبريل سنة 571 م، ولما ولدته أمه أرسلت إلى جده (عبد المطلب) تبشره بحفيده، فجاء مستبشراً ودخل الكعبة، ودعا الله وشكر له، واختار له اسم محمد - وهذا الاسم لم يكن معروفاً فى العرب، ويقول (ول ديورانت) فى هذا الاسم: "ولفظ (محمد) مشتق من الحمد وهو مبالغة فيه، كأنه حمد مرة بعد مرة، **ويمكن أن تنطبق عليه بعض فقرات في التوراة تبشر به**.(4) وختنه يوم سابعه كما كان العرب يفعلون.(5)

وكانت العادة عند الحاضرين من العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم، ابتعاداً لهم عن أمراض الحواضر؛ لتقوى أجسامهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربى فى مهدهم، فالتمس جده عبد المطلب مرضعة تدعى (حليمة السعدية).(6)

وكان جده الأكبر (عبد المطلب) شيخاً معظماً فى قريش، يصدرون عن رأيه فى مشكلاتهم ويقدمونه فى مهماتهم(7)، وكان أول من تاجر لحسابه مع الشام واليمن، وكان لبنى هاشم شرف سقاية الحجاج، ولكن أصابت هاشماً ضائقة مالية. كذلك مات أبوه (عبد الله) قبل ولادته، وكانت أمه (أمنة) فى شدة حتى أن المرضعة التى أخذت محمداً كانت من أفقر قبائل الجزيرة العربية، وعاش محمدٌ عند (حليمة السعدية) ست سنوات(8) من الحياة البدوية فى أخشن صورها، وكانت من أول ما ظهر له من البركات، أن صارت غنيمات حليمة -بعدما صار هو بينهم- تؤوب من مرعاها وإن أضراعها لتسيل لبناً، بعد أن كانت مجدبة جافة لا لبن فيها.، وبعد عودته إلى مكة بسنة، ماتت أمه، مما ترك فيه حزناً مضاعفاً واهتماماً كبيراً باليتامى لما كبُر.

1- عبد الله... هو والد النبى محمد 2- الرحيق المختوم. ص43.

3- هى محاولة هدم الكعبة بواسطة جيش يقوده أبرهة الأشرم والى النجاشى على اليمن، وكان يتقدمها مجموعة من الفيلة.

4- قصة الحضارة/ول ديورانت (محمد فى مكةج13ص21) 5- الرحيق المختوم. ص 45 6- الرحيق المختوم ص46.

7- نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين/ محمد الخُضرى. ص13 8- اختلف أهل السير فى مكوثه  عند حليمة، ما بين ثلاث إلى خمس سنوات.

وقد عاش محمد مع جده (عبد المطلب)، الذى أحبه وقربه إليه، وكان يأخذه معه إلى الكعبة وسط أعمامه، ويجلسه بجواره ويربت على ظهره بحب، ولكن مات عبد المطلب ومحمد ما زال فى الثامنة ولم يرث شيئاً،

فأخذه عمه (أبو طالب) –كبير بنى هاشم، وذو المكانة الرفيعة فى مكة- برغم أن أعماله التجارية كانت فى هبوط. وأحب أبو طالب محمداً حباً كبيراً، وكذلك أحبه أعمامه.(1)

ونهض (أبو طالب) بحق ابن أخيه على أكمل وجه، وضمه إلى ولده، وقدمه عليهم، واختصه بفضل احترام وتقدير، وظل فوق أربعين سنة يعز جانبه، ويبسط عليه حمايته، ويصادق ويخاصم من أجله.(2)

ولما بلغت سن (محمد) اثنتى عشرة سنة، أراد عمه وكفيله السفر بتجارة إلى الشام، فاستعظم محمدٌ فراقه، فرَقَّ له، وأخذه معه، وهذه هى الرحلة الأولى، ولم يمكثوا فيها إلا قليلاً، وقد أشرف على رجال القافلة- وهم بقرب بصرى- بحيرا الراهب، فسألهم عما رآه فى الكتاب المقدس من بعثة نبى من العرب فى هذا الزمن، فقالوا: إنه لم يظهر إلى الآن، وهذه العبارة كثيراً ما كان يلهج بها أهل الكتاب من اليهود والنصارى قبل بعثة محمد(3)، ولذلك ورد فى القرآن قول الله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ}.(4)

ولقد شهد (محمدٌ) عند بلوغه الخامسة عشر حلفاً استراتيجياً، يُطلق عليه حلف الفضول، تداعت إليه قبائل من قريش، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى تُرد عليه مظلمته، رغم أن هذا الحلف روحه تنافى الحمية الجاهلية التى كانت العصبية تثيرها، وقد قال محمدٌ بعد أن أكرمه الله بالرسالة: لقد شَهدّتُ حلفاً ما أُحب أن لى به حمر النعم، ولو أُدْعَىَ به فى الإسلام لأَجَبت.(5)

ولأن محمداً لم يرث من والده شيئاً، وقد ولد يتيماً فقيراً، فعندما بلغ مبلغاً يمكنه أن يعمل عملاً ما، اشتغل برعى الأغنام لأهل مكة، حتى أثَّرت تلك الحرفة فى شخصيته، فسكن قلبه الرأفة واللطف تعطفاً بأضعف البهائم، حتى أصبحت تلك السمات هى نفس سمات تعامله مع البشر.(6)

فلما بلغ الخامسة والعشرين من عمره، وكانت أخباره وصفاته الحميدة قد زاعت بين الناس، حتى سمعت بها (خديجة بنت خويلد) -وهى امرأة تاجرة ذات شرف ومال، كانت تستأجر الرجال فى مالها، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم-، فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، وأرسلت معه غلاماً لها، فلما أنهى الرحلة إلى الشام –كانت هذه رحلته الثانية- وعاد إلى مكة، رأت

1- محمد نبى لزماننا / كارلين أرمسترونج. ص36،37 2- الرحيق المختوم ص48 3- نور اليقين ص.17

4- ]البقرة: 89[. 5- الرحيق المختوم بتصرف ص48 6- نور اليقين ص 22 .

خديجة فى مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل هذا، وأخبرها غلامها بما رأى من خلال محمد العذبة، وشمائله الكريمة، وفكره الراجح، ومنطقه الصادق، ونهجه الأمين، وبهذا النجاح الذى حققه محمد فى تجارته وهذه الخصال الكريمة التى عرفتها عنه، وجدت فى فيه ضالتها المنشودة -مع أن السادات والرؤساء كانوا يحرصون على الزواج منها فتأبى عليهم- فتحدثت بذلك إلى صديقة لها، فلم تلبث تلك الصديقة إلى أن تُعلمْ محمد بما فى

نفس خديجة، فرضى محمد بالزواج من خديجة، وكانت خديجة تبلغ الأربعين من عمرها وقد سبق لها الزواج، لكنها كانت أفضل نساء قومها نسباً وثروةً وعقلاً، وتزوجها محمد ولم يتزوج غيرها، إلى أن ماتت وهو فى الخمسين من عمره، ويقول (ديورانت) فى هذا الشأن ما نصه: "ولم يتزوج غيرها حتى توفيت بعد ذلك بستة وعشرين عاماً، ولم يكن الاقتصار على زوجة واحدة أمراً مألوفاً عند أغنياء العرب في ذلك الوقت".(1)، وقد أنجب محمد من خديجة كل أولاده عدا (ابراهيم) –كان من (مارية القبطية) (2)-، فكان له منها القاسم وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وعبد الله، وقد مات بنوه كلهم فى صغرهم، أما البنات فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن مع رسول الله ، إلا أنهن أدركتهن الوفاة أيضاً فى حياته، سوى فاطمة ماتت بعده بستة أشهر.(3)

ولما بلغت سن محمد خمساً وثلاثين سنة، جاء سيل جارف، فصدع جدران الكعبة بعد وهنها من حريق كان أصابها من قبل، فأرادت قريش هدمها ليرفعوها ويسقفوها، فاجتمعت قبائلهم لذلك، فهدموها، ثم ابتدئوا فى البناء، وأعدوا لذلك نفقة، واتفقوا على ألا يدخل فى تلك النفقة مهر بغيّ، ولا بيع ربا، وذلك تعظيماً لبيت الله وتقديساً له، فلما تم البناء وأرادوا وضع الحجر الأسود فى موضعه، اختلف أشرافهم فيمن يشرُف برفع الحجر وتنافسوا على ذلك، حتى كادت تشب بينهم نار الحرب، ودام بينهم الخصام أربع ليال حتى اتفقوا على أن يحكِّموا بينهم أول قادم عليهم، فكان أول قادم عليهم هو محمد بن عبد الله فاطمأن الجميع له وقالوا: هذا الأمين رضيناه ، هذا محمد -وكانوا يتحاكمون إليه ويعهدون فيه الأمانة وصدق الحديث- فلما أخبروه الخبر بسط رداءه، وقال: "لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب"، ثم وضع فيه الحجر، وأمرهم برفعه حتى انتهوا إلى موضعه، فأخذه ووضعه فيه.، وبهذا القضاء الحكيم انتهت المشكلة وخمدت الحرب بين القبائل قبل أن تشتعل، ولا يُستغرب من قريش تنافسهم هذا؛ لأن الكعبة هى قبلة العرب وكعبتهم التى يحجون إليها، فكان لزاماً أن يكون كل عمل بها عظيم وفيه الفخر والتشريف.(4)

1- قصة الحضارة /محمد فى مكة.ص22 2-...الجارية التى أهداها إليه المقوقس عظيم القبط فى مصر.

3- الرحيق المختوم ص51 4- نور اليقين ص21 بتصرف.

**سنوات سبقت الوحى:**

ولِما عرفناه عن محمد من نضاجة العقل وحسن التفكير، ما كان ليفوته ما عليه قومه من عبادة أحجار صنعوها بأيديهم، يقدمون لها القرابين، ويذبحون لها ويصلون لها فى الأزمات، راجين منها جلب النفع ودفع الضر، وما هى التى تنفع أوتضر، وقد كثرت الآلهة، فأصبح لكل قبيلة إله يقف مع الآلهة الاخرى فى بيت الله، هذا بجانب الإله هُبَل -والذى كان له تمثال كبير داخل الكعبة- وثلاثة آلهة آخرى كانت تسمى ببنات الله وهى: اللات، والعزى، ومناة، فكانوا ينشدون أثناء طوافهم بالكعبة: "واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فإنهن الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى"، غير أنهم يرون أن الله وهو إله الكعبة يَسموا على كل هذه الآلهة، وما تلك الآلهة كلها إلا واسطة بينهم وبينه، ويُعبر القرآن عن مفهومهم هذا بقول الله تعالى مخبراً عنهم:{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}.(1)، ولكن كانوا ينظرون إلى الله على أنه بعيد عن العالم وقليل التأثير على الناس فى حياتهم اليومية، فلم يصنعوا له تماثيل، فمثله عندهم كمثل بقية الآلهة العليا، أو آلهة السماء المعروفة فى الأديان القديمة، وقد جاء فى التوراة ما يؤكد هذا المعنى، حين قال داوود: }لأنى أنا قد عرفت أن الرب عظيم، وربنا فوق جميع الآلهة{(2)، ومع أن آلهة العرب لم تعط لهم هداية أخلاقية، فقد وجد كثير من العرب فى طقوس العبادة ما يكفيه، ولكن بعض القرشيين وجد أن تلك الأوثان الحجرية رموز غير كافية للمقدس.(3)

ويُثبت ذلك ما قاله (بروكلمان) (4) أنه: "ليس من شك فى أن العرب كانوا فى أول الأمر يؤدون الشعائر الدينية إلى تلك الآلهة التى كانت أقرب إليهم من الله... حتى إذا أوشك فجر الإسلام أن يبزغ لم تبق هذه العبادة قادرة على أن تملأ وجدان العرب الدينى بكامله، وهكذا انحط شأن هذه العبادة وانحطت دلالتها انحطاطاً متواصلاً كان يرافقه –دائماً– تعاظم أهمية الشعور الدينى العام القائم على أساس الإيمان بالله، وفى مكة أخذ الله يحتل شيئاً فشيئاً محل هُبَل، الإله العربى القديم، كرب للكعبة".(5)

وكان العرب قد عرفوا الديانتين التوحيديتين: اليهودية والمسيحية، وذلك من خلال رحلاتهم التجارية إلى الشام واليمن، ومخالطتهم ببعض أهل هاتين الديانتين، عند مقابلة بعض الرهبان والنساك المسيحيين، وبعض أحبار اليهود، حيث كان لليهود قبائل فى شبه الجزيرة، منها ما يطلق عليها يهود بنى النضير، ويهود بنى قريظة، ويهود بنى قينقاع، كذلك عرفت العرب الوثنيون أن الكتاب المقدس يقول عنهم أنهم أبناء إسماعيل، الابن الأكبر لإبراهيم، أى أنهم واليهود والنصارى أبناء عمومة واحدة، ولما كان العرب يرون أنهم يعبدون إلهاً واحداً هو الذى يدعونه فى الأزمات، وما كثرة الآلهة لديهم إلى لتشفع لهم عند الله، وأن اليهودية والنصرانية لا تخرج من منظورهم عن توحيد الإله، فلم يشعر العرب بضرورة التحول إلى اليهودية أو النصرانية، لأنهم اعتقدوا أنهم كلهم أعضاء فى الديانة الإبراهيمية، وفى الواقع كانت فكرة التحول من إيمان إلى آخر غريبة على قريش، بجانب أنه لم يكن العرب يرون اليهودية أو النصرانية كديانة حصرية مختلفة بشكل كبير عن دينهم، فكلمة "يهودى" أو "مسيحى" تشير لديهم إلى انتماء قَبلى أكثر مما تشير إليه من اتجاه دينى... ولكن مع تمسك العرب بما هم عليه من عبادة الأوثان، إلا أن بعض عرب الحضر صاروا غير راضين بالتعددية الوثنية، حتى قال بعضهم لبعض: "تعلمون والله ما قومكم على شىء، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر -صنم- نطوف به، لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع! يا قوم التمسوا لأنفسكم "ديناً" فإنكم والله ما أنتم على شىء".، فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية، فذكرت الوثائق أن هناك من تحول إلى النصرانية، ومنهم من ترك عبادة الأوثان وتلمس دين إبراهيم ليتبعه، كزيد بن عمرو بن نفيل الذى كان يقول: "يا معشر قريش، والذى نفس زيد بيده، ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى". ثم يقول: "اللهم لو أنى أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به، ولكنى لا أعلمه".(6)

1-]الزمر: 3[ 2- ]سفر المزامير 5:135[ 3- محمد نبى لزماننا. ص40،42 بتصرف.

4-كارل بروكلمان...ألمانى،أستاذ فى عدة جامعات. 5- نبوة محمد ص368 - نقلاً عن( تاريخ الشعوب الإسلامية ص26).

6- محمد نبى لزماننا ص 41 بتصرف.

فما كان لمحمد أن يفوته ما عليه قومه من هذا الحال المتردى ومن عادات وتقاليد لا تسمو إلى طبيعة البشر التى أوجدها خالقها، فبعد أن أدرك الخلل الذى أصاب مكة، خاصة فى أجيالها الجديدة، حيث أصبحت التفرقة واضحة بين الأغنياء والفقراء، وقد عاش الأوائل حول الكعبة، وعاش الباقون فى أطراف مكة البعيدة، وتخلى أهل مكة عن المروءة والكرم، وانقلبوا بخلاء تحت زعم مهارة التجارة والاقتصاد، وأصبح بعضهم لا يؤمن بالقدر، بل وصل ببعضهم التفكير فى أن الثراء سيجلب لهم نوعاً من الخلود.

وبعد تزايد إدراك محمد، بأن قريشاً تخلت عن أفضل ما فى المروءة واستبقت أسوأ صورها، من طيش وتكبر، إلى إحساس متضخم بالذات، مما يدمر أخلاقيات المجتمع ويؤدى به إلى الهلاك.

فكان فيما سبق ذكره الكفاية لدفع محمد إلى أن يترك نفسه لسجيَّتها، سجية التفكير والتأمل، وقد كان من عادة العرب إذ ذاك أن ينقطع مفكروهم للعبادة زمناً فى كل عام يقضونه بعيداً عن الناس فى خلوة، يتقربون إلى آلهتهم بالزهد والدعاء، ويتوجهون إليها بقلوبهم يلتمسون عندها الخير والحكمة وكانوا يطلقون على هذا الانقطاع للعبادة: التحنف والتحنث، فوجد محمد فى ذلك التحنث خير ما يُمَكِّنه من الإمعان فيما شُغلت به نفسه من تفكير وتأمل، كما وجد فيه طمأنينة نفسه وشفاء شغفه بالوحدة يتلمس أثناءها الوسيلة إلى ما لم يبرح شوقه يشتد إليه من نشدان المعرفة واستلهام ما فى الكون من أسباب.(2)

2- حياة محمد/ محمد حسين هيكل (طبعة دار المعارف ص145بتصرف).

**شبهة: تمرد محمد**

ولم يكن الظلم الاقتصادى فى البيئة المكية سبباً لتفكير محمد فى حال قومه كما قال (جولدزيهر): "المادية وكبرياء الجاهلية وتحكم الأغنياء فى الفقراء هى الميزات السائدة عند أشراف تلك المدينة... ورأى محمد هذا فأخذ يشكو من اضطهاد الفقراء، وطمع الأغنياء، وسوء المعاملة, وعدم المبالاة بالصالح العام".(1) حيث لم يكن ثمة ارتباط بشكل مباشر بين الوحى وبين العوامل السياسية والاقتصادية السائدة فى مكة أو فى غيرها من بلاد العرب، بل كان الوحى نفسه هو العامل الذى جاء ليقلب ملامح الحياة العربية، لا العكس، أما عن تأثر محمد بتلك الأحوال الاقتصادية وعلاجه لها فهو تأثر وعلاج الرجل الفاضل بدون زيادة أو نقصان، ويتضح هذا من شهادة خديجة وتخفيفها من روعه عندما التقى بالوحى الإلهى لأول مرة فتقول له: "لايخزيك الله أبداً. إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر.(2)

إضافة إلى هذا فإن الوثائق لا تخبرنا مطلقاً عن شكوى محمد من الظلم السائد فى مكة كما يزعم (جولدزيهر)، ولا عن منع كبار التجار له من أن يصبح واحداً منهم كما زعم (مونتغمري وات) (3) حين ربط بين الظلم السائد فى مكة وبين محمد، حيث جعله يتضرر شخصياً، وبشكل مباشر من هذا الظلم، فقرر مثلاً أنه كان يمتلك موهبة الإدارة، فقال: "التى كان من الممكن له تسيير أعظم العمليات فى مكة، ولكن كبار التجار أبعدوه عن محيطهم".(4)

وواقع الحال أن لا أحد من هؤلاء التجار كان يستطيع أن يمنع محمد أو أى رجل فى مثل نسبه وفى مثل صهره، ومكانته وأخلاقه بأن يصبح أى شيء أراد.

وسنجد التأكيد على ما سبق فيما هو أعظم من ذلك؛ فحين أفسد محمد عليهم نسائهم وأبناءهم وحقر من آلهتهم على -حد زعمهم- بدعوته هذه، ما استطاعوا أن يمنعوه عما أراد، رغم إيذائهم لمتبعيه أشد الإيذاء، وبالرغم أنه ظل فى مكة بدعوته هذه ما يقرب من ثلاثة عشر سنة، بين إسراره بدعوته وجهره بها، ومع ازدياد تضرر قومه مما هو عليه، فما استطاع أحدهم أن ينال منه، حتى أنهم فى ذات مرة أجمعوا على أن يأتوا من كل قبيلة برجل حازم بيده سيف صارم، فيجتمعوا عليه فيقتلوه، فيتفرق دمه بين القبائل، وحينها لا يستطيع أهله حرب القبائل كلها، فيكتفون بقبول الدية. ولعلنا نجد فى هذا أصدق دليل للرد على ما زعمه (وات).

ولعل ما فعله محمد من ميله للخلوة والتفكر، ما كان ببدعة ابتدعها ولكنها من سمات أهل الصلاح فى كل

1- البخارى 2- نبوة محمد ص456 - نقلاً عن (Mohamet prophet et H. d’ETAT – P 14).

3-...إنجليزى،من رجال اللاهوت المسيحى،عميد قسم الدراسات الإسلامية فى أدنبره

4- نبوة محمد ص 455 - نقلاً عن(العقيدة والشريعة فى الاسلام)

زمان، ففى التوراة. جاء ما نصه: }فقال موسى أميل الأن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة{. وعلى هذه الآية جاء تفسير الآب (أنطونيوس فكرى) (1) بقوله: "أميل الآن لأنظر= إعلانات الله كثيرة لكن على كل واحد أن يميل وينظر فى جلسة هادئة أو صلاة أو خلوة مع الله.. هنا دخل موسى إلى مرحلة جديدة هى مرحلة اللقاء مع الله".(2)

فلقد رغب محمد فى أن يجد الحق الذى ينشد من خلال خلوته فى غار بأعلى جبل حراء -شمال مكة- يدعى غار حراء، بعيداً عن ضجة الناس وضوضاء الحياة، فهو خير ما يصلح للانقطاع والتحنث، فكان يذهب إليه طوال شهر رمضان من كل سنة يقيم به مكتفياً بالقليل من الزاد يُحمل إليه، يطعم من مر عليه من الفقراء والمحتاجين، وممعناً فى التأمل والتفكر، ملتمساً الحق، والحق وحده، متمعناً فى هذا الكون المحيط به: فى السماء

ونجومها وقمرها وشمسها، وفى الصحراء ساعات لهيبها المحرق تحت ضوء الشمس الباهرة اللَّآلئ، وساعات صفوها البديع إذ تكسوها أشعَّة القمر أو أضواء النجوم بلباسها الرطب الندى، وفى كل ما وراء ذلك مما يتصل بالوجود وتشمله وحدة الوجود، فى هذا الكون كان يلتمس الحقيقة العليا، ولكن أين الحق إذاً؟ أين الحق فى هذا الكون الفسيح بأرضه وسماواته ونجومه؟ أهو فى هذه الكواكب المضيئة التى تبعث إلى الناس النور والدفء، ومن عندها ينحدر ماء المطر؛ فتكون للناس ولأهل الأرض كافةً من خلائق، حياة بالماء والنور والدفء؟ كلا! فما هذه الكواكب إلا أفلاك كالأرض سواء.. أم هو فيما وراء هذه الأفلاك من أثير لاحد له ولا نهاية له؟ ولكن ما الأثير؟ وهذه الحياة التى نحيا اليوم فتنقضى غداً، وما أصلها. ما مصدرها؟! أمصادفة تلك التى أوجدت الأرض وأوجدتنا عليها؟ لكن للأرض وللحياة سنناً ثابتة لا تبديل لها ولا يمكن أن تكون المصادفة أساسها.. وما يأتى الناس من خير أو شر، أفيأتون طواعية واختياراً، أم هو بعض سليقتهم فلا سلطان لاختيارهم عليه؟ فى هذه الأمور النفسية والروحية كان محمد يفكر أثناء انقطاعه وتحنثه بغار حراء، وكان تفكيره يملأ نفسه وفؤاده وضميره وكل ما فى وجوده، حتى إذا انقضى شهر رمضان عاد إلى خديجة، فإذا استدار العام وجاء شهر رمضان ذهب إلى حراء وعاد إلى تفكيره ينضجه شيئاً فشيئاً، فتزداد نفسه به امتلاء.(3)

**شبهة: اطلاع محمد على الكتاب المقدس**

لم يكن محمد لِيطمع فى أن يجد ما ينشد فى قصص الأحبار ولا فى كتب الر هبان، وبرهان ذلك يأتى فى قول (وات): "وفى البدء، نستطيع إبعاد فكرة قراءته من الكتاب المقدس، أو من أى كتاب يهودى أو مسيحى".(4)، وفى قوله أيضاً نافياً تعلم محمد المباشر من أى شخص: "ولكن يستحيل أن يكون قد أقام مدة

1-...كاهن كنيسة السيدة العذراء بالفجالة-القاهرة. 2- تفسير العهد القديم للآب/ أنطونيوس فكرى

3- حياة محمد ص 146،147 4-نبوة محمد ص449 - نقلاً عن (Mohamet prophet et H. d’Etat – P 37)

طويلة فى دير سورى أو عند أحد الرهبان، إذ أن لمثل هذه الزيارات –ناهيك بالصعوبات المادية– صدى سيئاً، ويُتهم كل من يقوم بها من الناحية السياسية؛ لأن المسيحية كانت فى نظر العرب – قبل كل شىء– ديانة الأحباش والبيزنطيين، وطلب الاطلاع أو العمادة يفتح الباب لدخول التأثيرات الأجنبية".(1)

**شبهة: أمّيّة محمد**

وينبغى علينا بعد ذكر ما قاله (وات)، أن نشير إلى أمّيّة محمد وجهله بالقراءة والكتابة، والذى تحدث عنها القرآن فجاء به: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ}.(2)، وجاء:{فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ}.(3)، وفى هذه النقطة الهامة قال الدكتور (خضر شايب): "لقد عنى الفكر الاستشراقى اعتناء خاصاً ببحث مسألة (أُمّيّة) النبى محمد، حتى أنه ليندر ألا يعرض لها أحد المستشرقين بالبحث الجاد أو العرضى، رغم عدم تأثير إثبات هذه الصفة أو نفيها عنه على نظريتهم فى نبوته، ولا يعنى هذا بالضرورة ما قد يتبادر إلى الذهن من أنهم مجمعون على إثبات علمه بالقراءة والكتابة، بل لقد ذهب قسم منهم إلى تبنى النظرة الإسلامية فى الموضوع، والمتمثلة فى تأكيد أمّيّته، ومن هؤلاء (أنا مارى)، و(كازيميرسكى)، و(مونتيه) الذين ذهبوا إلى ذلك فى ترجماتهم للقرآن، إضافة إلى (ول ديورانت) الذى قال: "ولكن يبدو أن أحداً لم يعن بتعليمه القراءة والكتابة، ولم تكن لهذه الميزة قيمة عند العرب فى ذلك الوقت، ولهذا لم يكن فى قبيلة قريش كلها إلا سبعة عشر رجلاً يقرؤون ويكتبون، ولم يعرف عن محمد أنه كتب شيئاً بنفسه، وكان بعد الرسالة يستخدم كاتباً خاصاً، **ولكن هذا لم يحل بينه وبين المجىء بأشهر وأبلغ كتاب فى اللغة العربية، أو على تعرفه لشؤون الناس تعرفاً قلما يصل إليه أرقى الناس تعليماً**".(4)

وإذا دققنا النظر للوهلة الأولى فى الآيتين السابقتين، نجد أن محمدً كان (أمّىّ) حقيقةً، فكيف به أن يدعى لنفسه أو يلصق به الله تلك الصفة، مع عدم صحتها، فى حين أن القرآن خاطب أول من خاطب أهل محمد وعشيرته وأعرف الناس به!!.

فمن الواضح بالنسبة للباحث المتيقظ الجاد -الذى يتوقف عند حدود ما يمكن أن يستخلصه من المادة العلمية الموجودة من نتائج ونظريات دون زيادة ناشئة عن الوهم أو الجهل- أن فترة تحنث محمد كانت مرحلة جهد انسان عادى، أراد أن يُطهر نفسه ويسمو بأخلاق قومه وسلوكهم، ومجارياً فيه لبعض الذين سبقوه فى هذا المسلك، وخصوصاً (زيد بن عمرو بن نفيل) الذى سبق ذكره.(5)

وهو ما يؤكده (كلود كاهن) عندما قال: "يبدو محمد شخصية سامية جمعت بين التفانى والصدق غير المشكوك فيه، وأرادت أن ترفع من مستوى الحياة الأخلاقية والفكرية للبشر الذين عاش بينهم".(6)

1- نبوة محمد 449 -نقلاً عن( محمد فى مكة/ وات.ص482) 2- ]الأعراف: 157[ 3- ]الأعراف: 158[

4- نبوة محمد ص389 - نقلاً عن(قصة الحضارة.11 / 21) 5- نبوة محمد ص457

6- نبوة محمد 442 - نقلاً عن(I’Islam medieval – p 83.).

# الفصل الثانى: محمد والوحى

وبعد سنوات شغلت أثناءها هذه الحقائق العليا نفسه، صار يرى فى منامه أحلاماً تشع بالآمال والوعود، فتنبلج أثناءها أمام بصيرته أنوار الحقيقة التى ينشدها، ويرى معها باطل الحياة وغرور زخرفها.. إذ ذاك أيقن أن قومه قد ضلوا سبيل الهدى... واستمر محمد على هذا الحال حتى شارف الأربعين، وذهب إلى حراء يتحنث وقد امتلأت نفسه إيماناً بما رأى فى منامه من رؤيا، فاتجه بقلبه إلى الله بكل روحه أن يهدى قومه بعد أن ضربوا تيهاء الضلال... وهو فى توجهه هذا يقوم ويرهف ذهنه وقلبه، وتثور به تأملاته، فينحدر من الغار إلى طرق الصحراء، ثم يعود إلى خلوته، إلى أن طالت به الحال ستة أشهر، حتى خشى على نفسه عاقبة أمره، فأسر بمخاوفه إلى خديجة وأظهرها على ما يرى، وأنه يخاف عبث الجن به. فطمأنته الزوج المخلصة الوفية، وجعلت تحثه بأنه الأمين.(1)

وحوالى عام (12ق.هـ/610 م)، وهو معتكف فى غار حراء، إذ تعرض لهجوم مباغت مذهل، فقد ظهر له من يقول له: اقرأ. فقال محمد مرتعداً: ما أنا بقارىء... فأحس أنه يخنقه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله وقال له: اقرأ. فعاود محمد الإجابة وهو مذهول مما يجد: ما أنا بقارىء. فضمه هذا الذى رأى وقال له فى الثالثة: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ.. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ.. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ.. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ.. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}.(2)، وهذه الآيات هى أول ما نزل من القرآن على رسول الله محمد .

فلقد مثلت تلك الكلمات امتداداً لاعتقاد قريش أن الله خلق كل شخص منها، وكشفت وهْم مروءة الاستغناء، وأظهرت الاعتماد الكلى للبشر على الله، وأظهرت خطأ اعتقادهم أن الله هو إله بعيدغائب،بل ها هو حاضر لهداية مخلوقاته، فيجب عليهم الاقتراب منه، وإفراد العبودية له، وعدم الإشراك به.

وما إن تمالك محمد نفسه، فسرعان ما تملكه الرعب من التفكير فى أنه بعد كل جهاده الروحى يتلبسه جنى، فترك الغار وقد انتابته الحيرة فى تفسير ما رأى، ورجع إلى خديجة وفؤاده يرجف. وقال: زملونى زملونى، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: يا خديجة! مالى! وأخبرها الخبر، وقال: لقد خشيت على نفسى، فكانت خديجة ملك الرحمة وملاذ السلام لهذا القلب الكبير الخائف الوجل، فلم تُبد له أى خوف أو ريبة، وقالت له ما أوردناه سابقاً: "كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق".

1- حياة محمد ص148 2- ] العلق: 1- 5[

وفى الحقيقة إن بدء الوحى هذا، هو الأساس الذى يترتب عليه جميع حقائق الدين بعقائده وتشريعاته، وفهمه واليقين به هما المدخل الذى يسوقنا إلى اليقين بسائر ما جاء به محمد  من إخبارات غيبية وأوامر تشريعية، وذلك لأن حقيقة (الوحى) هى الفيصل الوحيد بين الإنسان الذى يفكر من عنده ويشرع بواسطة رأيه وعقله، والإنسان الذى يُبلِّغ عن ربه دون أن يغيّر أو ينقِص أو يزيد.

**شبهة: إنكار الوحى**

من أجل هذا فقد اهتم المشككون فى الإسلام، بمعالجة موضوع الوحى فى حياة محمد  ، وصاروا يبذلون جهداً فكرياً شاقاً، من أجل التلبيس فى حقيقته والخلط بينه وبين الإلهام، وحديث النفس، بل وحتى الصرع أيضاً، وذلك لعلمهم بأن موضوع (الوحى) هو منبع يقين المسلمين وإيمانهم بما جاء به محمد من عند الله، فلئن

أتيح تشكيكهم بحقيقته، أمكن تكفيرهم بكل ما قد يتفرع عنه من عقائد وأحكام، وأمكنهم أن يمهدوا لفكرة أن كل ما دعا إليه محمد من المبادئ والأحكام التشريعية ليس إلا من تفكيره الذاتى.(1)

ونجد ذلك فى تحليل فكرة الوحى لدى غير المسلمين: من الشرقيين والغربيين، حيث كان هناك تفسيران لفكرة (الوحى)، فالتفسير الأول والذى تبناه كثير منهم. هو: أن محمداً قد وصل إلى اتخاذ قرار ادعاء النبوة بعد مرحلة تفكير عميق واع، ومقارنة واضحة بين عقائد الوثنيين المشركين وبين العناصر التوحيدية التى استقاها من مصادر متعددة، وهذا الرأى قد تبناه (بروكلمان)..فقال: "وأغلب الظن أن محمداً قد انصرف إلى التفكير فى المسائل الدينية فى فترة مبكرة جداً... ومع الأيام أخذ الإيمان يعمر قلبه، ويملك عليه نفسه فيتجلى له فراغ الآلهة الأخرى... كان محمد يأخذ بأسباب التحنث والتنسك، ويسترسل فى تأملاته حول خلاصه الروحى ليالى بطولها... لقد تحقق عنده أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة، فكان يضج فى أعماق نفسه بهذا السؤال: إلى متى يمدهم الله فى ضلالهم، ما دام عز وجل قد تجلى آخر الأمر للشعوب الأخرى بوساطة أنبيائه؟. وهكذا نضجت الفكرة فى نفسه، أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة".(2)

وسار على هذا النهج (ول ديورانت)، وأضاف إلى العناصر التى أقنعت محمد باتخاذ قراره. ما لاحظه من قوة سياسية للدول الموحِدة. فقال: "وتدل كثير من آيات القرآن على إعجابه بأخلاق المسيحيين، وبما فى دين اليهود من نزعة إلى التوحيد، وبما عاد على المسيحية واليهودية من قوة كبيرة؛ لأن لكلتيهما كتاباً مقدساً تعتقد أنه موحى لها من عند الله... ولهذا أحس بالحاجة إلى دين جديد... دين يؤلف بين هذه الجماعات المتباغضة، ويخلق منها أمة قوية سليمة، دين يسمو بأخلاقهم... ولكنه قائم على أوامر منزلة لا ينازع فيها إنسان".(3)

1- فقه السيرة/ للبوطى.ص 63 2- نبوة محمد.ص459 -نقلاً عن( تاريخ الشعوب الإسلامية ص 34,35 ).

3- نبوة محمد.ص459 -نقلاً عن( قصة الحضارة11/23،24 )

أما عن الآب (لامانس) فقد جعل أسباب اعتناق النبى محمد للتوحيد والإيمان بالبعث، تكمن فى الرؤى والأحلام والتملكات الشيطانية -كما يزعم-، وفى مقابل هذه المرحلة اللاواعية فقد كانت مرحلة النبوة الحقيقية قراراً واعياً اتخذه النبى محمد  بناء على قياس منطقى، ذلك أنه لما: "وجد أنه يلتقى فى هذه المذاهب مع اليهود والنصارى، وأدى به الاقتناع بوجود إله واحد إلى القول بوجود وحى واحد، ولما كان من غير الممكن أن يترك الله العرب، فقد حكم بأنه مدعو إلى: الدعوة إلى هذه الحقائق بين مواطنيه".(1)

ومن أمثلة الإتهامات التى نالت من محمد ، ما جاء به أحد عمالقة الأدب (هوجو جروتيوسHugo Grotius) (2)، إذ أتى بتهمة جديدة لرسول الله محمد ، حين ادعى فى رواية له: أن محمداً كان يقوم بتدريب الحمام على التقاط الحبوب من أذنيه ،حتى يستطيع بهذه الحيلة أن يوهم الناس أن روح القدس –الملَك جبريل– قد جاءه على شكل حمامة ليوحى إليه برسالة الله والتى دَونها بعد ذلك فى كتابه المقدس المسمى بالقرآن.

وبالطبع فإن (جروتيوس) كتب هذه الرواية الزائفة بوحى من قراءاته التى تأثر بها فى الإنجيل، حيث جاء فى العهد الجديد: }فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتياً عليه{.(3)... وبهذا قد أوقع نفسه فى مأزق لم يستطع الخروج منه، فحينما طُلب منه برهان ما جاء به. تعثر وأجاب أنه: "لا يوجد برهان!".(4)... وأنى له بالبرهان على ما زعم، ولم يرِد فى كل الوثائق التى ذكرت وصف الوحى المنزل على محمد ما يشير من قريب أو بعيد إلى ما زعم، فهى لم تتعد ما جاء به (ابن القيّم) حين ذكر مراتب الوحى على أنها سبعة مراتب. فقال:

ا**لأولى**: الرؤيا الصادقة وكانت مبدأ وحيه ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

**الثانية**: ما كان يُلقيه الملك في رُوعه وقلبه من غير أن يراه كما قال النبي : "إنّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا فَاتّقُوا اللّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللّهِ فَإِنّ مَا عِنْدَ اللّهِ لَا يُنَالُ إلّا بِطَاعَتِهِ".(5)

**الثالثة**: أنه  كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانا.

**الرابعة**: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس وكان أشده عليه فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها. ولقد جاء الوحي مرة كذلك،

1- نبوة محمد.ص460-نقلا عن( I’Islam croyances et institutions).

2-...محام ولاهوتي ورجل دولة وشاعر هولندي، ويعتبر مؤسس القانون الدولي. 3-] 3:16 يوحنا[

4- الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم /ديدات ص26-27. 5- صحيح الجامع.

وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها.

**الخامسة**: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك في القرآن: {وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى.. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى.. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى.. فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى.. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى.. أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى.. وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى.. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى}**.(1)**

**السادسة**: ما أوحاه الله وهو فوق السموات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

**السابعة**: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك،كما كلم الله موسى بن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعا بنص القرآن وثبوتها لنبينا  هو في حديث الإسراء".(2)

وبعد عرض التفسير الأول والذى يتبنى: أن ادعاء محمد للنبوة كان خاضع لإرادته الواعية، نجد أن هناك من خالفه بتفسير آخر، فوقف موقفاً جديداً يفسر انبثاق الوحى فى نفس النبى باعتباره فعلاً غير خاضع بأى شكل من الأشكال لإرادته، ويعود السبب -الذى دعا هؤلاء إلى مخالفة ما ذهب إليه معظم زملائهم- إلى أن التفسير السابق يُظهر النبى محمد فى ثوب الإنسان غير الصادق فى دعواه النبوة، ووعيه التام بأنه كان يخدع الناس، ويتضح لنا هذا السبب فى قول (وات)، حين ذهب إلى التأكيد على عناصر الصدق النفسى للنبى محمد من منظور جدلى لأصحاب التفسير الأول، فقال: "وأقصى ما يصل إليه هذا الرأى: القول بأن محمداً لم يكن يؤمن بما يوحى إليه، وأنه لم يتلقَ الوحى من مصدر خارجى عنه، بل إنه ألف الآيات عن قصد ثم أعلنها للناس... ومثل هذه النظرة للأمور غير معقولة؛ وذلك لأنها لا تفسر لنا بصورة مُرضية لماذا كان محمد فى الفترة المكية مستعداً لتحمل جميع صنوف الحرمان، ولماذا فاز باحترام رجال شديدى الذكاء وذوى أخلاق مستقيمة، كما أن ذلك لا يجعلنا نفهم كيف نجح محمد فى تأسيس ديانة عالمية أنجبت رجالاً قداستهم واضحة للعيان".(3)

وبعد أن رفض (وات) التفسير الأول من منظور علمى ومنطقى، جاء برأى مادى يستند على نظرية ما سماه (العقل الخلاق)، والذى اعتبره عنصراً مشتركاً بين عدد من الناس القادرين على أن يعبروا عن أزمنتهم، حيث قال (وات): "وأبدأ بالتأكيد على أننا نجد، على الأقل عند بعض الرجال، ما نسطيع أن نسميه (الخيال الخلاق). وإن الفنانين والشعراء والكُتاب يُعتبَرون أمثلة لما نقوله، إنهم جميعاً يَضعون فى قوالب حساسة ما يشعر به الآخرون ولكنهم لا يستطيعون التعبير عنه، ولهذا فإن أعمالاً كبرى للخيال الخلاق تكتسب صبغة

عالمية مؤكدة؛ لأنها تعبر عن عواطف وميول جيل كامل. إنها طبعاً ليست أشياء خيالية؛ لأنها تعالج موضوعات واقعية، ولكنها تستعمل صوراً بصرية أو صوراً تستدعيها الكلمات، لتعبر عما وراء المفاهيم الفكرية للإنسان،

1- ] النجم: 7- 14[ 2- زاد المعاد/ ابن القيم 1/37-38 3- نبوة محمد ص464-نقلا عن( محمد فى المدينة/وات)

وإن الأنبياء والقادة الدينيين –وأنا مُصرٌ على هذا– يمتلكون هذا الخيال الخلاق، إنهم يعلنون عن أفكار مرتبطة أشد الارتباط بأعمق ما يوجد فى التجربة الإنسانية والأكثر مركزية فيها، مع مرجعية خاصة لاحتياجات أزمنتهم".(1)

ومن يقرأ هذا الرأى لـ (وات) يتضح له دون إمعان التفكير فى الكلمات، أن وات رفض فكرة الوحى من

الأساس للأنبياء فى كل زمان، واستبدلها بـما سماه (الخيال الخلاق)، وللتأكيد على مفهوم ما قاله وات، نستعرض قولاً آخر له ينكر فيه أن يكون الله هو مصدر القوة للأنبياء، حيث قال: "إن علامة النبى الكبير هى الجاذبية العميقة لأفكاره بالنسبة لمن تَوجه إليهم. من أين تأتى هذه الأفكار؟ بعضهم يقول: من اللاشعور، والمتدينون يقولون: من عند الله، على الأقل بالنسبة للأنبياء الموجودين فى رواياتهم. ورغم أن البعض –مثل (البارون فون هوغل)– يذهبون إلى الادعاء: بأنه فى كل مكان توجد حقيقة ما. فإن مصدرها هو الله، فإننا نستطيع أن نساند مقولة أن هذه الأفكار للخيال الخلاق تأتى من هذه الحياة الأكبر من الإنسان نفسه، والتى توجد فى جانب كبير منها تحت مستوى الشعور".(2)

والحقيقة أننا نقف مندهشين أمام التفسير الذى أراد (وات) بوساطته أن يوحى للقراء بأنه غير خاضع فيه لمبادىء عقيدته المسيحية، بينما واقع الحال يكذب مزاعمه... ويبدو ذلك عندما نراه لا يسوى فعلاً بين النبى محمد وبين أنبياء العهد القديم والجديد، الذين كان يؤمن فعلاً بتعبيرهم عن إرادة خالق الكون، وعدم صدور رسالاتهم عن قوى اللاشعور فقط، كما هو الحال بالنسبة لنبى الإسلام محمد  الذى فصَّل له تفسيراً خاصاً، ومن أدلة هذا اليقين الحاصل عنده، وتهربه الواضح من الإجابة القاطعة فيما يخص نبوة محمد، مع تأكيده الصدق التام للنبى محمد، ما قاله: "وبالنسبة للمسلمين فإن القرآن هو كلام الله، ومحمد نفسه قد فهمه على هذا الاعتبار، ومن المؤكد أنه كان صادقاً تماماً فى اعتقاده، وكان متأكداً أنه يستطيع التمييز بين أفكاره الخاصة وبين ما يأتيه من خارج نفسه ، وإن مواصلة عمله فى ظروف الاضطهاد والعداء التى عاشها كان سيصبح مستحيلاً لو لم يكن مقتنعاً تماماً بأن الله قد أرسله... ولو كان قد أحس بأن هذا الوحى كان من بنات أفكاره لكانت حركته الدينية معدومة الأساس".(3)

ويستمر (وات) فى تهربه من الاعتراف بالنبوة لمحمد، رغم شهادته له بصدق الاعتقاد، ولكى يثبت نظريته التى سماها (الخيال الخلاق)، نراه يقول: "إن القول بأن محمداً كان صادقاً لا يعنى بأن اعتقاداته كانت صحيحة،

1-نبوة محمد ص461 - نقلاً عن (Mohamet prophet et H. d’Etat – P 209)

2- المرجع السابق.ص210 3- المرجع السابق.ص216

فإن الرجل قد يكون صادقاً ولكنه مخطىء، وليس من الصعب الإبانة لرجل غربى معاصر كيف أخطأ محمد، ذلك أن ما يبدو بالنسبة للإنسان آتياً من الخارج قد يكون نتيجة اللاشعور".(1)

ونرى أن نرد على مزاعم (وات) بنفس رده على أصحاب التفسير الأول، فنقول: لماذا فاز محمد باحترام رجال شديدى الذكاء وذوى أخلاق مستقيمة، كما أن ذلك لا يجعلنا نفهم كيف نجح محمد فى تأسيس ديانة عالمية أنجبت رجالاً قداستهم واضحة للعيان، ونزيد القول: بأنه لو كان الأمر يكمن فى اللاشعور، فكيف يتأتى لمحمد باللاوعى أن يأتى بمثل هذا القرآن الذى تحدى به الأولين والآخرين، كما سبق وذكرنا فى فصول مضت من هذا الكتاب، حيث تحديه فى اللغة لأهل اللغة ذاتهم، وإخباره بالغيب الذى تحقق فى حياة محمد وبعد موته، وإخباره بحقائق علمية لم يعرفها البشر إلا فى أيامنا تلك، والتى اكتشفها علماء غير مسلمين ودانوا للإسلام بها، ودون أن يكون لها أى ذكر فى الكتاب المقدس بعهديه ولا فى غيره، وكيف كان لهذا الدين أن يقوم على أيدى تلك الحفنة من الناس بضآلة عددهم وعدتهم، بعد أن تغيروا من النقيض إلى النقيض، من عبادة الأوثان وتعدد الآلهة إلى إخلاص العبادة للإله الواحد، ومن التشتت والتشرذم إلى لم الشمل وتوحيد الصفوف لينتصروا على أعظم إمبراطوريتين على مر التاريخ: الفرس والروم، ومن الجهل الذى أحاط بهم إلى أن يسجلوا فى التاريخ من علوم المعرفة المختلفة ما لم يسبقه إليه غيرهم، وليس فقط بل نقلوه إلى شتى بقاع الارض من خلال توسعاتهم من تلك البقعة فى الصحراء إلى مشارق الأرض ومغاربها.

وفى نفس النهج سار الأستاذ (هاملتون جب) (2)، عندما أعلن رفضه للتفسير الأول، وقبوله للتفسير الثانى، إذ تبنى القول بأن رسالة القرآن كانت انبثاقاً حدسياً لا واعياً ناشئاً عن تفاعلات النبى محمد  مع الواقع، وقال: "إن الحدود والتعبيرات التى وردت فيه –أى القرآن– هى المنطلق الذى صدر عنه الفكر والمعتقد الإسلامى... ومع ذلك فإن تلك الحدود والتعبيرات ليس منهجية منظمة بالمعنى الكلامى، وإنما هى أقوال شفوية مباشرة تعبر عن مواقف تلقائية معينة، وعن أفكار تم اقتناصها بقوة الحدس".(3)، ولعل الرد على رؤية (هاملتون) يكون بنفس أسلوب الرد على (وات).

أما عن (ديورانت) فقد كانت له رؤية أخرى قريبة شيئاً ما من ذلك التفسير الثانى ولكنه سرعان ما أبطلها، حيث إنه لم يدعِ كذب محمد، ولكنه حاول تفسير حالة محمد الجسدية عند تلقيه للوحى على أنها لا تتعدى نوبة من نوبات الصرع قد انتابته. فقال: "وكثيراً ما كان يحدث أثناء هذه الرؤى أن يسقط على

1- نبوة محمد ص461 - نقلاً عن (Mohamet prophet et H. d’Etat – P 217)

2-...انجليزى،مدير مركز دراسات الشرق الأوسط،اشتغل بالأستاذية فى عدد من الجامعات.

3- نبوة محمد.ص 460 -نقلاً عن( دراسات فى حضارة الإسلام.ص234)

الأرض ويرتجف أو يغشى عليه، ويتصبب العرق من جبينه... وقد يكون ارتجافه ناشئاً عن نوبات صرع... ولكننا لا نسمع بأنه عض فى خلالها لسانه أو حدث ارتخاء فى عضلاته كما يحدث عادة فى نوبات الصرع، وليس فى تاريخ محمد ما يدل على انحطاط قوة العقل التى يؤدى إليها الصرع عادة، بل نراه على العكس يزداد ذهنه صفاء، ويزداد قدرة على التفكير وثقة بالنفس وقوة فى الجسم والروح والزعامة كلما تقدمت به السن. وقصارى القول أنا لا نجد دليلاً قاطعاً على أن ما كان يحدث للنبى كان من قبيل الصرع".(1)، وبالرغم من أن (ديورانت) لم يدع مجالاً للتعليق، حيث أبطل الإدعاء بنفسه، لكن نشير إلى أن نوبات الصرع التى ذكرها لم يكن لها مصدر فى وثائق السيرة للنبى محمد، وقد سبق ذكر مراتب الوحى سابقاً، وكان (وات) له رد أيضاً على مثل هذا، حين قال: "إن محمداً قد ميز بين ما يوحى إليه وبين أفكاره الخاصة، ولقد أكد أعداء الإسلام غالباً أن محمداً كان مصاباً بالصرع، وأن تجاربه الدينية لهذا لا قيمة لها، ولكن الأعراض الموصوفة لا تشبه أعراض الصرع؛ لأن هذا النقص يؤدى إلى تخاذل جسدى وعقلى بينما ظل محمد حتى آخر حياته مالكاً لقواه العقلية، وحتى لو أمكن ادعاء ذلك فإن الحجة تظل مناقضة لكل رأى سليم، إذ لم تقم إلا على الجهل والوهم؛ لأن المظاهر الجسدية الملازمة لا تثبت ولا تنفى قط بنفسها التجربة الدينية".(2)

وبمقارنة بسيطة بين الصرع والوحى يتضح لنا أن: "الصرع يعطل الإدراك الإنسانى وينزل بالإنسان إلى مرتبة آلية يفقد أثناءها الشعور والحس، ويثور إذا اشتدت به النوبة فيصيب غيره بالأذى، وهو أثناء ذلك غائب عن صوابه، لا يدرك ما يصدر عنه ولا ما يحل به، أما الوحى فسمو روحى اختص الله به أنبياءه ليلقى إليهم بحقائق الكون اليقينية العليا كى يبلغوها الناس، وقد يصل العلم إلى إدراك بعض الحقائق ومعرفة سُننها وأسرارها بعد أجيال وقرون، وقد يظل بعضها لا يتناوله العلم حتى يرث الله الأرض ومن عليها".(3)

وفى هذا السياق لا ننسى أن نذكر الأستاذ (ابن نبى) (4)والذى بحث روايات بدء الوحى بحثاً جيداً، واستنتج منها استقلال الظاهرة عن نفس النبى محمد . فقال: "ومن الواجب أن نذكر مدى التباعد الرئيسى البين فى الحوار بين الذات المتكلمة الآمرة الحازمة، والذات المخاطبة المضطربة المجفلة –(ما أنا بقارئ) مثال على الإجفال-... إن هذا التباعد يصور لنا عملية نفسية أخرى مختلفة تماماً عن الأولى، ولكنها متحدة معها فى الزمن، فإن هاتين الحالتين –أى التباعد الجوهرى والتباعد الزمنى– متعارضتان سواء تصورناهما فى مجال واحد للذات، أو فى مجالين مختلفين، هما: الشعور واللاشعور، فهناك بالضرورة تعدد فى الذوات... وهو تعدد لا يمكن أن تضمه وحدة نفسية، فنحن مضطرون لهذا أن نقرر ازدواج الذات كما يحدث فى أى حوار عادى،

1- نبوة محمد.ص473 -نقلاً عن( قصة الحضارة 11/25،26) 2- نبوة محمد.ص474 - نقلاً عن(محمد فى مكة/وات. ص101)

3- حياة محمد.ص 58

وبين هاتين الذواتين اللتين تتحاوران تنجلى الذات المحمدية كشاهد واع، ومؤرخ صادق للواقع الذى نحلله... ومع ذلك فهذه هى المرة الوحيدة التى ستحدد فيها هذه الذات موقفها بالنسبة للظاهرة الغريبة ".(3)

ومن المعروف أن الاستقلال بين هاتين الذاتين –حسب تعبير الأستاذ (ابن نبى)– قد تجاوز لحظة الوحى الأولى، فكان حقيقة مصاحبة لنزول القرآن، أى مدة عشرين سنة كاملة. ومن ملامح ذلك نزول آيات كثيرة تلوم النبى محمد  عن بعض المواقف الدعوية أو الشخصية التى وقفها، وهذا يؤكد عدم تحكمه فى محتوى الوحى أو فى زمانه، ومن أمثلته ما حدث حين حدد النبى محمد  للمشركين وقتاً لإجابتهم عن سؤالهم -سؤال اليهود فى الحقيقة- عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح، فتأخر نزول الوحى حتى تأثر النبى لذلك، ورجا نزول القرآن، ثم نزلت الإجابة وفيها تعليم وعتاب له، قال الله تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا.. إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا}.(1)، وقال الله تعالى: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا}.(2)

واستناداً إلى مثل هذه المعلومات اليقينية قرر الأستاذ (ابن نبى) استمرار الانفصال بين الوحى والنبى محمد حتى نهاية رسالته، قال: "وسنجد فيما بعد، وإلى النهاية أن الذات المحمدية لن تتحدث مع الذات المتكلمة حين تخاطبها. وهذا الصمت فى ذاته جدير بالملاحظة؛ لأنه يسجل إدراك الرسول النهائى أمام الظاهرة التى سيقف منها، منذ ذلك الحين، موقف التسليم".(3)

وبعد التعرض لظاهرة الوحى وما حوته من انتقادات وتحليلات وردود، نجد فيما سبق أن محمداً  -بشهادة المشككين- كان صادقاً فى اعتقاداته، وأن ما جاء به لا يعدو كونه وحياً قد أوحى به الله إليه، وأن ادعاءاتهم لم تستند إلى أى سند علمى أو وثائقى، وربما يتضح ذلك فى دفع (وات) لصحة التفسير الأول كما أسلفنا، ولعل فى الصفحات التالية التأكيد على ما سقناه فى السابق.

1- نبوة محمد.ص 472-نقلاً عن( الظاهرة القرآنية.ص158 ) 2- ]الكهف: 23- 24[ 3- ]مريم: 64[

# الفصل الثالث: محمد فى الكتاب المقدس

قبل أن نتحدث عما ورد فى التوراة والإنجيل من البشارة بنبى الله محمد، علينا مراجعة ما تم ذكره من قبل عن علاقة محمد بالديانتين التوحيديتين: اليهودية والمسيحية، وما أثبته له المشككين فى نبوته من عدم اطلاعه على الكتاب المقدس وعدم معايشته للرهبان والأحبار، وفى الحقيقة إن سلَّمنا أو لم نسلِّم بصحة ما سبق ذكره فى هذا الصدد، فإننا سنجد فى التوراة والإنجيل ما يجعلنا فى حيرة. فهل بشر الكتاب المقدس بنبوة محمد حقاً؟ وإن لم يكن. فكيف بالكتاب المقدس الذى تنبأ بالكثير والقليل قديماً وحديثاً وبأنبياء كذبة كثيرين سيأتون، ليترك التنبؤ بمحمد وكتابه وأمته ما لها وما عليها؟!

أما وقد أنبأ الكتاب المقدس حقاً بالنبى محمد  وأمته، فعلينا مدارسة تلك التنبؤات بجدية وموضوعية وعقلانية، ودون إجحاف التعصب العقدى فى تلك المدارسة.

**بشارات التوراة**/ **البشارة الأولى:**

**-** }**أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به**{.(1)

فى هذه الآية يخبر الله موسى بأنه سيجعل من وسط إخوة بنى إسرائيل نبياً مثله فيكلم الناس بكل ما يوصيه به الله، أى أن هناك نبياً منتظراً وله أوصاف سبق ذكرها فى الآية. وهكذا فَهم المسيحيون وقالوا: "المسيح هو النبى المنتظر "وزادوا" بل هو رب الأنبياء".(2)

ولكن نجد أن البشارة بالنبى تخص محمد وليس المسيح، وحتى لا يكون الكلام من وحى الخيال، أو ادعاءً كاذباً، أو إعمالاً للنص تبعاً للهوى، فعلينا دراسة النص وتطبيقه عملياً على كل من المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام... ولنبدأ بالتطبيق:... لقد جاء فى النص أوصاف لهذا النبى المنتظر وهى:

1-من وسط إخوتهم.

2-مثلك.

3- اجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما اوصيه به.

**-** أما عن الوصف الأول للنبى المنتظر (من وسط إخوتهم)، نجد أن هذا الوصف ينطبق على محمد ولا ينطبق على المسيح، حيث أن كلمة (إخوتهم) تعنى إخوة من؟ إخوة بنى إسرائيل. ومن هم إخوة بنى إسرائيل؟ بنو إسماعيل، وبرهان ذلك فى التوراة إذ قال الله عن إسماعيل: "وأمام جميع إخوته يسكن".(3) ، وجاء أيضاً: "و أوص الشعب قائلا أنتم مارون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير".(4)

1- ]18:18 التثنية[ 2- تفسير الآب/ أنطونيوس فكرى للكتاب المقدس 3- ] 21:16 التكوين[ 4- ]4:2 التثنية[.

فنفهم من الآيات أن المراد من (إخوتهم) أبناء العمومة.

فإن أصر أحد وقال: إن المقصود بـ (إخوتهم) بنى إسرائيل. لكان لزاماً أن تأتى الصيغة: من وسطهم وليس من وسط إخوتهم.ونجد ذلك فى القرآن إذ قال الله مخاطباً العرب: {إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ}.(1) وجاء أيضاً: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ}.(2)، وبما أن محمداً من بنى إسماعيل، وهم المعنيين فى الآية، نجد أن النبؤة المذكورة هى للنبى محمد، وسوف يأت الدليل على ذلك من التوراة ذاتها.

**-** وأما عن الوصف الثانى (مثلك)، نجد أنه ينطبق على محمد ولا ينطبق على المسيح،حيث أن كلمة (مثلك) تعنى مثل موسى. والسؤال: مَن مثل موسى، محمد أم المسيح؟

والجواب يحتاج إلى مقارنة بين موسى والمسيح ومحمد ليتضح أيهما أشبه بموسى.. وها هى:

|  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- |
| وجه المقارنة | موسى | محمد | المسيح |
| الولادة | ولد من أب وأم  (بشريين) | ولد من أب وأم  (بشريين) | ولد ا من أم دون أب  (بشرى) |
| العقيدة | هو نبى  (طبقاً للعقيدة اليهودية) | هو نبى  (طبقاً للعقيدة الإسلامية) | هو إله او ابن إله  (طبقاً للعقيدة المسيحية) |
| الموت | مات | مات | صُلب المسيح  (طبقاً للعقيدة المسيحية) |
| القبر | يرقد فى قبره | يرقد فى قبره | قام من قبره  (طبقاً للعقيدة المسيحية) |
| قبوله لدى  قومه نبياً | مقبول فى بنى إسرائيل | مقبول لدى العرب | إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله |
| التوحيد | دعا إلى توحيد الإله | دعا إلى توحيد الإله | دعا إلى عقيدة التثليث  (طبقاً للعقيدة المسيحية) |
| العبودية لله | عبد الله | عبد الله | الله وابن الله  (طبقاً للعقيدة المسيحية) |
| المعجزات | صاحب معجزات | صاحب معجزات | صاحب معجزات |
| الشريعة | أتى بشريعة جديدة | أتى بشريعة جديدة | لم يأتِ بشريعة جديدة |
| رعى الأغنام | رعَىَ الأغنام | رعَىَ الأغنام | لم يرعَ الأغنام |
| الزواج | تزوج وأنجب | تزوج وأنجب | لم يتزوج |

1- ]الآية 164 من سورة آل عمران[ 2- ]الآية 151من سورة البقرة[

وبعد تلك المقارنة نستدل بقول الأب (أنطونيوس فكرى). وهو يحاول إثبات أن النبى المنتظر فى هذه الآية هو المسيح، فيقول: "هذه الآيات هى أوضح ما قيل فى نبوات موسى عن المسيح".، وبعد أن قام بمقارنة بين موسى والمسيح يأتى قوله: "لكن يجب ألا ننسى أن موسى نبى أرسله الله أما المسيح فابن الله، وموسى كان له ضعفاته أما المسيح فلم يكن له خطية، وشفاعة المسيح دائمة أبداً وهى شفاعة كفارية أما شفاعة موسى هى شفاعة توسلية".(1)، وذلك بالرغم أنه ذكر من أوجه الشبه بين موسى والمسيح أن: "موسى كان نبياً وكذلك المسيح"، فترى التناقض بين إثباته صفة النبوة لكليهما ثم نفيه لها فى المسيح!، وتراه أيضاً يرفض التشابه بينهما فى الخطية وفى الشفاعة!!.

ولعلنا لسنا فى حاجة إلى ما تم ذكره إذا أتينا بما أشرنا إليه سابقا، بنص التوراة ومن ذات السفر –سفر التثنية – لنفى تلك النبوة عن المسيح صراحة، حيث جاء: }ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه{. فنحن إن فهمنا أن (من وسط إخوتهم) تعنى: من وسط بنى إسرائيل، فتلك الآية تنفى هذا الفَهم!!.

**-** وأما عن الوصف الثالث للنبى المنتظر وهو (اجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به)، فالوصف هنا مشترك بين المسيح ومحمد، ولما لا وقد كان كلاً منهما نبياً يُبّلغ ما أَوحَى إليه ربه، وقد جاء فى الإنجيل: }لأني لم أتكلم من نفسي لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم- وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية فما أتكلم أنا به فكما قال لي الأب هكذا أتكلم{.(2)، وفى المقابل جاء فى القرأن: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى.. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}.(3)، وأيضاً حينما طلبوا من محمد أن يبدل من آيات القرآن ما يجعلهم يتبعوه، فقال الله لمحمد: {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ.. قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.. فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآَيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ }.(4)

ومن تتبع الآيات التالية من ذات الإصحاح، يجد أن فيها إشارات إلى محمد وما جاء به، فالآيات تقول: "و يكون أن الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به بأسمي أنا أطالبه... وأما النبي الذي يطغي فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم ألهة أخرى فيموت ذلك النبي".(5)

ونلاحظ أن الجملة (الذى يتكلم به باسمى) تثبُت فى حق محمد ، وذلك أن كل سورة فى القرآن بدأت

1-تفسير الكتاب المقدس للآب/أنطونيوس فكرى 2- ]49:12-50 يوحنا[ 3- ]النجم: 3- 4[

4- ]يونس: 15- 17[ 5- ]19:18-20 التثنية[

بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) عدا سورة واحدة من إجمالى 114 سورة، وهى سورة التوبة وذلك لأنها كانت آخر ما نزل على النبى محمد من القرآن، وقد مات دون أن يتبين أصحابه منه: هل هى تكملة لسورة أخرى أم أنها سورة جديدة؟.

وعن وعيد الله لمن يتكلم من الأنبياء من قبل نفسه أو باسم آلهةً أخرى، فيقابله وعيد الله الشديد فى القرآن لذات الأمر، عند قول الله: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ.. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ.. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}.(1)

وجاء فى تفسير الآية لدى علماء المسلمين: "{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا} أي: لو تكلَّف محمد أن يقول علينا ما لم نقله، {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} أي: لأخذناه بالقوة والقدرة، {ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}: وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع بطلت القوى: ومات صاحبه."(2)

**البشارة الثانية:**

**-** }**وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة**{.(3)

**-**} **وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك**{.(4)

**-** }**قومي احملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة**{.(5)

فإذا كانت تلك الآيات من سفر التكوين؛ تخبر عن الله: أنه سيجعل من نسل إسماعيل أمة كبيرة عظيمة، فعلينا أن نعود بالتاريخ إلى زمن الإخبار بتلك النبوءات حتى يتسنى لنا معرفة مدى صحتها أم لا؟!.

قد جاء فى كتاب (الجواب) أن: "تاريخ البدء فى كتابة الكتاب المقدس يرجع إلى أكثر من 3500 سنة مضت حيث دُعى موسى ليكتب أول الأسفار المقدسة حوالى سنة 1512ق.م."(6)، وهذا التاريخ هو تاريخ تدوين الكتاب المقدس وليس تاريخ إخبار الله لإبراهيم وهاجر بتلك البشارة عن ابنهم إسماعيل ونسله، فلعله يزيد على هذا التاريخ بأكثر من 500 سنة هى عدد السنوات بين ولادة اسماعيل وتدوين موسى لأسفار الكتاب المقدس، فإن سار هذا التاريخ إلى أن يمضى بنا حتى بعثة النبى محمد ونُزول الوحى عليه وبدء تبليغه للدعوة المكلف بها من قبل الله، سنجد أن تلك النبوءة لم تكن لتتحقق إلا بمحمد رسول الله، فكم من السنين سبقت محمد حتى زمن إبراهيم، ولم يكن للعرب اسم ولا كيان ولا ذكر وسط الأمم.

وفى هذا المقام يقول العالِم الأمريكى (مايكل هارت) (7): "**ولكن الرسول استطاع لأول مرة فى التاريخ، أن**

1- [الحاقة: 44- 46] 2- زاد المسير/ابن الجوزى 3- ]20:17 التكوين[

4- ]13:21 التكوين[ 5- ]18:21التكوين[ 6- الجواب/جمعية الخدمة المسيحية العملية.ص7

7-...عالم فلكى رياضى، وباحث فى التاريخ، يعمل فى هيئة الفضاء الأمريكية.

**يوحد بينهم وأن يملأهم** **بالإيمان وأن يهديهم جميعاً بالدعوة إلى الإله الواحد، ولذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية فاتسعت الأرض تحت أقدام المسلمين من شمالى شبه الجزيرة العربية وشملت الإمبراطورية الفارسية على عهد الساسانيين وإلى الشمال الغربى واكتسحت بيزنطة والإمبراطورية الرومانية الشرقية... وكان العرب أقل بكثير جداً من كل هذه الدول التى غزوها وانتصروا عليها... ورغم ذلك فقد استطاع هؤلاء البدو المؤمنون بالله وكتابه ورسوله، أن يقيموا إمبراطورية واسعة ممتدة من حدود الهند حتى المحيط الأطلسى، وهى أعظم إمبراطورية أقيمت فى التاريخ حتى اليوم... وإذا استعرضنا التاريخ... فإننا نجد أحداثاً كثيرة من الممكن أن تقع دون أبطالها المعروفين.. مثلاً: كان من الممكن أن تستقل مستعمرات أمريكا الجنوبية عن إسبانيا دون أن يتزعم حركاتها الاستقلالية رجل مثل (سيمون بوليفار)..هذا ممكن جداً، على أن يجىء بعد ذلك أى إنسان ويقوم بنفس العمل... ولكن من المستحيل أن يقال ذلك عن البدو...وعن العرب عموماً وعن إمبراطوريتهم الواسعة، دون أن يكون هناك محمد.. وما كان من الممكن أن تتحقق كل هذه الانتصارات الباهرة بغير زعامته وهدايته وإيمان الجميع به**".(1)

**البشارة الثالثة:**

**-** }**فقال جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبال فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم**{.(2)

يقول الآب (أنطونيوس فكرى) فى تفسير هذه الآية: "جاء الرب من سيناء = يقصد بمجيئه تجلى مجده وظهوره الإلهى فى سيناء عند إعطاء الشريعة المقدسة لشعبه.. وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبال فاران= إن مجد الرب الذى تجلى على جبل سيناء بنار ورعود وبروق وأضواء لامعة وباهرة لم يقتصر ظهوره على جبل سيناء بل انعكست أضواؤه البهية على الجبال القريبة والبعيدة جبل سعير على الجانب الشرقى للعربة شمال شرق سيناء ومن رؤوس جبال سعير جبل هور... وجبل فاران هذا يقع فى جنوب فلسطين وكان يسكنها الإسماعيليين... ولاحظ التسلسل: سيناء حيث اسرائيل (أى نسل يعقوب).. ثم سعير حيث أدوم (أخو يعقوب).. ثم فاران حيث اسماعيل (عم يعقوب)."(3)

ولا خلاف فى أن الله تجلى لموسى عند جبل سيناء، وأيضا نجد أن ساعير= هو جبل في أرض يهوذا وجاء ذكره فى الكتاب المقدس على هذا النحو }وامتد التخم من بعلة غربا الى جبل سعير وعبر إلى جانب جبل يعاريم من الشمال هي كسالون ونزل الى بيت شمس وعبر الى تمنة{.(4)، وفى هذا إشارة إلى المسيح .

ونلاحظ أن الآب (أنطونيوس) أوضح لنا أن جبال فاران هى التى يسكنها الإسماعيليون، وهكذا ورد فى

1- كتاب الخالدون مائة أعظمهم (محمد رسول الله) /ترجمة أنيس منصور.ص15،16،18عن كتاب (المائة: تقويم لأعظم الناس أثراً فى التاريخ/ مايكل هارت).

2- ]2:33 سفر التثنية[ 3- تفسير الكتاب المقدس للآب/أنطونيوس فكرى 4- ]15: 10 يشوع[

الكتاب المقدس مخبراً عن إسماعيل: }وسكن في برية فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر {.(1)

والاختلاف فقط: أين تقع فاران هذه؟... فنجد أن اليهود والنصارى يذكورنها فى جنوب فلسطين عند إيلات، ولكنهم يعتبرونها جزء من شبه جزيرة سيناء، وفى هذا القول ما يعارضه فى الآتى:

1- أن الرب بذلك يكون قد مر بساعير فى فلسطين, قبل أن يمر بفاران!!, فكيف هذا؟ والنص يقول أنه جاء

من سيناء, ثم أشرق من ساعير فى فلسطين, ثم تلألأ من فاران, ثلاثة أماكن مختلفة ومرتبة ترتيباً بحسب الوحى.

2- أنه جاء فى الكتاب المقدس ذِكر المكان الذى كان يقطنه الإسماعيليون: }وسكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو آشور أمام جميع إخوته نزل{.(2)، وحويلة. حسب قاموس الكتاب المقدس هى: "مقاطعة في بلاد العرب, يسكن بعضها الكوشيون ويسكن البعض الآخر اليقطانيون.. والصلة بين حويلة وحضرموت وأماكن آخرى تشير إلى موقع في وسط البلاد العربية أو جنوبها "(3)، وشور. أيضاً حسب قاموس الكتاب المقدس هى: "موضع في البرية جنوب فلسطين أو على الأخص جنوب بئر لحي رئي وشرق مصر".(4) فنجد أن الإسماعيليين حسب الآية المذكورة وحسب قاموس الكتاب المقدس: كان مسكنهم ما بين اليمن جنوباً وخليج العقبة شمالاً، وتلك المنطقة تسمى ببلاد الحجاز أو جبال الحجاز، وراجع خريطة شبه الجزيرة العربية.

3- أن برية فاران التى فى سيناء ذُكر فيها:

🟏 أن موسى وبنى إسرائيل عند خروجهم من مصر نزلوا بها: }وبعد ذلك ارتحل الشعب من حضيروت ونزلوا في برية فاران{(5)، وقد ورد فى قاموس الكتاب المقدس: }وفي هذه البرية تنقل بنو إسرائيل 38سنة{.(6)

🟏 أن داوود قد أقام بها: }وقام داود ونزل إلى برية فاران{.(7)

🟏 أن (هدد الآدومى) خصم سليمان قد نزل بها: }وقاموا من مديان وأتوا إلى فاران وأخذوا معهم رجالا من فاران وأتوا إلى مصر{.(8)

ومن تلك الآيات يظهر لنا أن فاران التى أقام بها اسماعيل ونسله ليست فاران الواقعة عند سيناء -وتجد ذلك فى قاموس الكتاب المقدس حين يذكر للكلمة الواحدة أكثر من معنى وأكثر من موضع-، وإلا فكيف يقطن بها الإسماعيليون ويحل عليها أجيال بنى إسرائيل من لدن موسى مروراً بداوود ثم سليمان وخصمه، ولم يكن هناك

أى إشارة فى الكتاب المقدس من قريب أو بعيد إلى لقاء تم بينهم، أو إلى إقامة أقاموها سوياً، هذا بجانب أن الله

1- ]21:21 التكوين[ 2-]18:25 التكوين[ 3- <http://www.albishara.org>

4- المرجع السابق 5- ] 16:12 العدد[ 6- <http://www.albishara.org>

7- ]1:25صمويل الاول[ 8- ]18:11 سفر الملوك الاول[.

قال عن إسماعيل ونسله: }وأمام جميع إخوته نزل.. ولم يقل: ومع جميع إخوته نزل{.

وبهذا يتضح من الآية وتفسيرها أن بها إشارات إلى مجد الله فى سيناء حيث موسى، وإشراقه فى ساعير حيث المسيح، وتلألأه وسطوعه فى فاران حيث إسماعيل وذريته، ولا يخفى على أحد أن محمد من نسل إسماعيل... ومثل هذه الآية ورد فى القرآن قول الله تعالى: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ.. وَطُورِ سِينِينَ.. وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}.(1)... وتفسيرها عند علماء المسلمين: "هذه مَحَالٌّ ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبيًا مرسلا من أولي العزم، فالأول: محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم. والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران. والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنا، وهو الذي أرسل فيه محمدا ".(2)

**البشارة الرابعة:**

**-** }هو **ذا عبدي الذي اعضده مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم**{.(3)

فى تلك الآية إشارة واضحة لنبى مرسل من قبل الله، ولكن السؤال يكمن فى: من هذا النبى؟

وسوف ندع الجواب للقمص (أنطونيوس فكرى)، حيث يقول: "هوذا عبدى= فالمسيح أخذ شكل العبد وغسل الأقدام، بل قبل الإهانة من عبد رئيس الكهنة الذى لطمه. مختارى= المسيح هو الوحيد الذى يستحق هذا اللقب فهو قد قدم الكمال للإنسانية فأشبع رغبة السماء فى كمال الإنسان".(4)

وبعد أن اطلعنا على شرح الآية من القمص، نرى أنه قد حمّلَها ما لم تكن تَطيق، إذ ادعى للمسيح أنه عبد الله المختار، وكلنا يعلم علم اليقين أن المسيح فى العقيدة النصرانية: إله أو ابن إله، ولم تأتِ آية واحدة فى الإنجيل

بأكمله تذكر أو تشير إلى أن المسيح عبد الله ، وكيف يكون المسيح إله وعبد لله فى آنٍ واحد!، أما من جهة أنه المختار، فنرى أن المسيح إذ تمثل فى هيئة بشر كما فى العقيدة النصرانية، ما كان مختاراً من قبل أحد، ولكن إلها فى هيئة ناسوت، وقد جاء فى إنجيل لوقا: }فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله{.(5)، وفى هذا الموضع ينفى الشعب عن المسيح وصف المختار مستدلين على ذلك: بعدم استطاعته خلاص نفسه، وهنا فقط الإشارة الوحيدة فى الإنجيل لوصف المختار.

أما اذا طبقنا البشارة على النبى محمد فإننا سنجد أن محمد ذكر فى القرآن بصفة العبد فى كثير من الآيات، نذكر منها قول الله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.(6)

1- ] التين: 1- 3[. 2- تفسير بن كثير 3- ] 42 :1 أشعياء[

4- تفسير الكتاب المقدس/ أنطونيوس فكرى. 5- ] 35:23 لوقا [ 6- ]البقرة: 23[

أما عن أنه مختار الله فقد قال النبى محمد  مخبراً عن نفسه: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِى هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِى مِنْ بَنِى هَاشِمٍ".(1)

وأما عن روح الله، فجاء قول الله: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ... عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ..}.(2)

وقوله تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آَمَنُوا}.(3)

وعن الحق الذى سيخرجه للأمم، فقد ورد فى باب القرآن: كيف أن القرآن أتى ببراهين على أنه الحق من الله، واطلعنا على ما أقره علماء الغرب من غير المسلمين عن صحة نبوءات وإخبارات القرآن، مما دعا العديد منهم بأن يدخل فى الإسلام عن طواعية واقتناع تام.

**-** ولكى يتم التأكيد على أن النبى المشار إليه فى الآية هو النبى محمد، علينا أن نأتى بما جاء بعدها فى نفس الإصحاح، حيث جاء: }**أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم{**.(4)

فأما عن حفظ الله للنبى المرسل، فلم يكن المسيح محفوظاً من يد أعدائه، بل تمكنوا منه وصلبوه كما فى العقيدة النصرانية، ولكن اختلف الأمر بالنسبة لمحمد ، فقد حفظه الله من كيد أعدائه، ومنعه منهم طيلة حياته ولم يتوفاه الله حتى أتم ما أمره الله به فقال الله تعالى فى هذا الشأن: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}.(5)... وتأتى إشارة الله إلى النور الآتى به هذا النبى فى قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}.(6)... وقوله أيضا فى القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا.. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا}.(7)

وإذا لاحظنا آيات القرآن نجدها لا تخُرج محمدًا عن وصف نبى لله وعبد لله، وهو ما جاء فى شارة أشعياء السابق ذكرها عن النبى المرسل، حيث أنها لم تأتِ بإشارة من قريب أو بعيد عن أنه ابن إله أو إله.

**البشارة الخامسة:**

**-**} **لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا...ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر...الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته يهتف ويصرخ ويقوى على اعدائه**}.(8)

1- صحيح مسلم 2- ]الشعراء: 193- 194[ 3- ] النحل: 102[ 4- ]6:42 أشعياء[

5- ] المائدة: 67[ 6- ] الحديد:9 [ 7- ]الأحزاب: 45- 46[ 8- ]42: 11- 13 اشعياء[.

ففى هذه الآية وفى لفظ قيدار بالأخص أقوى إشارة إلى أن النبى المبشر به هو النبى محمد ، حيث أن: "قيدار= اسم سامي معناه (قدير أو أسود) وهو ابن إسماعيل الثاني (تك 25: 13). وهو أب لأشهر قبائل العرب وتسمى بلادهم أيضاً قيدار".(1) وهى مكة، وإلا فلِمَ يأتى لفظ قيدار وديارهم هنا بالأخص وما مناسبة ذكره فى الآية، فضلاً عن كل شخصيات وأماكن الكتاب المقدس... هذا بجانب أن سَالِع أو سِلَع هو جبل بقرب المدينة المنورة وأيضا جبل فى بلاد الأردن، فأما عنه وعن سكانه وترنمهم وهتافهم، فلا ينطبق إلا على سَالِع أو سِلَع الواقع فى المدينة وذلك لأمران... **أولهما**: أن لا علاقة لسالع الأردن بقيدار وديارهم، بل الأولى سالع المدينة. **ثانيهما**: أنه لم يكن هتافاً ولا ترنماً بسالع الأردن، بل الترنم والهتاف يكون برفع الآذان والتكبير والتهليل فى الحج لدى المسلمين، وأيضاً لأن سَالِع أو سِلَع كان سبباً فى انتصار المسلمين على أعدائهم فى غزوة الأحزاب (الخندق) وقد اجتمعوا عدداً وعُدة لقطع شأفة المسلمين... وهذا ما جاء فى البشارة (**الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته يهتف ويصرخ ويقوى على اعدائه**).

هذا بجانب تلك البشارة الخاتمة، حيث جاء فى سفر أشعياء} **وحي من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين... هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان ارض تيماء وافوا الهارب بخبزه**{(2).، وهذا إخبار بوحى يأتى من جهة بلاد العرب، وتيماء حسب قاموس الكتاب المقدس والتى تسقى العطشى\_إشارة إلى سقاية الحجيج- هى: "قبيلة اسماعيلية تسلسلت من تيما فكانت تقطن بلاد العرب"(3).، والددان حسب القاموس ذاته: " وكانت دَدان التي تقع بقرب تيماء مركزاً للتجارة في الجزيرة العربية. واسمها الحديث (العُلا) في وادي القرى في شمال الحجاز".(4)

فلعله ليس من قبيل الصدفة -فى الكتاب المقدس- عند الإشارة إلى النبى القادم أن تكون الآيات المبشرة به تشير إلى إسماعيل وذريته!، فى أكثر من موضع وبأكثر من صورة، وهذا لم يكن افتراءاً على الآيات، ولكن حقيقة ظاهرة فى آيات البشارة السابق ذِكرها، فإن أتينا بالآيات إلى جانب بعضها مع اختلاف مواضعها وأزمنتها فى الكتاب المقدس، سوف يكون الأمر واضح وجلي... وحى من جهة بلاد العرب، ماء لملاقاة العطشان، تيماء، ددان، قيدار وديارهم، سالع وسكنهم، هتافهم وترنمهم، النصرة على الأعداء.!!!

1- <http://www.albishara.org> 2- ]21: 13- 14 اشعياء[ 3- <http://www.albishara.org>

4- المرجع السابق.

**ب- بشارات الإنجيل / البشارة الأولى:**

- }**فسألوه وقالوا له فما بالك تعمد إنْ كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي**{.(1)

- يقول العلامة الدكتور (وليم إدى) عند شرحه لهذه الآية ما نصه: "يتضمن سؤال الفريسيين ليوحنا التسليم بأنه لو كان أحد أولئك الثلاثة الذين ذكروهم لحق له أن يعمد".(2)، وهذا يعنى أن اليهود كانوا منتظرين لثلاث نبوات علموها من كتابهم التوراة، فإن كان المسيح أحدهم ، فيبقى اثنان: إيليا والنبى.

- فأما عن النبى فهو يوحنا المعمدان وذلك من خلال هذه الآية من التوراة: }هأنذا أرسل ملاكي فيهيء الطريق أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به هوذا يأتي قال رب الجنود{.(3) حيث تفسرها الآيات التالية من إنجيل مرقس إذ ورد فيها: }كما هو مكتوب في الأنبياء ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك... صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة... كان يوحنا يعمد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا}.(4)، وهو ما يؤكده القمص (أنطونيوس) إذ يقول: "هأنذا أرسل ملاكي فيهيء الطريق أمامي=هو يوحنا المعمدان... ولذلك يجمع كل أحد أن يوحنا كان نبياً... وقد هيأ الطريق أمام المسيح بدعوة الناس إلى التوبة.. وبعد يوحنا يأتى المسيح مباشرة."(5)

- أما عند شرح الآية التالية: }هأنذا أرسل اليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف{.(6) فيقول القمص (انطونيوس فكرى) ما نصه: "هنا يتكلم عن يوم الدينونة حينما يأتى المسيح فى مجيئه الثانى.... ولكن لأن ملاخى قد أنهى نبوته بنبوتين، واحدة عن مجىء يوحنا المعمدان كسابق للمسيح فى مجيئه الأول ونبوة عن مجيء إيليا كسابق للمسيح فى مجيئه الثانى".(7)

ومن خلال ما سبق نرى أن الثلاثة الذين ذكرهم الفريسيين، قد ظهر منهم اثنان: المسيح، والنبى يوحنا المعمدان (كسابق للمسيح فى مجيئه الأول)، وبقى واحد وهو ايليا (كسابق للمسيح فى مجيئه الثانى)، ولكن يبقى السؤال: من هو ومتى يأتى؟... والجواب هو:

محمد الذى جاء بعد المسيح بما يقرب من ستة قرون، والذى قال مبلغاً عن ربه: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ.. مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ}.(8)

1-]1: 25 يوحنا[. 2- الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل/د. وليم إدى 3-]1:3 ملاخى[

4- ]2:1 -4 مرقس [ 5- تفسير الكتاب المقدس/ أنطونيوس فكرى 6-]4: 5 ملاخى[

7- تفسير الكتاب المقدس/ أنطونيوس فكرى 8- ]الأنبياء: 1- 2[.

**البشارة الثانية:**

-} **إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى. وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد**{. (1)

أما عن تلك النبوءة فيقول (موريس بوكاى) ما نصه: "إن نص إنجيل يوحنا يتحدث وحده عن مرشد آخر آت بعد المسيح، يطلِق عليه يوحنا باللغة اليونانية اسم parakletos وهى كلمة ترجمت فى اللغه الفرنسيه بكلمة paraklet، وفى الآية المذكورة أعلاه نص كلمات احدى الفقرات فى إنجيل يوحنا، وهى تتحدث صراحة عن هذا المعزى او الباراكليتوس parakletos، وذلك وفقا لما ورد فى الترجمة المسكونية من العهد الجديد... ما معنى باراكليت paraklet هذه؟... إن النص الحالى لإنجيل يوحنا يشرح معناها كما يلى: الباركليت parakletهو الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى ليبلغكم كل شىء وسيجعلكم تتذكرون كل ما قلته لكم.(2)...} هو نفسه سيشهد لى{.(3)، }لكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ولكن إن ذهبت أرسله لكم ومتى جاء ذاك يُبكِّت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة{(4)... ونجد فى إنجيل يوحنا أيضا: }إن لى أمورا كثيره أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تتحملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمورآتية ذاك يمجدنى..}..(5)، (ويلاحظ أن مجمل نص إنجيل يوحنا فى الأصحاحات 14،15،16 التى اقتبسنا منها هذه النصوص المتعلقة بالمعزى لاتغير من معنى النصوص التى اقتبسناها بأى حال من الأحوال).... وعندما نقرأ النصوص التى اقتبسناها من إنجيل يوحنا فيما يتعلق بشأن ذلك الباراكليتس parakletos وهى كلمة يونانية، نجد أن هذه الكلمة يستحيل أن يكون معناها هو "الروح القدس" كما يصر على ذلك كل مفسرى وعلماء الكتاب المقدس المسيحيين فى كل التعليقات والشروح التى يكتبونها فى كتب

التعليم المسيحى، ومثال ذلك الشروح والتفسيرات التى يعطيها لنا الآب أ.(تريكو) تحت عنوان paraklet. إذ كتب يقول بالحرف الواحد ما نصه كما يلى:

"إن لفظ باركليت paraklet المنقول من اللغة اليونانية إلى اللغة الفرنسية لم يستخدم فى العهد الجديد إطلاقا إلا فى إنجيل يوحنا، إن يوحنا يذكر فى الإنجيل المنسوب إليه هذه الكلمة أربع مرات عند سرده لخطبة المسيح التى وجهها إلى حوارييه بعد العشاء الأخير (16:14-26)، (26:15)، (7:16) وذكره مرة واحدة فى رسالته الأولى (1:2)، إن كلمة "الباراكليت" تعنى "الروح القدس"، أما فى رسالة يوحنا الأولى (1:2) فهى تعنى: "المسيح" ولقدكانت كلمة الباراكليت سائدة شائعة الاستخدام لدى اليهود الهلنستيين (الذين عاشوا فى

1- ]15:14- 16 يوحنا[. 2- ]26:14 يوحنا[. 3- ]26:15 يوحنا[.

4- ]7:16-8 يوحنا[ 5- ]12:16،14 يوحنا[

الإسكندرية بعد عصر أفلاطون وأرسطو بوجه خاص)، كانوا يقصدون بها معنى: الوسيط أو المدافع أو المحامى.

فالمسيح يعلن لتلامذته بعد العشاء الأخير مستخدما كلمة الباراكليت أن الروح القدس سيرسل الباراكليت أى الآب والابن فى دوره الإنقاذى الذى يؤديه أثناء حياته الفانية على الأرض وذلك لصالح حوارييه. إن الروح القدس سيتدخل ويعمل كبديل للمسيح As a substitute or Christ أو وسيط paraklet قادر على كل شىء "(انتهى ما يقوله "أ. تريكو" فى قاموس الكتاب المقدس عن الباراكليت).إن (أ. تريكو) بهذا التفسير إذن يحاول أن يجعل من الروح القدس "مرشدا أسمى Utimate Guide" للناس بعد اختفاء المسيح.(1)

فهل يتفق هذا التفسير مع النصوص التى أوردها يوحنا فى المواضع المشار إليها؟ وكيف؟... لابد من مناقشة هذه المسألة مناقشة موضوعية:

يبدو غريبا وشاذاً من حيث المبدأ أولا وقبل كل شىء أن يكون "الروح القدس" هو المقصود بقول يوحنا: }ولكن عندما يأتيكم روح الحق يرشدكم إلى الحق كله، لأنه لا يقول شيئاً من عنده، بل يخبركم بما يسمعه ويطلعكم على ما سوف يحدث{.(2)... فمن غير المعقول بداهة أن ينسب أحد إلى الروح القدس القدرة على أن "يتحدث ويتكلم" لا من تلقاء نفسه ولكن يتحدث "ويتكلم بكل ما قد سمع". إن هذه المسألة أوضح من أن تناقش. ومن المهم أن نرجع إلى الأصل اليونانى لنتمكن من فهم هذه المسألة لأن من المهم لنا فى هذا الصدد أن نتذكر أن يوحنا قد كتب أصول الإنجيل المنسوب إليه باللغة اليونانية وليس بأى لغة أخرى؟ والنص اليونانى الذى رجعت إليه فى تمحيص هذه المسألة هو النص الذى يطلق عليه "نوفوم تستا منتوم جريسNovum Testamentum Graece طبعة نستلى- ألاند Nestle&Aland (سنة 1971). (3)

إن البحث الجاد والتمحيص الدقيق ينبغى أن يبدأ بحصر الصيغ المختلفة لنص معين إن كان لذلك النص صيغ مختلفة، وبالنسبة للنصوص المتعلقة بكلمة المعزى أو الباركليتوس parakletos فليس بها نص مختلف سوى الفقرة 26:14 من المخطوطة السريانية الشهيرة المعروفة باسم بالمبست palimpsest، والتى لا تشير إلى الروح فقط بل الروح القدس، فهل كان إغفال سائر النصوص الأخرى لوصف الروح بأنه الروح القدس مجرد سهو من النساخ أم أنه لم يجرؤ أحد منهم على إضافة كلمة القدس إلى كلمة الروح كوصف لها باعتبار أنها إضافة غير معقولة أو مقبولة إذ ليس من المعقول أن يسمع الروح القدس كما يسمع الناس أو أن يتكلم كما يتكلم الناس؟ وفيما عدا هذه الملاحظة ليست هنالك اختلافات فى النصوص المتعلقة بهذا الموضوع من إنجيل يوحنا. (4)

1- التوراة والإنجيل والقرآن/د. موريس بوكاى – ترجمة على الجوهرى.ص148 2- ]13:16 يوحنا[.

3- التوراة والإنجيل والقرآن/د. موريس بوكاى 4-المرجع السابق.

إن الدلالة المحددة لفعل "يسمع"، ولفعل "يتكلم" هى التى تحسم شأن هذه المسألة التى أثارها إنجيل يوحنا، فإن فعل يسمع هو فعل Entender فى الترجمة الفرنسية، ويقابله فعل Akouo فى اللغة اليونانية ومعناها هو القدرة على تمييز الأصوات على مقربة معينة من مصدرها. وقد تم اشتقاق كلمة Acoustique بالفرنسية وكلمة Acoustisc باللغة الإنجليزية من هذه الكلمة اليونانية، والمقصود هو علم الصوتيات.(1)

أما فعل "يتكلم Parler" فى الترجمة الفرنسية فهو يقابل فعل Laleo باليونانية ومعناه إصدار أصوات وخصوصا الأصوات الخاصة بالكلام، ويتكرر استخدام هذا الفعل بهذا المعنى كثيرا فى النص اليونانى للإنجيل إشارة إلى كلام المسيح أثناء قيامه بالتبشير وإلقاء المواعظ. ويبدو واضحا فى موضوعنا أن الكلام إلى الناس المقصود لا يتمثل فى "إلهام" من عمل الروح القدس لأنه اتصال ذو طابع مادى آخر، واضح فيه استقبال لكلام وإصدار لكلام، كما يفيد ذلك اللفظ اليونانى المستخدم فى هذا الصدد. ومن البديهى أن نسبة هذين الفعلين وهما: فعل "يسمع" وفعل "يتكلم" إلى الروح القدس لا يتسق بأى حال مع المفهوم العام السائد للروح القدس.، إن نص هذه الفقرة من إنجيل يوحنا كما نطالعه فى المخطوطات اليونانية يكون غير مفهوم بالمرة لو نظرنا عليه باعتبار أنه يتعلق مع كلمة "الروح القدس" فى النص الموجود بالأصحاح (26:14)، إنها الجملة الوحيدة التى تربط بين الباراكليت والروح القدس. ولوحذفنا كلمة روح القدس من هذا النص باعتبار أن هاتين الكلمتين هما إضافة أدخلت على النص فى زمن لاحق نجد أن هذا النص يقدم دلالة شديدة الوضوح (عن نبى قادم بعد المسيح هو نبى الإسلام محمد. ويضاف إلى ذلك أنه يوجد تخبط آخر فى نص الرسالة الأولى ليوحنا إذ تستخدم نفس كلمة الباراكليت paraklet للإشارة إلى المسيح (كما لو كان يبشر بقدوم المسيح) باعتبار أنه الوسيط بين البشر وبين الله.(2)

وعندما قال المسيح حسب إنجيل يوحنا: }إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخرAnother paraklet ليمكث معكم إلى الأبد{.(3)لم يكن المسيح يعنى بهذا التعبير الروح القدس، أو يعنى نفسه، بل كان يتحدث عن أن الله سيرسل إلى البشر "وسيطا آخر" كما كان المسيح وسيطا أو رسولا من الله إلى البشر أثناء حياة المسيح مع حوارييه على الأرض... إن ذلك يقودنا بكل المعقولية إلى أن نرى فى "الباراكليتparaklet " عند يوحنا "كائنا بشريا" مثل المسيح، يتمتع بامتلاك حاسة السمع والقدرة على تلقى كلام الله وحيا إلهيا كما يتمتع بملكة القدرة على الكلام لينقل كلام الله إلى الناس، وهما الحاستان اللتان تتضمنهما نصوص إنجيل يوحنا المشار إليها فى هذا الصدد بكل حسم ووضوح.(4)

1- التوراة والإنجيل والقرآن/د. موريس بوكاى 2- المرجع السابق 3- [15:14-16 يوحنا].

4- التوراة والإنجيل والقرآن / د. موريس بوكاى

إن المسيح يصرح بناء على ما سبق بيانه أن الله سيرسل كائنا بشريا يعيش على هذه الأرض ليقوم بأداء الدور الذى وصفه المسيح وأورده إنجيل يوحنا: يخبر الناس بكل شىء عن العقيدة الصحيحة والشريعة التامة ويبقى معهم إلى الأبد، وذلك ببقاء كلام الله متضمنا أسس العقيدة والشريعة بين البشر. إن يوحنا قد وصف دور "المعزى paraklet"باعتبار أنه "دور نبى" يسمع كلام الله ويكرره بأمانة لينقله إلى كل البشر. إن هذا هو التفسير المعقول لتلك النصوص التى أشرنا إليها فى إنجيل يوحنا عندما نعطى للكلمات معناها الحقيقى ولا نحاول صرفها إلى معان أخرى غير معقولة.... أما تفسير "المعزى" باعتبار أنه هو "الروح القدس" استنادا إلى وجود كلمة القدس بدلا من "روح الحق" الموجودة بكل النصوص ما عدا نصا واحدا أشرنا إليه باعتبار أنه هو النص الوحيد الذى يصف الروح بأنه روح القدس، فلا ريب فى أن كلمة "القدس" إنما هى كلمة أضيفت إلى النص ولم تكن فيه أصلا، وذلك عن قصد وتعمد لتعديل المعنى وتحويره وصرفه إلى معنى آخر غير معناه الصحيح المعقول. إن إضافة كلمة "القدس" بجوار كلمة "الروح" إنما هى إضافة متعمدة تهدف إلى تحويل المعنى الصحيح للنص وهو المعنى الذى يعلن عن مجىء نبى بعد المسيح، حتى لا يتصادم النص مع تعاليم الكنيسة المسيحية التى تجعل المسيح هو خاتم الأنبياء ولا نبى بعده.(1)

**فصل:**

بعد أن انتهى (موريس بوكاى) من عرضه لتلك النبوءة، بقى لنا تعليق على كلمة روح القدس والتى هى محل الخلاف، ولكن بعد عرض تلك الآيات من الإنجيل:

1- }أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم{.(2)

2- }نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ومن ليس من الله لا يسمع لنا من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال{.(3)

3- }ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد{.(4)

4- }هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف{.(5)

5- }مازال عندى أمور كثيرة أقولها لكم، ولكنكم الآن تعجزون عن احتمالها.. ولكن عندما يأتيكم روح الحق يرشدكم إلى الحق كله، لأنه لا يقول شيئاً من عنده، بل يخبركم بما يسمعه ويطلعكم على ما سوف يحدث{.(6)

1- التوراة والأنجيل والقرآن / د. موريس بوكاى 2- ]1:4 رسالة يوحنا الاولى[ 3- ]6:4 رسالة يوحنا الاولى[

4- ]26:15 يوحنا [ 5- ]4: 5 ملاخى [ 6- ] 12:16- 13 يوحنا[

- إن الناظر فى نصوص الآيتين 2،1 يتضح له دون أى مشقة أو تفكير، أن كلمة روح وكلمة روح الحق =كلمة النبى.

- والناظر فى نص الآية 3 يجد أن كلمة المعزى= روح الحق... ومن ذلك نجد أن: روح الحق= المعزى= النبى.

وإذا ربطنا نصوص الآيات 3،2،1 بنص الآية رقم 4 وبالرجوع إلى تفسيرها أعلاه، يتضح لنا دون أدنى شك، أن النبوءة المبشر بها ملاخى هى نفس النبوءة المبشر بها المسيح.

وفى الآية الخامسة خلاصة ما سبق، حيث أن روح الحق المعزى النبى الآتى إلى العالم يخبر بالحق كله، ولا يقول شيئاً من عنده، ويطلع الناس على ما سوف يحدث.... وقد تم ذلك الوصف والنبوة فى نبى الإسلام محمد، وذلك من خلال إخباراته بالأحداث والاكتشافات التى حدثت فى عصرنا ولم تكن لتحدث فى زمانه، ولأنه أخبر عن نفسه وأخبر الله عنه فى القرآن، أنه لم يتكلم من عند نفسه بل مما أوحى له به الله. حيث قال الله عن محمد: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى.. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ ُوحَى}.(1)

1- ]النجم: 3- 4.[

# الفصل الرابع: محمد الخليفة الطبيعى للمسيح

للخلافة صور متعددة مثل الإرث للمولود الأول كما فى الشريعة اليهودية، أو حق ولاية العهد للإبن أو الابنة الكبرى فى النظام الملكى، أو بانتخاب أحد المرشحين بالأغلبية عن طريق التصويت، أو دينياً باختيار إلهى لرسول من قِبل الله كما فى رسالة إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً السلام، الذين اُختيروا وأُعلنوا بالرسالة وأُعدوا لها من قبل الله ... ويعتبر النبى محمد خليفة للمسيح -عليهما السلام- لأسباب عدة:

1- تاريخياً ومن حيث الترتيب الزمنى تعتبر رسالته تتابعاً منطقياً للأحداث.

2- لكونه مختاراً من قبل الله .

3- تعتبر رسالته إنجازاً لنبوءات أسلافه من الأنبياء، لقول المسيح: }**سوف يرشدكم إلى الحق كله**{.

**وها نحن نعرض تلك الأسباب بشىء من التفصيل:**

1- **تاريخيا**:

النبى الكريم موسى  سبق المسيح  بحوالى1300 عام ، ومحمد ارتقى الى مقام النبوة بعد غياب المسيح بنحو ستة قرون... أى بعد فترة من الزمن يحتاج بعدها الإنسان إلى من يذكره ويرشده الى طريق الحق طريق من سبقه من آبائه وأجداده.

**2- لكونه مختارا من قبل الله:**

الله  هو الذى يختار رسله، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وله معاييره الخاصة التى قد لا نفهمها أو نعرف الحكمة من ورائها دائماً، فنجد القديس بولس يصرخ معترضاً: }لأن اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة{.(1)... فرجل عالمى مثل القديس بولس يرى حسب منطقه أن طلب اليهود آية يعتبر حجر عثرة فعلى فى سبيل إيمانهم، وطلب اليونانيون لحكمة حماقة فى رأيه.

ولقد اختار الله موسى لرسالته، وكان رجلاً هارباً من وجه العدالة ويتهته فى الكلام، والتوراة تصفه بأنه: }رجل أغلف الشفتين{.(2)، ولكن حينما أمره الله تعالى أن يواجه فرعون طاغية عصره لم يعبأ موسى بهذه العقبات داعياً الله الرحيم أن يعضده ويحفه، وهو ما وصفه القرآن بقول الله تعالى: {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى.. قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي.. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي.. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي.. يَفْقَهُوا قَوْلِي.. وَاجْعَلْ لِي

وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي.. هَارُونَ أَخِي.. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي.. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي..كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا.. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا..

1-] 22:1 أكو[ 2- ]12:6 خر[

إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا.. قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى}.(1)

3- **تعتبر رسالته انجازاً لنبوءات أسلافه من الأنبياء:**

فبعد أن جاء موسى إلى بنى إسرائيل وهم فى مصر حيث الذل والمهانة والعبودية لفرعون وأهله، وبعد أن عبر بهم البحر ناجياً هو ومن معه من بطش فرعون وجنوده، ومبلغاً لبنى إسرائيل شريعة ربه الذى كلمه وفهمه وعلمه ما لم يكن يعلم، من بعد ما نسو أو تناسوا ما كان عليه آباؤهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من عبادة الله وتوحيده، ها هو المسيح يأتى بعدما مر على موسى نحو ما ذكرنا من القرون، فيأتى لبنى إسرائيل أيضاً وحدهم حيث قال: }**لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة**{.(2)... وحيث جاء فيه أيضاً قول يوحنا: }**إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله**{.(3)

فها هو جاء إليهم بعدما تركوا شريعة موسى فلم يؤدوها على الوجه الأكمل، حتى أنهم أنكروا المسيح وجحدوه وهو الذى يجدونه عندهم فى التوراة، كما جاء على لسان المرأة: }قالت له المراة أنا أعلم أن مسيا الذي يقال له المسيح يأتي فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء{.(4)، فقد أتى إلى بنى إسرائيل ليخبرهم عما لم يخبرهم به موسى طبقاً لما أرسله الله به، وقد حاولوا قتله إلا أن الله رفعه إليه تكريماً وحمايةً له، ولم يكن المسيح ليدع قومه قبل أن يخبرهم عن النبى الآتى إلى العالم، والذى يأتى ليقول ما لم يقله المسيح، وذلك لقول المسيح ذاته: }**ولكن عندما يأتيكم روح الحق يرشدكم إلى الحق كله**{. (5)

فها هو إيليا النبى والمعزى وروح الحق المرسل من قبل الله: محمد المختار والمصطفى من قبل الله، والذى جاء فيه قول الله فى القرآن: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.(6)، فهو النبى الأمى الذى لا يعرف الكتابة كما هو مذكور فى نصوص التوراة: }**أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له اقرا هذا فيقول لا اعرف الكتابة**{.(7)، فهو الأمى الذى اختاره الله ليرسله لأمة أمية ليس لها إلا عبادة الأوثان والتقرب إلي الأصنام بشتى أنواع القربان والتفنن فى صنع الآلهة من الخشب والحجر والعجوى والطين، فأخذ بأيديهم من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة الأوثان والشرك بالله إلى تحطيم الأوثان وتوحيد الإله وإفراد العبودية له.

وقد وصفهم واحد من أعظم مفكرى القرن الماضى وهو (توماس كارليل) (8) فى محاضرة ألقاها يوم الجمعة الموافق الثامن من مايو 1840م وكانت المحاضرة بعنوان "كيف يكون البطل نبياً"، وكان المستمعون من الإنجليكان وهم المسيحيون الإنجليز، وصفهم قائلاً: "قوم رعاة أغنام فقراء هائمون على وجوههم فى صحرائهم

1- [طه: 24- 36[ 2-] 24:15 متى[ 3- ] 11:1 يوحنا[ 4-] 25:4 يوحنا [ 5- ]13:16 يوحنا[

6- ]الجمعة: 2[ 7-] 12:29 اشعياء[ 8-...إنجليزى من اسكتلاندا، كاتب ومؤرخ، له كتاب الأبطال وقد عقد فيه فصلاً للنبى .

مجهولون لا يعبأ بهم أحد منذ فجر التاريخ، أُرسل إليهم نبى بطل بوحي فآمنوا به. انظر المغمورين أصبحوا أفذاذاً بارزين، الفئة الصغيرة أصبحت عالماً كبيراً، وفى غضون قرن واحد وصل الإسلام إلى غرناطة بإسبانيا من جهة وإلى دلهي فى الهند من جهة أخرى، تتلألأ تلك الفئة فى جرأة وشجاعة وبهاء وعبقرية، وسطعت شمس العروبة لأجيال طويلة على مساحات شاسعة من العالم، إن العقيدة هى الدافع القوى للحياة، تاريخ أمة أصبح مثمراً، روحها ارتفعت وارتقت بمجرد أن أصبحت صاحبة عقيدة، هؤلاء العرب مع محمد وقرن واحد من الزمان كمثل ومضة نزلت إلى عالم من الرمال السوداء التى لا يلتفت إليها أحد؟ لكن يا للعجب، الرمال تثبت كأنها بارود متفجر أشعل السماء من دلهي إلى غرناطة، إننى إقول أن الرجل العظيم دائماً كومضة من السماء ينتظرها بقية الرجال كوعاء من الوقود ومن الاثنين تنطلق الشعلة ".(1)

ونلاحظ أن (توماس) قرن مع محمد هؤلاء العرب، ووصفهم برجال كوعاء من الوقود ينتظر الومضة من السماء وهى محمد لتنطلق الشعلة من خلالهم جميعاً، وهذا ما يدعونا للحديث عن: **الأتباع المختارون**... فكما يختار الله رسله يختار أيضاً أتباع رسله، وفى عالم الروح لم يكن هناك شعب أكثر ملائمة لرسالة الرسل من الشعب اليهودى ومع ذلك اضطر موسى أن يندب شعبه قائلاً: }قد كنتم تعصون الرب منذ يوم عرفتكم{.(2)، وفى العهد والوصية الأخيرة لموسى أحبط الإسرائيليون نبيهم الوديع الرقيق موسى الذى أُجبر على أن يعنفهم على عنادهم المستمر ومقاومتهم وموقفهم المتعجرف تجاه تعاليم الله: }لأنى أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هوذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى{.(3)... وصار الحال على هذا المنوال إلى أن وصل غضب الله إلى الذروة، فينتقدهم بقسوة قائلا: }هم أغارونى بما ليس إلهاً. أغاظونى بأباطيلهم فأنا أغيظهم فأغيرهم بما ليس شعباً بأمة غبية أغيظهم{.(4)

**أغيظهم فأغيرهم بما ليس شعباً بأمة غبية أغيظهم!!**

استبدال اليهود.. شعب الله المختار. بما ليس شعباً= بقبائل متفرقة هنا وهناك، وبأمة غبية أمّية= بأمة أمّية لا تعلم عن الله وشرعه شيئًا.

1- نقلا عن محمد الخليفة الطبيعى للمسيح /احمد ديدات 2-] 24:9 التثنية [

3- ]27:31 التثنية[ 4- ]21:32 التثنية[.

**استبدال اليهود**

أى شخص بقليل من المعرفة بالكتب المقدسة يمكنه أن يستنتج من هم هؤلاء الذين كانوا فى أعين اليهود المتعجرفين العنصريين ليسوا شعباً وليس لهم وجود وأمة غبية المعنيون بهذه الآية، وإذا لم يكن أبناء عمومتهم من أبناء إسماعيل (العرب) هم المعنيون بهذه الآية وهم الذين سوف يستبدل الله بنى اسرائيل بهم، فمن هم غير العرب -الذين ينطبق عليهم كلمات (توماس كارليل): "هائمون على وجوههم فى الصحراء لا يلتفت إليهم أحد منذ فجر التاريخ"-؟.

إنهم العرب. مرَّ عليهم الإسكندر الأكبر ولم يلتفت إليهم، ومر عليهم الفرس ولم يعيروهم بالاً، حتى أن (يزدجرد) عظيم الفرس وآخر ملوكوهم خاطب أحد وفود العرب إليه قائلاً: "إنى لا أعلم فى الأرض أمة كانت أشقى، ولا أقل عدداً، ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل لكم قرى الضواحى فيكفوننا أمركم، ولا تغزوكم فارس، ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس، فإن كان غرور لحقكم، فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم، فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم، وملّكنا عليكم ملكاً يرفق بكم".(1)، وقد أغفلهم المصريون والرومانيون من خططهم ولم يأبهوا لهم أيضاً.

فلماذا أهملهم كل هؤلاء؟ لأنهم كما جاء عنهم فى التوراة: ليسوا شعبا ًوأمة غبية، ولأنهم كما وصفهم يزدجرد ملك الفرس: أشقى أمة، وأقل عدداً، وأسوأ ذات بين، قرى الضواحى تكفى فارس أمرهم، ولا تغزوهم فارس استخفافاً بهم واحتقاراً لشأنهم.

لكن الخالق لم يهملهم، لقد التقطهم من أعماق الظلمات وجعلهم حملة مشاعل النور والمعرفة للعالم أجمع، ولم يكن ذلك محل الصدفة وإنما هو وعد الله فى التوراة: أنا أغيظهم فأغيرهم بما ليس شعباً. بأمة غبية أغيظهم.، وأيضاً تصديقاً لما ورد فى الإنجيل على لسان المسيح: }لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل على إثمارها{.(2)، فإن ما حدث فى الحقيقة هو الإنجاز الكامل لوعيد الله فى التوراة، ولنبوءة المسيح فى الإنجيل.(3)

1- نقلا عن المعارك الكبرى فى تاريخ الاسلام / القادسية ص44-د.شوقى أبو خليل 2- ]43:21 متى[ 3- محمد الخليفة الطبيعى للمسيح / بتصرف.

# الفصل الخامس: محمد رسول الله حقاً

}**أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم**{.(1)

هذه الكلمات قالها المسيح إلى أتباعه، ناصحاً إياهم بألا يقبلوا أى نبى يدعى أنه من قبل الله إلا بعد أن يأتى بدليل على قوله، فيقول الدكتور (وليم إدي) فى تفسيره لهذه الآية: "أوجب الرسول (المسيح) على كل المؤمنين أن يميزوا بين الحق والباطل ولم يكل ذاك إلى خدم الدين وحدهم، فأبان فى هذه الآية أن علينا فى أمور الدين التى هى من أعظم الأمور المختصة بالإنسان فى الدنيا والآخرة أن لا نقبل معلماً يدَّعى أنه من الله ما لم يأت بأوضح برهان على أنه مرسل من الله".(2)

وهكذا فى إنجيل متى؛ قال المسيح: }احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة!.. من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنبا، أو من الحسك تينا؟.. هكذا كل شجرة جيدة تصنع اثمارا جيدة، أما الشجرة الردية فتصنع ثمارا رديئة.. لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع ثماراً رديئة ولا شجرة رديئة ان تصنع ثماراً جيدة.. كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار.. فإذاً من ثمارهم تعرفونهم{.(3)

وقد كان ذات الاختبار طُبِّق على المسيح: }فخرج الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه{.(4)، }فأجاب اليهود وقالوا له آية آية ترينا حتى تفعل هذا.. أجاب يسوع وقال لهم انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه{.(5)، }فقالوا له فاية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ماذا تعمل آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا{.(6)

وكذلك طلب موسى من الله برهان أنه مرسل من قبل الله: }فأجاب موسى وقال ولكن ها هم لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي بل يقولون لم يظهر لك الرب.. فقال له الرب ما هذه في يدك فقال عصا.. فقال اطرحها إلى ألارض فطرحها إلى ألارض فصارت حية فهرب موسى منها.. ثم قال الرب لموسى مد يدك وامسك بذنبها فمد يده وأمسك به فصارت عصا في يده.. لكي يصدقوا أنه قد ظهر لك الرب إله آبائهم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب.. ثم قال له الرب أيضا أدخل يدك في عبك فأدخل يده في عبه ثم اخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج{.(7)

1-]1:4 رسالة يوحنا الأولى[ 2- الكنز الجليل فى تفسير الإنجبل/د. وليم إدي 3- ]15:7 -20 متى[ 4- ]11:8 مرقس[

5- ]18:2-19 يوحنا[ 6- ]30:6-31 يوحنا[ 7-] 1:4- 6 الخروج[.

فإذا ربطنا ما جاء فى التوراة وما جاء فى الإنجيل، نجد أن موسى أتى ببرهان على أنه من قبل الله، والمسيح أتى ببرهان على أنه من قبل الله.

وقد وصى المسيح فى أكثر من موضع فى الإنجيل -كما سبق وبينَّا– على اختبار وامتحان أى نبى يأتى إلى العالم، وذكر أنه يُعرف بما أتى به. إن أتى بالخير فهو من قبل الله وإن أتى بالشر فهو من الكذبة. فقال: }من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنبا، أو من الحسك تينا؟{، قال الدكتور(وليم إدي) فى تفسير هذه الآية: "غير المسيح هنا التشبيه وعبر عن الأنبياء الكذبة بأشجار لا نفع منها. وكلامه هنا جواب لسؤال مقدر، فكأنما سُئل بماذا نعرف الأنبياء الكذبة من الأنبياء الصادقين؟ فقال ما ذُكر.. ومعناه أن المعلمين يعرفون من نتائج تعليمهم كما تظهر فى حياتهم وحياة تابعيهم. فالدين الذى يعلم الناس أن يعيشوا بالتقى ويموتوا على الرجاء هو دين الحق... فمن الحماقة أن نتوقع من الأشرار أعمالاً صالحة كما أنه من الجهل أن نتوقع الثمار الجيدة من الأشجار الرديئة... أى نتيجة الكلام وخلاصته أن كل يعرف بثماره. يعرف المعلمون الصادقون بصلاح تعليمهم وسيرتهم الطاهرة لا بزي ملبوساتهم ولا بقدر رتبتهم ولا بكثرة تابعيهم ولا بغناهم ولا بعلمهم ولا بسلطانهم ولا بعظمة ادعائهم شرف نسبهم ولا شدة اعتنائهم بالطقوس ورونق احتفالهم بها... وهذا ينافى زعم بعضهم أن الشرير يمكن أن يكون معلماً مفيداً فى الدين".(1)

فهل محمد من الأشرار أم من الأخيار؟ وهل ما جاء به كان فيه النفع للبلاد والعباد أم فيه الشر والفساد؟! وهل أتى محمد ببراهين على صدقه وصدق ما جاء به أم لا؟!!

فإذا تأمل المتأمل ما قدمناه من جميل أثر هذا السيد الكريم، وحميد سيره، وبراعة علمه، ورجاحة عقله وحلمه، وجميع خصاله، التى شهد له بها القاصى والدانى، الصاحب والخصم، العربى والأجنبى، الشرقى والغربى، العالم والجاهل، المسلم وغير المسلم، لم يمتر فى صحة نبوته، وصدق دعوته، **فها هى براهين كثيرة قد سقناها، نذكر منها:**

**- القرآن معجزة المعجزات**

والذى تحدى الله به الأولين والآخرين، تحدى به أهل اللغة فى زمان نزوله، وأخبر بالغيبيات التى حدث منها ما يثبت صدقه، وأخبر عن القرون السالفة والأمم البائدة، ووصف اكتشافات علمية لم يكن لأحد أن يعرفها إلا من زمن قريب، وبقى على الزمن محفوظاً فى الصدور قبل الصدور، وكان منهاج حياة للفرد والمجتمع يشع

منها الخير كله، وقانون تشريعى فى شتى المجالات، الاقتصادية والأسرية والحربية والسياسية وغيرها. كل هذا

1- الكنز الجليل فى تفسير الانجيل.ص109

جعل (موريس بوكاى) يقول: "من غير المعقول أن يتصور إنسان أن كثيراً من حقائق العلم التى تكتشف فى العصر الحديث التى تضمنتها نصوص القرآن كانت من تأليف بشر وذلك بسبب حالة المعارف والعلوم الطبيعية فى عصر محمد. **ولذلك فمن الصواب المشروع تماماً أن يُنظر إلى القرآن باعتبار أنه حقاً وصدقاً (تعبير الوحى من الله) أنزله إلى نبى الإسلام".**(1)

**-** **سيرة محمد**

يقول (د/ وليم إدى): "يعرف المعلمون الصادقون بصلاح تعليمهم وسيرتهم الطاهرة"، تعليقاً وتفسيراً على قول المسيح: "فإذاً من ثمارهم تعرفونهم".(2)، وقد وضح لنا كالشمس كيف كان محمد وكيف كان وصفه لدى من عاصره ومن لم يعاصره؟، وما الذى أثمره؟ هل الخير على مر السنين أم الفساد والطغيان؟

ولعل كلمات (إميل درمنجهم) فى وصف النبى تذكرة لما قاله غيره ممن سبق ذكرهم فى فصول مضت، حيث وصف النبى محمد قائلاً: "لقد أبدى من الكرم وعظمة النفس ما لا تجد مثله فى التاريخ إلا نادراً، وكان يوصى جنوده بأن يرحموا الضعفاء والشيوخ والنساء والأولاد، وكان ينهى عن هدم البيوت وإهلاك الحرث وقطع الشجر المثمر".(3)

وإذا كان هذا الوصف صحيحاً فيما يخص حياة محمد  باعتباره مقاتلاً، فقد أثبت الفكر الاستشراقى أن حياته الاجتماعية فى غاية السمو، وجاء ذلك بيناً فى قول (ول ديورانت).إذ وصفه بأنه:" لم يتعاطَ الخمر التى حرمها هو على غيره، وكان لطيفاً مع العظماء، وبشوشاً فى وجه الضعفاء، عظيماً مهيباً أمام المتعاظمين... متسامحاً مع أعوانه، يشترك فى تشييع كل جنازة تمر به، ولم يتظاهر قط بأبهة السلطان، وكان يرفض أن يوجه إليه شىء من التعظيم الخاص، يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام، ولا يطلب إلى عبد أن يقوم بعمل يجد لديه من الوقت والقوة ما يمكنانه من القيام به بنفسه. ولم يكن ينفق على أسرته إلا القليل من المال... وكان يخص الصدقات بالجزء الأكبر... وكان محارباً صارماً لا يرحم عدواً، وقاضياً عادلاً فى وسعه أن يقسو ويعذر، لكن أعماله الرحيمة أكثر من أن تعد".(4)

1- التوراة والإنجيل والقرآن/ بوكاى 2- الكنز الجليل فى تفسير الانجيل.

3- نبوة محمد. ص415 نقلاً عن( الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربى/د.عماد الدين خليل )

4- نبوة محمد. ص415 نقلاً عن( قصة الحضارة /ول ديورانت:11/45 )

**- آيات أخرى**

لقد أظهر محمد  من الآيات التى تدل على صدق دعوته الكثير، والتى جاءت موثقة توثيقاً تاماً، وعرفها ورآها كل من عاصره، وتناقلتها الأجيال تلو الأجيال، ولعل علم الحديث عند المسلمين ذاك العلم الذى لا يضاهيه غيره، هو صاحب الفضل فى وصول تلك الروايات إلينا دون أن يستطيع أى إنسان إنكارها أو التشكيك فيها، والتى قال فيها (موريس بوكاى): "لا يشكل القرآن الكريم المصدر الوحيد للعقيدة والشريعة فى الإسلام، وأثناء حياة محمد وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى كانت السنة النبوية المتمثلة فى أفعاله وأقواله هى المصدر الثانى الذى يجرى البحث عنه ليجد فيه العلماء والمفسرون إكمالاً للمصدر الأول.. وقد ظهرت إلى الوجود مجموعات من أقوال النبى وأفعاله وأصبحت تعرف الآن فى العلوم الإسلامية باسم محدد هو: (علم الحديث) "Hadiths"... وقد حوت هذه المجموعات أوسع المعلومات وأوثقها، ويعتبر صحيح البخارى بصورة عامة هو أكثر كتب الحديث صحة بعد القرآن".(1)

فهذه الأحاديث الموثقة هى التى نقلت إلينا أقوال النبى وأفعاله، فكان مما نُقل إلينا الآيات التى أيده الله بها، ومنها:

-**أن الماء قد نبع من بين أصابعه:**

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ –أحد صحابة النبى- قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَة، وَالنَّبِىُّ  بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ فَجَهَشَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ: «مَا لَكُمْ». قَالُوا لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلاَ نَشْرَبُ إِلاَّ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِى الرَّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا. قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ قَالَ لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً".(2)

-**أن الطعام قد كثر ببركته ودعائه:**

عَنْ (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْر). قَال:َ كُنَّا مَعَ النَّبِىِّ  ثَلاَثِينَ وَمِائَةً فَقَالَ النَّبِىُّ: «هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ». فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نَحْوُهُ، فَعُجِنَ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌّ طَوِيلٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِىُّ: «بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً -أَوْ قَالَ- أَمْ هِبَةً». قَالَ لاَ، بَلْ بَيْعٌ. فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً، فَصُنِعَتْ وَأَمَرَ النَّبِىُّ  بِسَوَادِ الْبَطْنِ أَنْ يُشْوَى، وَايْمُ اللَّهِ مَا فِى الثَّلاَثِينَ وَالْمِائَةِ إِلاَّ قَدْ حَزَّ النَّبِىُّ لَهُ حُزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا، إِنْ كَانَ شَاهِدًا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ، وَإِنْ كَانَ غَائِبًا خَبَأَ لَهُ، فَجَعَلَ مِنْهَا قَصْعَتَيْنِ، فَأَكَلُوا أَجْمَعُونَ، وَشَبِعْنَا، فَفَضَلَتِ الْقَصْعَتَانِ، فَحَمَلْنَاهُ عَلَى الْبَعِيرِ".(3)

1-التوراة والإنجيل والقرآن والعلم.ص270،269 2- البخارى 3- المرجع السابق

- **استجابة الله لدعائه:**

عَنْ أَنَسٍ -رضى الله عنه- قَالَ أَصَابَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَحْطٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ  ، فَبَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ إِذْ قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْكُرَاعُ، هَلَكَتِ الشَّاءُ، فَادْعُ اللَّهَ يَسْقِينَا، فَمَدَّ يَدَيْهِ وَدَعَا. قَالَ أَنَسٌ وَإِنَّ السَّمَاءَ لَمِثْلُ الزُّجَاجَةِ فَهَاجَتْ رِيحٌ أَنْشَأَتْ سَحَابًا ثُمَّ اجْتَمَعَ، ثُمَّ أَرْسَلَتِ السَّمَاءُ عَزَالِيَهَا، فَخَرَجْنَا نَخُوضُ الْمَاءَ حَتَّى أَتَيْنَا مَنَازِلَنَا، فَلَمْ نَزَلْ نُمْطَرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الأُخْرَى، فَقَامَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ -أَوْ غَيْرُه- فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ، فَادْعُ اللَّهَ يَحْبِسْهُ. فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ «حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا».فَنَظَرْتُ إِلَى السَّحَابِ تَصَدَّعَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ كَأَنَّهُ إِكْلِيل. (1)

- **انشقاق القمر فى زمانه:**

قال أنس بن مالك:"كان أَهْلَ مَكَّةَ قد سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ  أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ".(2)، وقد كشف علماء وكالة ناسا وجود شق في القمر يبلغ طوله عدة مئات من الكيلومترات، ثم كشفوا عدداً من التشققات على سطح القمر، ولم يعرفوا حتى الآن سبب وجود هذه الشقوق، إلا أن بعض العلماء يعتقدون أنها نتيجة لتدفق بعض الحمم المنصهرة ولكن هذه وجهة نظر فقط. وهناك عدد كبير من التشققات على سطح القمر، وبعض هذه التشققات أشبه "بوصلات لحام" وكأننا أمام سطح معدني تشقق ثم التحم!! وكل ما قاله علماء وكالة ناسا حول هذه الشقوق هو: (rilles are still a topic of research) ومعنى ذلك أن هذه الشقوق لا زالت قيد البحث!!(3)

-**إخباره بالغيبيات:** والتى نذكر منها:

1- أن أبا بكرة قال: رأيت النبى  على المنبر والحسن بن على إلى جنبه، وهو يُقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به فئتين عظيمتين من المسلمين".(4)، وقد كان الحسن بن على سبباً فى حقن دماء المسلمين حينما تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان.

2- أن النبى  صعد ذات مرة جبل أحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم الجبل، فقال رسول الله: "اثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان".(5) ، وقد تحقق أن عمر وعثمان قد استشهدا كلاهما.

1- متفق عليه 2- متفق عليه 3- [www.kaheel7.com](http://www.kaheel7.com) 4- البخارى 5- البخارى

3- إخباره بالفتوحات الإسلامية: فعَنْ سُفْيَانَ بْنِ أَبِى زُهَيْر. أَنَّهُ قَال:َ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ  - يَقُولُ: «تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَأْتِى قَوْمٌ يُبِسُّونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَتُفْتَحُ الشَّامُ، فَيَأْتِى قَوْمٌ يُبِسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَتُفْتَحُ الْعِرَاقُ، فَيَأْتِى قَوْمٌ يُبِسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ. وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ».(1)، ولقد فتحت هذه البلاد وأسلم أهلها، وأصبحوا من أهل الإسلام وحماته، ولأن الكلام من وحى الله العليم الخبير، فلقد أخبر  بالواقع تماماً، ففتحت هذه البلاد وفق إخباره  ، ففتحت اليمن والشام، ثم فتحت العراق، وحدث تفرق الناس فى هذه البلاد، لما فيها من السعة والرخاء، ولو صبروا على الإقامة بالمدينة لكان خيراً لهم.(2)

حتى الذين رأو تلك البراهين فى زمان محمد  وادعوا أنها من قبيل السحر والكهانة وادعوا على القرآن بأنه من قبيل الشعر، حتى هؤلاء وإن قالوا ذلك فإنهم قالوه ليس إلا لرفض ما جاء به محمد، ويتضح ذلك فى كلام النضر بن الحارث الذى يقف بين قومه ويقول: "يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، وأرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم: ساحر. لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم. وقلتم: كاهن. لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم. وقلتم: شاعر. لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها: هزجه ورجزه. وقلتم: مجنون. لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه. يا معشر قريش، فانظروا فى شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم".(3)

فهل تكفينا تلك الآيات والبراهين للإقرار لمحمد بأنه رسول الله حقاً، وأن الدين الذى جاء به هو دين الحق والصدق الذى ختم به الله رسالاته فى الأرض، وإن ما يثار حوله فى الشرق والغرب، ما هو إلا كالذى أثاره فرعون لرفض موسى وما جاء به، وكالذى أثاره بنو إسرائيل لرفض المسيح وما جاء به.

أليس هذا هو سنة الله فى خلقه، فما أرسل من رسول إلا وأيده بالمعجزات والآيات الدالة على أنه من قبل الله، ومع ذلك فإن الناس ترى الآيات والبراهين ولكن منهم من آمن ومنهم من كفر.

2- المرجع السابق 3- معجزات الرسول التى ظهرت فى زماننا/د.عبد المهدى عبد القادر 4- السيرة /لابن هشام

# الفصل السادس: قبسات من أخلاق محمد

لقد ورد فيما مضى كيف كان محمد قبل الإسلام وكيف أنه مُلقبٌ فى قومه بالصادق الأمين، ورأينا كيف ارتضوه حكماً فى قضية وضع الحجر الأسود عند بناء الكعبة، وما اشتمل عليه من خصال كريمة بين قومه.. فها نحن نظهر بعض ما كان لمحمد من أخلاق حميدة اعترف له بها القاصى والدانى ووصفه به ربه فى القرآن ولم يعترض عليها ولم ينكرها إلا من جهل محمدًا وما جاء به وما دعا إليه... ولعل أول ما نبدأ به هو وصف الله لمحمد بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.(1)

وحسب نبينا محمد رسول الله هذا الثناء العظيم من الرب العظيم: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}.(2)، ولم لا وقد أدبه ربه فأحسن تأديبه، وعصمه من الفواحش والدنايا، وأكرمه بمحاسن الأخلاق وجميل الصفات، وارتضاه أسوة حسنة لعباده. ولما لا يتأسى به المسلمون وقد ذكرت عائشة حينما سُئلت عن خلق رسول الله فقالت: "كان خلقه القرآن".(3)، ومعنى هذا: أنه امتثل القرآن أمراً ونهياً، فما أمره القرآن به فعله وما نهاه عنه تركه وتخلق بأخلاقه العظيمة.(4)... ولما لا وهو القائل: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وكان دائماً يدعوا الله قائلاً: ".. واهدنى لأحسن الأخلاق، لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت...".(5)

وبذلك استحق أن يكون الأسوة الحسنة لجميع الناس على اختلاف مشاربهم، وما من أحد إلا ويجد فى سيرته  المثل الأعلى الذى يهتدى به فى مناكب الحياة، يقول الأستاذ (سليمان الندوى):

"إن حياة موسى  تمثل لنا القوة البشرية العظيمة والبطش الشديد، ولكننا لا نعرف فى المأثور عنه ما تكون لنا فيه الأسوة الحسنة من ناحية دماثة الخلق، وخفض الجناح، وسجاحة النفس وسماحتها... وفيما نعرفه من حياة المسيح  نماذج لسماحة النفس ورقة الطبع ودماثة الخلق ولين الجانب، لكننا لا نجد فيما وصل إلينا من أخلاقه وأعماله تفاصيل عن شؤون حياته وأسرته تحرك ساكن القُوى وتثير كوامن النفس وتنبه القُوى المتراخية، والإنسان فى حياته محتاج إلى هذا وهذا، فكما يحتاج إلى ما يهدئ ثائرة قواه ويسكن جائشها يحتاج كذلك إلى ما يثير الكامن من هذه القوى ويهيج ساكنها وينبه المتراخى منها، إنه فى حاجة إلى حياة يتخذها قدوة له فى هاتين الحالتين المختلفتين، على أن يكون بيد صاحبها ميزان العدل بالقسط تستوى كفتاه، ولن تجد الجمع بين هاتين الخصلتين المختلفتين جمعاً قويماً عزيز الوجود إلا فى حياة محمد ، فإنه هو الذى مثلت

1- ]الآية 4 من سورة القلم[. 2- ]الآية 21 من سورة الاحزاب[ 3- تفسير القرآن العظيم 4- مسلم 5- مسلم.

حياته أعمالاً كثيرة متنوعة، بحيث تكون فيه الأسوة الصالحة والمنهج الأعلى للحياة الإنسانية فى جميع أطوارها، لأنها جمعت بين الأخلاق العالية والعادات الحسنة والعواطف النبيلة المعتدلة والنوازع العظيمة القوية".(1)

والنقطة الثانية التى تتجلَّى فيها عظمة الخُلُق المحمدى هو أن هذه الأخلاق على درجة سواء وفى توازن عجيب، فلا خُلُق يطغى على خُلُق، ولا صفة تطغى على صفة، رحمة فى غير ضعف، وتواضع فى غير مهانة، وحياء فى غير ذلة، وشجاعة فى غير تَهَوُّر، وعزة فى غير كبرياء، وجُودٌ فى غير إسراف، وعدل فى غير تفريط، وحلم فى غير غفلة، وزهد فى غير رهبانية، ومزاح فى غير باطل... ومن أى النواحى نظرت فى حياة محمد  وجدته عظيماً، كان عظيماً فى بيته بين أزواجه وبنيه، وبين مواليه وخدمه، وكان عظيماً بين أصحابه، وكان عظيماً مع أعدائه، وكان عظيماً وهو يدعو إلى ربه ، وكان عظيماً وهو يسوس الدولة، ويجهز الجيش، ويرسل البعوث، ويدعو الأفراد والقبائل، ويكاتب الملوك والأمراء، وكان عظيماً وهو فى محرابه بين يدى ربه  يدعوه خاشعاً متضرعاً فقيل له فى ذلك، فقال: "أفلا أكون عبداً شكوراً ؟!".(2)

لقد كان عظيماً فى رحمته، وفى تواضعه، وفى جوده، وفى حلمه، وفى شجاعته، وفى عدله، وفى حيائه، وفى صدقه، وفى وفائه، وفى زهده... وكان عظيماً فى كل شىء... وشهد بهذه العظمة الصاحب والعدو، والقريب والبعيد، والقاصى والدانى، واشتهر ذلك بين الناس وتناقلوه جيلاً عن جيل وهو من أعظم دلائل نبوة محمد  لمن أنصف. حتى قال ابن حزم: "إن سيرة محمد  تقتضى تصديقه ضرورة، وتشهد له بأنه رسول الله حقاً، فلو لم يكن له معجزة غير سيرته لكفى".(3)

وها هم أقرب الناس إليه يشهدون بعظيم أخلاقه، ولعلنا اطلعنا على ما قالته خديجة له عندما رأى الوحى لأول مرة وعاد خائفاً فزعاً من هول ما رأى، إذ ردت على قوله: "لقد خشيت على نفسى".قائلة: "كلا والله ما يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق".(3)

وهذه عائشة زوجته تقول عنه وقد سُئلت: ما كان النبى  يصنع فى بيته؟ قالت: "يكون فى مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة".(4)، وحينما سُئلت عن خُلق رسول الله، قالت: "لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح".(5)

1- قبس من الأخلاق النبوية.ص16-نقلاً عن (الرسالة المحمدية) 2-البخارى

3- قبس من الأخلاق النبوية.ص17-نقلاً عن (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) 4- الأدب المفرد 5- الترمذى.

وهذا ابن عمه (على بن أبى طالب) يصفه فيقول: "أجود الناس كفاً، وأشرحهم صدراً وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله".(1)

وهذا ابن عمه (جعفر بن أبى طالب) يقف بين يدى (النجاشى) فى بلاط المُلك بين بطارقته وحاشيته فيقول: "أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الارحام، ونسىء الجوار، ويأكل القوىُّ منَّا الضعيفَ فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منَّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام... فصدقناه وآمنا به واتبعناه...".(2).

وهذا ابن عمه (عبد الله بن عباس) قال: "كان رسول الله  أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حتى ينسلخ فيأتيه جبريل فيعرض عليه القرآن فإذا لقيه جبريل كان رسول الله  أجود بالخير من الريح المرسلة".(3)

فهؤلاء أقربائه وهذه شهاداتهم فيه...أما شهادات أصحابه من غير قرابته فحدث عن البحر ولا حرج، فما أكثر ما وصفوه به، وشهدوا له به من مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، ونذكر منها:

ما قاله أنس بن مالك مولى رسول الله: "خدمت رسول الله  عشر سنين فما قال لي أُفٍ قط وما قال لي لشيء صنعته: لم صنعته. ولا لشيء تركته: لم تركته".(4)

ولعلك قد يأخذك بعض الريب فى هذه الشهادات فتحسب الباعث من ورائها عنصر القرابة من رسول الله أو الصحبة له، فدونك إذن، فها هى شهادات أعدائه فيه، والفضل ما شهدت به الأعداء، إن هؤلاء الذين نشأ بين أظهرهم، وقضى أربعين سنة من عمره وهم يعرفون عنه الصغيرة والكبيرة قبل أن يبعثه الله نبياً.

فها هو (أبى سفيان) -وهو سيد قريش ومن أشد أعدائه يومئذ-، واقفاً فى بلاط (هرقل) عظيم الروم يسأله عن رسول الله فى محاورة طويلة وثقها الكثير من المؤرخين، فكان من جملة ما سأله عن أخلاقه ، قال: "هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فأجاب أبو سفيان: لا. قال: فهل يغدر؟ قال: لا.

1- الترمذى 2- السيرة لابن هشام. 3- متفق عليه 4- الترمذى

قال: ماذا يأمركم؟ قال: أن اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة... ثم عقب (هرقل) على جواب (أبى سفيان) قائلاً: **سألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله**!".(1)

وهذا (أبو جهل) -وهو من ألد أعدائه وأشدهم حرباً على الإسلام والمسلمين- لم يملك إلا الاعتراف بصدق محمد ، فقال: "إنا لا نكذبك ولكن نكذب الذى جئت به"، فأنزل الله قوله: {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآَيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ.. وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ}.(2)

**وبعد أن قرأنا شهادات الأقرباء والأصحاب والأعداء لمحمد، ممن عاصره وخالطه وتعامل معه، يحسُن بنا أن نقدم بعضًا من أخلاق محمد** **، ليتَسنى لنا معرفة سبب هذه الشهادات فى حقه حتى من أعدائه... ومنها:**

1- **الرحمـــة**:

قال الله : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}.(3)... فرسالة محمد  رحمة للخلق جميعاً إنسهم وجنهم، مؤمنهم وكافرهم. هى رحمة للمؤمنين؛ إذ هداهم الله به من الظلمات إلى النور، وجعله سبباً لدخولهم الجنة ونجاتهم من النار، وهى رحمة للكافرين، إذ دفع به عنهم عاجل العذاب الذى كان ينزل بالكافرين السابقين، فوجوده  بين ظهرانى الكافرين أمان لهم من العذاب، لقول الله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ}.(4)... وفى حديث رسول الله: "يا أيها الناس، إنما أنا رحمة مهداة".(5)

وكان نبينا محمد  رحيماً بالمؤمنين خاصة، رحيماً بالناس عامة، واتسعت رحمته لتشمل الحيوان البهيم:

أ-**رحمته بالمؤمنين**

قال الله: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.(6)، وقال الله: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}.(7)

فكان  رحيماً بأمته شفيقاً عليها أكثر من شفقة الأم على ولدها، وقد تجلت هذه الرحمة فى مظاهر كثيرة.

1- البخارى 2-]الأنعام: 33[ 3- ]الأنبياء: 107[ 4- ] الأنفال: 33[

5- السلسلة الصحيحة. 6- ]التوبة: 128 [ 7- ]آل عمران: 159[ 8- الترمذى.

ب- **رحمته بالنساء**

إذ هُنَّ أضعف خلقاً وأرق عاطفة، فأرشد الأزواج إلى معاشرة أزواجهن بالمعروف وإحسان صحبتهن، فقال: "ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم".(1)، وقال: "خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله".(2)

ووصى الآباء بالصبر على تربية البنات، فقال: "لا يكون لأحدكم ثلاث من البنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا دخل الجنة".(3)، ولن تدرك عظمة هذه الوصية وغيرها ولا مقدار ما اشتملت عليه من الرحمة إلا إذا استحضرنا حال المرأة قبل الإسلام، ومبلغ القسوة التى جعلتهم يئدونها حية، وقد وصف القرآن هذا فى قول الله: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ.. يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}.(4)

وفى هذا الحديث يُبيّن لنا إلى أى حد كان النبى رحيماً بالنساء، إذ قال : "إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه".(5)

ج- **رحمته بالأرامل والمساكين**

وقد تزوج النبى محمد نساء أرامل رحمة بهن وشفقة عليهن، وتقديراً لجهود أزواجهن فى الجهاد فى سبيل الله ونصرة الدين، كزواجه من (سودة بنت زمعة) التى مات عنها زوجها، وزواجه من (زينب بنت خزيمة) التى ترملت من زوجها الذى مات شهيداً، وزواجه من (جويرية بنت الحارث) بنت رئيس قبيلتها (بنى المصطلق) حينما وقعت فى الأسر، تكريماً لها وتأليفاً لقلوب قومها، فكان أن أطلق الصحابة ما بأيديهم من الأسرى إكراماً لرسول الله، فما كانت امرأة أعظم على قومها بركة منها كما قالت (عائشة).(6)

د- **رحمته بالصبيان**

قال أنس بن مالك مولى رسول الله: "ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ".(7) ، وفى يوم إذ بالنبى يُقَبِّل ابن بنته الحسن بن على، وعنده الأقرع بن حابس التميمى جالساً فقال الأقرع: إن لى عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ثم قال: "من لا يَرحم لا يُرحم".(8)

هـ- **رحمته بالخدم**

لقد ذكرنا قول (أنس بن مالك) خادم رسول الله، والذى قال فيه: "خدمت رسول الله  عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لي لشيء صنعته: لم صنعته ولا لشيء تركته: لم تركته".(9)

1- الترمذى 2- الترمذى 3- الترمذى 4- ]النحل: 58- 59[ 5- البخارى

6- ابو داوود 7- مسلم 8- متفق عليه 9- الترمذى.

وذكرنا أيضاً فى معاملة الإسلام للرقيق، قوله : "إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم".(1)، حتى أن بلغ رحمته بالخدم والرقيق، ما جعله وهو على فراش الموت، يوصى فيقول: "الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم".(2)

و- **رحمته بالأيتام**

لقد أرشد رسول الله أمته إلى كفالة اليتيم والإحسان إليه، والرحمة به، وبشر من كان كذلك بصحبته فى الجنة فقال: " أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهذا" وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً".(3)

ومن شدة الأمر فقد جعل أكل مال اليتيم من الموبقات وقرنها مع عظيم الذنوب فقال: "اجتنبوا السبع الموبقات.قيل: يا رسول الله وما هن. قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات".(4)

ط- **رحمته بأمته خاصة**

ومن مظاهر هذه الرحمة النبوية العظيمة... رفع الحرج والمشقة عن أمته فى التكاليف الشرعية: وقد وصفه ربه بقوله: {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}.(5)، ومن أمثلة ذلك:

1- تركه فعل الشىء مخافة أن يُفرض على أمته، فقد ورد عن عائشة أنها قالت: "إن رسول الله  كان ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيُفرَض عليهم".(6)، وفى ذلك قال رسول الله: "لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة".(7)، وفى صلاة القيام فى رمضان كان قد اجتمع بالمسلمين ثلاثة أيام، فلما كان من اليوم الرابع لم يخرج اليهم، فلما أصبح قال: "قد رأيت الذى صنعتم ولم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أنى خشيت أن تُفرض عليكم".(8)، ولما تأخر ذات ليلة عن أصحابه فى صلاة العشاء حتى ذهب ثلث الليل أو بعده، فقال حين خرج إليهم: "إنكم لتنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم، ولولا أن يثقل على أمتى لصليت بهم هذه الساعة". ثم أمر المؤذن فأقام الصلاة وصلَّى".(9)

2- امتناعه عن الجواب فى بعض الأحوال مخافة أن يشق على أمته، كقوله: "أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا"، فقال رجل: أكُل عام يا رسول الله؟ فسكت. حتى قالها ثلاثاً. فقال رسول الله: "لو قلت نعم لوجبت ولَما استطعتم" ثم قال: "ذَرونى ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه".(10)

1- مسلم 2- صحيح بن ماجه 3- البخارى. 4- متفق عليه 5- ]الأعراف: 157[.

6- البخارى 7- مسلم 8- البخارى 9- مسلم 10- مسلم.

3- أمره بالتخفيف على الناس حتى فى العبادات بما لا يخل بمضمون العبادة، فقال: "إذا أمَّ أحدكم الناس فليخفف؛ فإن فيهم الصغير والكبير، والضعيف والمريض، فإذا صلى وحده فليُصَلَّ كيف شاء".(1)، وقد رأينا كيف كان يخفف صلاته عند سماع بكاء الصبى شفقةً بأمه.

- ومن مظاهر رحمته بأمته: أنه ذات يوم تلا قول الله عن ابراهيم  مخاطباً ربه، قائلاً: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.(2)، وقول الله عن المسيح ، قائلاً: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.(3)، فرفع يده  بالدعاء إلى الله وقال: "اللهم أمتى أمتى"، وبكى ، حتى قال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوؤك".(4)

**ظ-** **رحمته بالناس عامة**

ولم تقتصر هذه الرحمة على المؤمنين أو على أمة المسلمين فقط بل امتدت لتشمل كل الناس، فقال رسول الله : "لا يرحم الله من لا يرحم الناس".(5)، وقال: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء".(6)... حتى شملت هذه الرحمة الكافرين، وقد سجلت آيات القرآن شيئاً من هذا، فجاء قول الله مخاطباً محمد : {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آَثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا}.(7)، وجاء قوله تعالى: {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ}.(8)

ومن تلك الرأفة والرحمة بالكافرين، ما قاله لعائشة حين سألته: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحُد؟ فقال: "لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسى على (ابن عبد ياليل بن عبد كُلال) فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملَك الجبال. فسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقلت: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً".(9).... ألا ينطبق ذلك مع قول الله له: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}.(10)

لقد بلغت رحمة النبى بالناس والكافرين منهم، حتى فى أثناء القتال والجهاد وإرسال الغزوات، إذ أنه كان يوصى أصحابه عند خروجهم للجهاد، قائلاً: "انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً

فانياً ولا لقد بلغت رحمة النبى بالناس والكافرين منهم، حتى فى أثناء القتال والجهاد وإرسال الغزوات، إذ أنه

1- مسلم 2- ] إبراهيم: 36[ 3- ]المائدة: 118[ 4- مسلم 5- البخارى.

6- الترمذى 7- ]الكهف: 6[ 8- ]فاطر: 8[ 9- البخارى. 10- ]الأنبياء: 107 [

كان يوصى أصحابه عند خروجهم للجهاد، قائلاً: "انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين".(1)

فهل لنا أن ننظر إلى هذه الأخلاق الرفيعة التى ربى عليها محمد  أصحابه حتى وَهُمْ فى حالة حرب مع عدوهم؟، وكيف نهاهم عن الغلول والغدر والمثلة وقتل الصغار والنساء؟، وهل نجد هذه القيم الإنسانية وهذه الرحمة العظيمة فى أى من المعارك التى دارت على مر التاريخ، فى شتى بقاع الأرض، وبين مختلف الألوان والأجناس؟!... ألم يقل (جوستاف لوبون): "**ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب**"؟ وألم تكن تلك الشهادة نتيجة لتربية محمد لهم...؟!

**ع-** **رحمة النبى محمد بالحيوان**

لقد اتسعت رحمة محمد لتشمل عالم الحيوان، وأحاديثه فى هذا الباب فضلاً عن سبقها الزمنى بحوالى أربعة عشر قرناً على ما توصلت إليه الحضارة الغربية من قوانين ومنظمات وجمعيات للرفق بالحيوان، فإنها تكشف عن جانب مشرق من حضارة الإسلام التى ترى فى الحيوان الأعجم نعمةً إلهية تستوجب الشكر، وكائناً ذا روح، مُسخّراً لخدمة الإنسان، يتوجب عليه أن يرحمه ويحسن إليه، بل وترتقى بهذا الإحسان إلى درجة العبادة التى يؤجر عليها الإنسان وتكون سبيله لدخول الجنة، وفى المقابل تتوعد المخالف بالنار... فأين قوانين الأرض من قوانين السماء؟!

**ومما جاء فى رحمة النبى محمد بالحيوان:**

**-** أنه قال : "إن الله كتب الإحسان على كل شىء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليُحدْ أحدكم شفرته وليُرِح ذبيحته".(2)...

**-** وقال: "دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض".(3)

**-** وأخبر قائلاً: "بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب؛ فشكر الله له فغفر له"، قالوا: يا رسول الله وإن لنا فى البهائم أجراً؟ قال: "فى كل كبد رطبة أجر".(4) **-** وقال رسول الله : "لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً".(5)

فتلك هى بعض من مظاهر الرحمة التى اتصف بها نبى الإسلام محمد ،{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}.

1- أبو داود 2- مسلم 3- البخارى 4- البخارى 5- مسلم 6- ]الأنبياء: 107 [

**2- التـواضـع**

إذا أردت أن تعرف مقدار تواضع العبد فانظر إلى قدر منزلته، فتواضع العالِم ليس كتواضع الجاهل، وتواضع الغنى ليس كتواضع الفقير، وتواضع القوى ليس كتواضع الضعيف، ومحمد الرسول صاحب تلك الرسالة العظيمة، ومربى هذه الأجيال، والذى غير مجرى التاريخ، فجعل من الرعاة للأغنام سادة للأقوام، ومن الجهلاء علماء، لم تخرجه هذه المنزلة الرفيعة والمنزلة الكريمة، عن أن يكون متواضعاً إلى أقصى ما يكون من تواضع، فكان من مظاهر تواضعه:

**أ-** ما ذكرته عائشة عنه حينما سُئلت: "ما كان النبى يصنع فى بيته؟ قالت: كان يكون فى مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة".(1)

**ب-** وأنه كان يتناوب مع على بن أبى طالب وأبى لبابة على بعير واحد فى غزوة بدر، حتى إذا كانت نوبته. قالا له: اركب حتى نمشي، فقال لهما: "ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما".(2)، وكيف أنه كان يشاركهم فى حفر الخندق فى غزوة الاحزاب حتى اغبرَّت بطنه .

**ج-** وكيف به ينهى الناس عن إطرائه –وهى المبالغة فى المدح ومجاوزة الحد إلى ما لا يرضاه الشرع-، فقال: "لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله".(3)، وكان يمنع أصحابه من القيام له، فيقول: "من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار".(4)

وهو القائل: "لا تخيرونى على موسى"(5).، وهو القائل أيضاً حاثاً على التواضع: "لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر".(6)

**3- الصــدق**

قد تحدثنا عن صدق النبى قبل بعثته وبعد بعثته فى فصول مضت، ويكفينا أن نُذكِّر بما اتصف به قبل البعثة بين قومه: "الصادق الأمين"، ورأينا قول (قيصر) ملك الروم (لأبى سفيان): "أنه إذا كان يُوصف بينكم بالصادق، فما كان ليصدق الناس ويكذب على الله".، وننهى حديثنا عن تلك الصفة الملازمة له والتى شهد له بها الشرق والغرب.. بقوله : "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً".(7)

1- البخارى 2- رواه احمد 3- البخارى 4- صحيح الأدب المفرد 5- متفق عليه 6- مسلم 7- مسلم.

**4- الجــود**

لقد كان رسول الله  جواداً، وكان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، وذلك بشهادة من أصحابه؛ حيث قال ابن عباس: "كان رسول الله  أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل-وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن-، فلَرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة".(1)، وقال أنس: "ما سُئل رسول الله  على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، وقال: جاء رجل رسول الله فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة".(2)

ولأنه  جواد فكان دائماً يتعوذ بالله من البخل ويُعلِّم ذلك أصحابه، فقال سعد بن أبى وقاص: كان النبى  يعلمنا هؤلاء الكلمات كما تعلم الكتابة: "اللهم إنى أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن نرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر".(3)، وهكذا كان يحث أمته على الجود بالنفس والمال فى كثير من أحاديثه.

**5- الحلم والعفو**

الحلم من أخلاق الأنبياء؛ قال الله عن ابراهيم: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}.(4)، وقال عن ابنه اسماعيل: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ}.(5)، وقال لنبيه محمد : {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}.(6)

ومما ورد فى وصف نبى الله محمد ؛ ما قاله عبد الله بن عمرو بن العاص: "ولا يدفع بالسئة السيئة ولكن يعفو ويغفر".(7)، وكان هذا العفو مع أعدائه كثير؛ فحين كان فى غزوة أُحد كسرت رباعيته وشج فى وجهه حتى سال الدم منه، فعفا عنهم، ودعا لهم ولم يدع عليهم، قال عبد الله بن مسعود: كأنى أنظر إلى النبى  يحكى نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: "اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون".(8)، وكذلك قد عفا عن اليهودية التى وضعت له السم فى ذراع الشاه، وعن عبد الله بن أبى بن سلول رأس النفاق، وقال لعمر حين طلب أن يقتله: "دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ".(9)، ولا ننسى أن نذكر عفوه عن قريش حين دخل مكة وقولته التى سجلها التاريخ :" اذهبوا فأنتم الطلقاء".(10)

ومن حلمه : أنه لم يحفظ عنه قط أنه ضرب امرأة ولا خادماً، ولا انتقم لنفسه قط إلا إذا انتهكت محارم الله، وقيل: "ما ضرب رسول الله  شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلى أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شىء من محارم الله فينتقم لله ".(11)

1- البخارى 2- مسلم 3- البخارى 4- ]التوبة: 114 [ 5- ] الصافات: 101[ 6- ] الأعراف: 199 [ 7- البخارى 8- البخارى

9- البخارى 10- السيرة لان هشام 11- مسلم.

**6- الشجاعة**

إن الشجاعة من خلق الأنبياء والمرسلين، وبهذا وصفهم الله بقوله: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ}.(1)، وقد عرف عن رسول الله الشجاعة، فكان لا يخاف فى الله لومة لائم، ولولا هذا ما استطاع أن يبلغ دعوته ويستمر بين ظهرانى قومه فى مكة ما يقرب من ثلاث عشرة سنة، فكان شجاعاً حال السلم وحال الحرب؛ قال البراء: "كنا إذا احمر البأس نتقى به، وإن الشجاع منَّا للذى يحاذى به -يعنى النبى -".(2)، وقال على بن أبى طالب وهو من فرسان الأمة وشجعانها: "كنا إذا احمر البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله ، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه".(3)، وفى غزوة حنين وقد فر عنه الناس ظل  ثابتاً فى مكانه على بغلته البيضاء وهو يقول: "أنا النبى لا كذب... أنا ابن عبد المطلب".(4)

ولم تكن صولة الملك ولا قوة السلطان لتمنع رسول الله  من تبليغ دعوة ربه ، فكاتب الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام وفيهم كسرى عظيم الفرس وهرقل عظيم الروم.

فهل نرى مدعياً للنبوة يَثْبُت مثل هذا الثبات، وتنطوي نفسه على مثل هذا اليقين، وقد قال عنه أنس: "كان النبي  أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فاستقبلهم النبي  وقد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: "لن تراعوا، لن تراعوا"؛ وهو على فرس لأبى طلحة عري، ما عليه سرج، وفي عنقه سيف، فقال: "لقد وجدته بحراً"، أو"إنه لبحر".(5)

1- ]الأحزاب: 39[ 2- مسلم 3- رواه أحمد والبيهقى

4- البخارى 5- البخاري.

الفصل السابع**: محمد فى ميزان الغرب**

عندما تحدثنا عن الإسلام والغرب اتضح لنا: أن كتاب الغرب، حين يكتبون عن الإسلام، يتفاوتون فى قيمة الكتابة، ولكن تفاوتهم على حسب البواعث والنيات أضعاف تفاوتهم على حسب الدراية والمعرفة؛ لأنهم طوائف مختلفة لا تتفق فى الوجهة ولا فى الخُلق... فمنهم المبشرون الذين ينحرفون عن الصواب اضطراراً أو اختياراً بباعث من التعصب... و(منهم) أناس يخدمون السياسة الغالبة على دولهم... ويكتب عن الإسلام فى الغرب طلاب المعرفة من المستشرقين الذين نشأوا فى العصر الحديث بمعزل عن دوائر التبشير... ويكتب عن الإسلام فى الغرب أناس يتشيعون له بمقدار ثورتهم على سلطة الدين فى بلادهم... ويكتب عن الإسلام فى الغرب أُناس عرفو الحق واتبعوه وآمنوا به.(1)

وقد مر الحديث عن الإسلام ورسوله فى الغرب بأربع مراحل على امتداد الزمان والمكان قد ذكرناها بشئ من التفصيل عند الحديث عن الإسلام والغرب، ولعلنا نتطرق إليها هنا تارة أخرى بشيء من الإيجاز، مركزين فيها على رسول الله محمد  على وجه الخصوص... **والمراحل الأربع هى**:

1-**مرحلة القرون الوسطى**:... والتى سبق وقسمناها إلى قسمين هما:

**أ- الفكر المسيحى الشرقى**

ويمثلها هنا (تيوفان Theophane le confesseuv) (817 م) أحد علماء بيزنطة والذى كتب فى حولياته عن أصول الإسلام وأحداث السيرة، فكان مما كتب عن محمد: "ولما كان محمد فقيراً ويتيماً فقد قرر أن يرتبط بامرأة غنية اسمها خديجة... وبعد أن سيطر عليها وأغراها تزوجها... وفى فلسطين اختلط مع اليهود والنصارى، وبوساطتهم، حصل على بعض الكتابات، وأصيب أيضاً بالصرع. ولما علمت زوجته بأنها –وهى امرأة من الطبقة الغنية– قد ارتبطت برجل ليس فقيراً فقط، ولكنه أيضاً مصاب بالصرع هدأها بقوله: إنى أرى

ملكاً اسمه جبريل، ولما كنت لا أستطيع تحمل رؤيته فإنى أصرع... ولما كان يريد إقناعها فقد قال لها: بأنها الحقيقة... فبلّغت هى النسوة، وانتشر بعد ذلك الخبر إلى الرجال... وفى الختام فإن بدعته حصلت بالحرب على منطقة يثرب؛ لأنه قضى أولاً عشر سنوات ينشر رسالته فى السر، ثم بعد ذلك قضى عشر سنوات أخرى ينشرها بالحرب، حتى انتهى أخيراً إلى الدعوة العلنية وإلى الحكم تسع سنوات ".(2)

1- نبوة محمد.ص 120 نقلاً عن(ما يقال عن الإسلام/للعقاد)

2-نبوة محمد.ص40،39 –نقلاً عن(Islam medieval –VON Grunbaum –p 54.55).

ولعل أى إنسان قرأ القليل عن محمد فى كتب الشرق أو الغرب، يستطيع أن يرفض -استناداً إلى وقائع وأسانيد وأحداث موثقة– ما قاله تيوفان، ولقد سبق وذَكَرْنَا رفض علماء الغرب لاطلاع محمد على كتب النصارى واليهود فضلاً عن اختلاطه بهم والمكوث معهم، وكذلك رفضهم باليقين القاطع أن محمد كان مصاباً للصرع، لأن أعراض الصرع لم تكن هى التى تنتاب محمد عند تلقيه للوحى، وأثبتوا أنه ما كان رجل بهذا الذكاء وتلك الحكمة وهذا الذى قام به من تأسيس لدولة الإسلام وبناء جيل من رعاة الأغنام إلى سادة للأقوام -مما جعل (مايكل هارت) ليتخذه فى كتابه على رأس أعظم مائة فى التاريخ-، ما كان ليصاب بالصرع وما عُرف عنه ذلك أبداً، هذا بجانب أن مدة الدعوة السرية للنبى محمد  لم تتجاوز ثلاث سنوات، وأنه لم يدخل يثرب (المدينة) محارباً وإنما مهاجراً هو ومن أسلم من قريش، وأن عُمر محمد الرسول منذ بدأ نزول الوحى إلى وفاته لم يتجاوز ثلاثة وعشرين سنة: ثلاثة عشر فى مكة، وعشرة فى المدينة، وليس كما ذكر تيوفان!!

**ب- الفكر المسيحى الغربى**

ويمثل هذا الفكر (إيلوج القرطبى Eloge de Cordoue) الذى اشتهر بكونه الأكثر علماً بين قساوسة بلاده، والذى لم تخرج كتاباته عن إطار الكذب المحض على النبوة والسيرة والتشريع الإسلامي، فقد تنبأ محمد فيما يقول: "عندما أحس بقرب موته... بأن الملائكة سوف تأتى لتبعثه فى اليوم الثالث بعد موته، وبعد نزول روحه إلى جهنم فإن أصحابه قد قاموا ليحرسوا جسده، ولما جاء اليوم الثالث ولم تأتى الملائكة انصرفوا لاعتقادهم بأنها لن تقترب فى حضورهم، وفوراً، وعوضاً عن الملائكة قدمت الكلاب لتنهش جسد النبى، وما بقى منه دفنه المسلمون، ولينتقموا من الكلاب فإنهم أمروا بأن يقتل عدد عظيم منها فى كل سنة، فهذه هى معجزات نبي الإسلام".(1)

وهكذا لم يخلو منهج المستشرقين من اختلاق القصص، وكيل التهم إلى نبى الإسلام، فما قاله إيلوج لم يقله غيره فى الشرق ولا فى الغرب، فما هو إلا أسطورة اختلقها لتشويه صورة محمد عند المسيحيين من أهل بلده إسبانيا، مستغلاً الجهل العام بين المسيحيين الذين لا يجيدون العربية أو غير المتصلين بالمسلمين.

**2- مرحلة عصر التنوير**

وقد ذكرنا أن فى تلك الفترة تغير الفكر الغربى فى كتاباته على الإسلام ورسول الإسلام، وذلك نتيجة إلى إعادة النظر فى فهم الإسلام والتعامل معه وفتح باب للحوار بين المسيحية والإسلام، ومن نماذج هذا التغير:

1-نبوة محمد.ص44 –نقلاً عن(Islam medieval –VON Grunbaum –p 68)

- ما أثبته (إدوارد جيبون) فى كتابه: (اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها)، إذ كتب عن أخلاق محمد . ما نصه: "طبقاً لما رواه أصحابه كان محمد يتميز بجمال الخِلقة، وهى نعمة يندر أن يمتهنها إلا من حرم منها... وكان أصحابه تبهرهم هيبته وجلال منظره وعيناه النافذتان وابتسامته العذبة ولحيته المرسلة ومحياه الذى عبر عن كل خلجة من خلجات نفسه، وحركاته التى أكدت كل لفظ جرى على لسانه، وفى أمور الدنيا العادية اعتصم محمد بآداب قومه بما فيها من جلال ورزانة، وقد زاد تواضعه وحسن لقائه لفقراء مكة المعدمين من شرف رعايته واحترامه للأغنياء والأقوياء، وأخفت صراحة سلوكه براعة أفكاره، وكان أدبه الجم يرجع إلى صدق شخصيته أو حبه العام للخير، وكانت له ذاكرة قوية واعية، وكانت دعاباته هينة لطيفة، وخياله سامى، وحكمه على الأشياء واضحاً وسريعاً وفاصلاً، وتحلى بشجاعة التفكير والعمل معاً، وعلى الرغم من أن خططه ربما اتسعت بالتدريج مع كل نجاح أصابه، فإن أول فكرة واتته عن رسالته المقدسة تحمل طابع الآصالة والعبقرية الفذة".(1)

وفى حكم (جيبون) النهائى على دعوة وشخصية النبى محمد ، كتب يقول: "ربما كان علىَّ أن أزن أخطاءه وفضائله... ولو كنت أعرف ابن عبد الله معرفة وثيقة لظل الأمر شاقاً، ولكان النجاح غير مؤكد، فما بالك بعد اثنى عشر قرناً وأنا أتفحص ظله بصعوبة خلال سحب من النور المقدس... ويظهر أن هذا الرجل الذى قام بأعظم ثورة فى العالم كان تقياً ورعا ميالاً إلى التأمل بطبيعته... لقد عاش بريئاً طاهراً حتى سن الأربعين... إن وحدانية الله التى دعا إليها هى فكرة ملائمة للطبيعة والعقل، وربما علمته محاورة عابرة مع اليهود والنصارى ازدراء الأديان... وقد يحول النشاط الذهنى المركز على موضوع واحد الالتزام العام إلى رسالة خاصة، وقد يشعر بأن الأفكار التى تصدر عن الإدراك أو الخيال إن هى إلا وحى من السماء... وعندئذ قد يوصف الشعور الداخلى... بأنه ملك من ملائكة الله... وقد حوّل ظلم مكة واختيار المدينة؛ المواطن العادى إلى أمير، والبشير المتواضع إلى قائد جيوش، ولكن سيفه أحيط بهالة من القداسة...".(2)

وإن كان عصر التنوير قد اختلف عما قبله من القرون الوسطى؛ من حيث طريقة عرض الإسلام والكتابة عنه وعن الرسول المكلف به وهو محمد ، فإن ذلك العصر لم يخلو مثله مثل أى عصر ممن يكيل الاتهامات للنبى محمد وإلى ما جاء به، ومثالاً لذلك، الانجليزى (جورج سيل) والذى ينسب تأليف القرآن إلى النبى محمد مدعياً أنه قد احتال به على قومه بمساعدة آخرين، انصب عملهم على التخطيط له.

1-...مؤرخ إنجليزي، يعتبر أعظم المؤرخين الإنجليز في عصره (1737–1794(

2- نبوة محمد.ص68–نقلاً عن(اضمحلال الإمبراطورية الرومانية) 3- المرجع السابق.

**3- مرحلة القرن التاسع عشر**

وفى هذا القرن نشأت تحولات كبرى فى العلاقات بين العالمين الإسلامى والغربى، ففيما يخص النبي محمد  من هذا التحول؛ أن أغلبية الدارسين لشخصيته  في هذا القرن كانوا يميلون إلى الحكم بصدقه في دعواه (الاتصال بالملأ الأعلى)، ولكنهم حاولوا نفى كونه نبياً حقيقياً، ومعنى ذلك أنهم لم يتجاوزوا بالصدق الذي قصدوه الصدق النفسي، الذي ليس فيه إلا التأكيد على نفى ضد الصدق عن النبي محمد  وهو الكذب.

والحقيقة أن تقرير الكثير من المستشرقين في هذا القرن لصدق النبي محمد النفسي كان نتيجة طبيعية لبحثهم في حياته الشخصية وسير دعوته، وهو الأمر الذي نشأت عنه صورة جليلة للنبي محمد لم يكن لهم بعد ثبوتها مهرب من تأكيد أحد شيئين:

أ- إما صدقه في ادعائه النبوة. ب- وإما تفسير التناقض الحاصل بين سمو سيرته والقول بكذبه في الوقت نفسه.

وقد اختار الفكر الاستشراقى في القرن التاسع عشر الحل غير الملزم له من الناحية العقدية، فقال جمهور مستشرقيه بصدق النبي  النفسي. والملاحظ أنهم وقفوا في بحثهم لهذه المسألة في منتصف الطريق بين الآراء الغربية القروسطية في شخصية النبي  والتي كانت لاترى فيه أكثر من شخص مدّع، وبين آراء بعض المستشرقين المعاصرين الذين أثبتوا النبوة لمحمد . ويعود هذا الموقف الوسط الذي وقفه دارسو القرن الذي نبحثه إلى أن دراساتهم قد فرضت عليهم القول بصدق النبي ، ولكن ارتباطهم العقدي بالمسيحية لم يسمح لهم بالذهاب إلى أبعد من هذا الموقف، وإلا خرجوا عن أديانهم، وهو أمر لم يبدأ في الانتشار بين الغربيين إلا في القرن العشرين.

ويكفينا للدليل على أن تطور الدراسات في السيرة هو السبب في هذه النقلة، أن ننظر في بعض النصوص التي كتبها المستشرقين عن شخصية النبى . إذ قال (كارليل): "**من العار أن يصغي أي إنسان من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين: إن دين الإسلام كذب، وإن محمداً لم يكن على حق**. لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرنًا من الزمان لملايين كثيرة من الناس، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة أكذوبة كاذب أو خديعة خادع؟ هل رأيتم رجلاً كاذباً يستطيع أن يخلق ديناً ويتعهده بالنشر بهذه الصورة؟ إن الرجل الكاذب لايستطيع أن يبني بيتاً من الطوب لجهله

بخصائص مواد البناء، وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد، فما بالك بالذي يبني بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة، وتسكنه هذه الملايين الكثيرة... وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمداً رجلاً كاذباً متصنعاً متذرعاً بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع... وما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق... وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله".، وقد ذهب (كارليل) بعد هذا إلى رد تُهم أخرى، مثبتاً في الوقت نفسه سمو أخلاق النبي  ورفيع سلوكه، قال: "ويزعم المتعصبون أن محمداً لم يكن يريد بدعوته غير الشهوة الشخصية والجاه والسلطان...كلا، واسم الله، لقد انطلقت من فؤاد هذا الرجل الكبير النفس، المملوء رحمةً وبراً وإحساناً وخيراً ونوراً وحكمةً أفكارٌ غير الطمع الدنيوى، وأهدافُ سامية غير طلب الجاه والسلطان، ويزعم الكاذبون أن الطمع وحب الدنيا هو الذي أقام محمداً وأثاره. حمق وسخافة وهوس إن رأينا رأيهم، ما حاجة رجل على شاكلته في جميع بلاد العرب وفي تاج قيصر وصولجان كسرى؟ لم يكن كغيره يرضى بالأوضاع الكاذبة، ويسير تبعاً للاعتبارات الباطلة، ولم يقبل أن يتشح بالأكاذيب والأباطيل، لقد كان منفردا بنفسه العظيمة وبحقائق الكون والكائنات، لقد كان سر الوجود يسطع أمام عينيه بأهواله ومحاسنه ومخاوفه".(1)

ويقول الكاتب الإنجليزى (بوسورث سميث) فى كتابه (محمد والإسلام) الصادر فى لندن سنة 1874م -مؤكداً ما ذهب إليه (كارليل)- وغيره: "إنه من المستحيل لأى شخص درس حياة وشخصية الرسول العربى العظيم، وعرف كيف عاش وكيف تعلم، ألا ينحنى احتراماً لهذا الرسول المبجل القوى، الذى هو واحد من أعظم رسل الله، ومهما أقل لكم فإنى سأقول أشياء كثيرة معروفة للجميع، ولكن حينما أعيد قراءاتها أشعر بمزيد من التقدير والإعجاب".(2)

أما الموضوع الذى نال قصب السبق فى جملة المباحث التى عرضت لحياة النبى  الشخصية فهو: أمر زواجه ، إذ نلاحظ الاندهاش بادياً على المتعاطفين من مستشرقى القرن التاسع عشر، أما بالنسبة للمتحاملين والحاقدين على نبى الإسلام فقد كان زواجه مطية للقول بشهوانيته، وقد تقبل الفكر الغربى فى هذا الموضوع أكثر الروايات غرابة، بل ذهب يبحث عنها بحثاً حثيثاً ويخترع التفسيرات والزيادات لتشكيل صورة أكثر إغراباً،.(3)... وقد اشتهرت فكرة شهوانية النبى  عند مستشرقى القرن التاسع عشر، ولم يتجرد أحدهم لاستجلاء حقيقتها، ولعلنا نجد حقيقة تلك الشبهة والرد عليها فى السطور القادمة.

1- نبوة محمد.ص96 –نقلاًعن(محمد رسول الله/نصر الدين دينيه)

2- نبوة محمد.ص96 نقلاً عن(علماء الغرب يدخلون الإسلام/محمد حلمى) 3- نبوة محمد.ص100

**3- المرحلة المعاصرة :**

قد اخترنا من جملة كتابات المستشرقين المعاصرين فى حياة النبى محمد  الإنسانية موضوعين مهمين. وهما: **آراؤهم فى أخلاقه** **... وموضوع زواجه.**

**أ- أخلاق النبى**  **فى الفكر الإستشراقى المعاصر:**

يميل جمهور المستشرقين المعاصرين إلى اعتبار النبى  شخصية فاضلة بأتم معانى الكلمة، ولذلك جائت أوصافهم لأخلاقه معبرة –فى غالب الأحيان- عن إعجاب شديد بسلوكه الذى كان يفيض دائماً، ففى حين كانت التهم تكال إلى نبى الإسلام من هنا وهناك، كما سبق ورأينا من وصفه بالكذب والصرع والشهوانية وادعاء النبوة، كانت هناك رؤية أخرى، وُصِفَ فيها النبى محمد بأفضل ما يمكن أن يوصف به إنسان، فكان مما جاء عن نبى الإسلام محمد  ما قاله (لويس ماسينون) (1): "ويبقى الكثير من سر هذه الروح... خافياً عنا... لذا نأخذ بما كشفت ودلت عليه حياته العامة من إرادة بيّنة وقادرة على السيطرة على الذات، والاعتدال والرقة والحلم والصبر وبُعد النظر وكافة الصفات المطلوبة فى القائد الحربى ورجل الدولة، تهذبها العقيدة والإيمان العميق".(2)

وإذا كان هذا الكلام فيما يخص حياة النبى السياسية والحربية، فيشير (بلاشير) (3) إلى حياة النبى الخاصة قائلاً: "ولا يبدوا أن محمداً، فى أى وقت من الأوقات، قد حاول إضفاء الغموض على حياته الخاصة... فإن كلامه وإشاراته وتصرفاته كأب أو كزوج، وتصرفاته باعتباره مؤمناً، كانت مكشوفة لأتباعه الذين كانوا يتشكلون –عن قناعة- على صورته. وهكذا تحددت ملامح السنة".(4)

ويقول (وات) فى وصفه للنبى محمد: " كان محمد ميالاً إلى الكآبة، وكان يعرف كيف يسيطر على عواطفه... وإذا رأى معارضة ما أدار وجهه، فإذا رضى غض بصره... وكان يستطيع أن يكون قاسياً فى بعض الأحيان، ولكنه كان على العموم لطيفاً، وكان ضحكه فى معظم الأحيان ابتسامة... ويبدوا أن محمداً كان يشعر بحنان خاص نحو الأطفال، وكانوا دائماً يحبونه... وكانت طيبته تشمل الحيوانات، وهذا شئ رائع فى العصر الذى كان يعيش فيه فى هذا الجزء من العالم".(5)

1-...فرنسى، شغل مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا، وكذلك الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر.

2- نبوة محمد.ص414 –نقلاًعن(ماسينيون،جان موريون:ص68) 3-...فرنسى، أستاذ العربية فى جامعة باريس.

4- المرجع السابق –نقلاًعن(le probleme de Mahomet –p101.) 5- المرجع السابق.ص416 –نقلاًعن(محمد فى المدينة)مونتغمرى وات.

وما قول (إميل درمنجهم)(1)عنا ببعيد، إذ قال واصفاً النبى محمد : " لقد أبدى من الكرم وعظمة النفس ما لا تجد مثله فى التاريخ إلا نادراً، وكان يوصى جنوده بأن يرحموا الضعفاء والشيوخ والنساء والأولاد، وكان ينهى عن هدم البيوت وإهلاك الحرث وقطع الشجر المثمر".(2)

ونختم بقول (ول ديورانت) فى وصف رسول الإسلام محمد ، إذ يقول: "وإذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله".(3)

**ب- زواجه**  **فى الفكر الإستشراقى:**

تتعلق مناقشة الفكر الإستشراقى لمسألة الزواج فى الإسلام عموماً، وزواج النبى محمد بشكل خاص، بموضوعين هما: **1- مسألة تعدد الزوجات فى الإسلام. 2- مسألة الزعم بشهوانية النبى محمد** .

وقد نخصص الحديث هنا عن شبهة شهوانية النبى، وقد أثبتنا عند حديثنا عن المرأة، أن تعدد الزوجات هو من الأحكام الشرعية التى اشتركت فيها الديانات التوحيدية الثلاث. فقد كان لإبراهيم ويعقوب وموسى عليهم السلام أكثر من زوجة، كما اتخذ داوود من النساء الكثير وجاء عن سليمان أنه اتخذ ألف امرأة ما بين حرة وأمة، ولعل الذين يهاجمون تعدد الزوجات فى الإسلام، يبيحون تعدد الصديقات والعشيقات والشذوذ، حتى أصبح زواج الشواذ أمراً متعارف عليه وموثق من الكنيسة ذاتها... ومعنى هذا أن استهجان الفكر والمجتمع الغربى المعاصر للتعدد ليس إلا تطوراًِ مَرَضياً فى الأفكار والبناء المجتمعى.

**- شبهة: شهوانيية النبى محمد**

أما بالنسبة للموضوع الثانى، فإننا نلاحظ أن الفكر الإستشراقى قد تراجع تراجعاً شبه كلى عن استخدام زواج النبى المتعدد باعتباره دليلاً على الشهونية، فقال (وات): "لم يكن إذن فى حياة محمد الجنسية على العموم ما يحمل معاصريه على الحكم عليه بأنه لا يتفق مع نبوته... وبالرغم من أن الكُتّاب المسلمين رووا فيما بعد قصصاً ممتعة حول حساسية محمد أمام النساء... فإنه من الأكيد أنه كان يسيطر تماماً على عواطفه أمام الجنس اللطيف، وأنه لم يتزوج إلا إذا كان الزواج مستحسناً سياسياً واجتماعياً".(4)

1-...فرنسى،مدير مكتبة الجزائر، من مؤلفاته:حياة محمد. 2- قصة الحضارة –المجلد السابع-ص47.

3- نبوة محمد.ص415 –نقلاً عن(الإسلام والوجه الآخرللفكر الغربى)عماد الدين خليل.

4- نبوة محمد.ص423–نقلاً عن( محمد فى المدينة ) مونتغمرى وات.

ولقد حاول الغرب تشبيه نبى الإسلام محمد  (بالشهوانى) مستدلين على ذلك بزواجه  من زينب بنت جحش، فكان مما قالوا: "وكان الانتقاد الوحيد الذى وجهه معاصرو محمد من المسلمين ضد زواجه من زينب بنت جحش... وكانت ابنة عمته... وتزوجها محمد بالرغم عنها من ربيبه زيد بن حارثة... وهم لم يصدموا من الجانب الشهوانى الذى ينم عليه هذا المسلك، كما يصدم أهل أوروبا اليوم، بل كانوا يعارضون هذا الزواج؛ لأنه كان فى نظرهم زنا... لما كان لديهم من المبدأ القديم القائل بأن الولد المتبنى كالابن الحقيقى... وكان النقد الموجه لمحمد بهذا الصدد يعتمد على النظريات الجاهلية التى لا يعترف بها الإسلام، وكان من أهداف محمد فى هذا الزواج أن يقضى على سيطرة هذا الوهم القديم على سلوك الناس".(1)

أما عن قول الله لنبيه فى سورة الأحزاب: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيه}.(2)... يقول فيه الغزالى: "إنهم يقولون: الذى كان يخفيه النبى فى نفسه.. هو ميله لزينب، أى أن الله –بزعمهم– يعتب عليه عدم التصريح بهذا الميل. ونقول: هل الأصل الخلقى أن الرجل، إذا أحب امرأة ، لغط بين الناس مُشهَّراً بمن أحب، خصوصاً إذا كان يحب امرأة رجل آخر ؟ وهل يلوم الله رجلاً؛ لأنه أحب امرأة آخر فكتم هذا الحب ؟... هذا هو السفه".(3)

وخلاصة القول تتضح فى قول على بن الحسين فى تفسير تلك الآية: "إن الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال: اتق الله، وأمسك عليك زوجك. فقال الله: قد أخبرتك أني مُزَوّجكها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه.".(4)

وأرجو أن يكون فى كلام (لورا فيشيا فاغلير)ما ينهى الكلام عن تلك الفرية إذ تقول: "لقد أصر أعداء الإسلام على تصوير محمد شخصاً شهوانياً... محاولين ان يجدوا فى زواجه المتعدد شخصية ضعيفة غير متناغمة مع رسالته. إنهم يرفضون أن يأخذوا بعين الاعتبار هذه الحقيقة، وهى: أنه طوال سني الشباب التى تكون فيها الغريزة الجنسية أقوى ما تكون، وعلى الرغم من أنه عاش فى مجتمع...كان الزواج (فيه) باعتباره مؤسسة اجتماعية مفقوداً أو يكاد، وحيث كان تعدد الزوجات هو القاعدة، وحيث كان الطلاق سهلاً إلى أبعد الحدود، لم يتزوج إلا امرأة واحدة ليس غير خديجة... ولم يتزوج ثانية... إلا بعد أن توفيت، وإلابعد أن بلغ الخمسين من عمره. لقد كان لكل زواج من زواجاته هذه سبب اجتماعى أو سياسى ذلك أنه قصد إلى تكريم النسوة المتصفات بالتقوى، أو إلى إنشاء علاقات زوجية مع بعض العشائر والقبائل الأخرى ابتغاء شق طريق

جديد لانتشار الإسلام. وباستثناء عائشة... تزوج محمد من نسوة لم يكن عذارى، ولاشابات، ولا جميلات،

1- نبوة محمد.ص425-نقلاً عن(محمد فى المدينة/مونتغمرى وات) 2- ]الآية 37 من سورة الأحزاب[

3- نبوة محمد.ص427-نقلاً عن(فقه السيرة/محمد الغزالى) 4- تفسير بن كثير.

فهل كان ذلك شهوانية؟ لقدكان رجلاً لا إلهاً، وقد تكون الرغبة فى الولد هى التى دفعته إلى الزواج من جديد... ولكنه التزم دائمًا سبيل المساواة الكاملة نحوهنّ جميعًا... لقد تصرف متأسياً بسنة الأنبياء القدامى، مثل موسى وغيره الذين يبدو ألا أحد من الناس يعترض على زواجهم المتعدد".(1)

**فهذا هو رسول الله محمد** **.**

1- نبوة محمد.ص205–نقلاً عن( دفاع عن الإسلام/لورا فيشيا فاغلير )

فصل

ينتهى بحثنا بهذا الفصل والذى نستحضر فيه قول (جارودى) إذ يقول:" لماذا يقارن معظم الباحثين الغربيين بين النظام الإسلامى كما هو عليه الآن بنظام مسيحى مثالى ليس موجوداً على الإطلاق؟... هؤلاء يسألون بسخرية حمقاء: أين هو الإسلام الذى تنسبون إليه الكمال؟. وإننى أجيب: هاتوا خريطة العالم وقولوا لنا أين نجد مجتمعاً مسيحياً مثالياً يطبق المسيحية ونعتبره النموذج الحى للمبادئ والتعاليم؟. وقولوا لنا لماذا تهاجمون الإسلام لأنه لم يمنع وجود المنازعات بين المسلمين على رغم أنه الدين الذى يقرر أن المسلمين إخوة ويدعو إلى الإصلاح بين الإخوة؟. وإننى أقول: إن المسيحية هى دين التسامح والإخاء والرحمة.. فكيف خرج الصليبيون باسم هذا الدين لذبح المسلمين فى بلادهم؟. وكيف خرجت الجيوش الاستعمارية من دول مسيحية لغزو العالم الإسلامى الذى لم يبادر بالعدوان؟. وكيف سمح الضمير المسيحى باستغلال الشعوب الإسلامية واستنزاف ثرواتها وهو يدعو إلى العدل والحق؟".

فمن باب قول الله: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}.، إن لم يكن لدينا ميلاً للإذعان بالحق والدخول فى الإسلام، فلا ينبغى علينا أن نُشْهِر أقلامنا وألسنتنا متهكمين على ما نرفضه من الإسلام ورسوله، تحت مسمى حرية الرأى والفكر والتعبير، فكما نصت القوانين الدولية على تلك الحقوق، فإنها أيضاً قيدتها بعدم التعدى على الآخرين، وفى ذلك جاء نص المادة 19 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية على أن:

1- لكل إنسان حق في اعتناق آراء دون مضايقة.

2- لكل إنسان حق في حرية التعبير.. ويشمل هذا الحق حريته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى آخرين دونما اعتبار للحدود، سواء على شكل مكتوب أو مطبوع أو في قالب فني أو بأية وسيلة أخرى يختارها.  
3- تستتبع ممارسة الحقوق المنصوص عليها في الفقرة 2 من هذه المادة واجبات ومسئوليات خاصة. وعلى ذلك يجوز إخضاعها لبعض القيود ولكن شريطة أن تكون محددة بنص القانون وأن تكون ضرورية:

(أ) لاحترام حقوق الآخرين أو سمعتهم. (ب) لحماية الأمن القومي أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة.

فما منا من أحد ويرتضى أن يسب رسوله أو معلمه أو أباه وإن كان على غير الجادة، وما منا من أحد ويقبل أن تشيع الكراهية والحقد بين الناس وبعضها، بسبب الدين أو العرق أو الجنس أو اللون.

ياسر تاج الدين

# المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم.**

## كتب التفسير:

* جامع البيان في تأويل القرآن- المنتخب/ أبو جعفر الطبري [224 - 310 هـ].
* تفسير القرآن العظيم/ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700 - 774 هـ].
* أيسر التفاسير/ أبو بكر الجزائري.
* الكشاف/ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري.
* زاد المسير / ابن الجوزى.

***كتب الحديث:***

* الجامع الصحيح/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي.
* صحيح مسلم/ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري.
* الأدب المفرد/ للإمام البخاري- تأليف/ محمد ناصر الدين الألباني.
* السنن الكبرى للبيهقى/ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي.
* الآداب/ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي.
* شعب الإيمان/ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي.
* إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل/ محمد ناصر الدين الألباني.
* السلسلة الصحيحة - السلسلة الضعيفة/ محمد ناصر الدين الألباني.
* سنن النسائي/ أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي.
* سنن أبي داود/ سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي.
* سنن الترمذي/ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي.
* سنن ابن ماجه/ محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني.
* ابن خزيمة/ محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري.
* الترغيب والترهيب من الحديث الشريف/ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري.
* مسند الإمام أحمد بن حنبل/ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني.
* الموطأ/ الإمام مالك بن أنس.

## كتب السيرة:

* الرحيق المختوم/ صفي الرحمن المباركفوري.
* نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين/ محمد الخضرى.
* فقه السيرة النبوية/ محمد سعيد رمضان البوطى.
* حياة محمد/ محمد حسين هيكل.
* السيرة النبوية/ أبو محمد عبد الملك بن هشام.
* السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث/ علي محمد محمد الصلابي.
* زاد المعاد فى هدى خير العباد/ ابن قيم الجوزية [691 – 751هـ]

*كتب الأديان الأخرى:*

* **الكتاب المقدس/ دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط.**
* **الكتاب المقدس/ كتاب الحياة.**
* **السنن القويم فى تفسير العهد القديم/ د.وليم مارش.**
* **الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل/ د.وليم إدي.**
* **تفسير كنيسة السيدة العذراء بالفجالة/ القمص.أنطونيوس فكرى.**
* **تفسير الكتاب المقدس/ القمص. تادرس يعقوب المالطى.**
* **قاموس الكتاب المقدس/ موقع البشارة المسيحى.**
* **الجواب/ جمعية الخدمة المسيحية العملية.**

***كتب أخرى:***

* **الأدلة القاطعة/ مجدى سيد عبد الباقى.**
* **الموسوعة الذهبية فى إعجاز القرآن الكريم والسنة/ د.أحمد مصطفى متولى.**
* **الإسلام دين التسامح/ د.أحمد عمر هاشم (دار الفاروق للنشر والتوزيع).**
* **هذا هو الإسلام كما أراه/ محمود عبد الحميد الأحمد (مكتبة الجامعة - أبو ظبى).**
* **هذا هو الإسلام ج2/ د.محمد عمارة (مكتبة الشروق الدولية).**
* **نظام الرق فى الإسلام/ عبد الله ناصح علوان (دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة).**
* **المنصفون للإسلام فى الغرب/ أ. رجب البنا (دار المعارف).**
* **الوصايا العشر الكرام/ د.عمر بن عبد العزيز القرشى.**
* **مجلة أكتوبر عدد 10/3/1996.**
* جريدة روز اليوسف عدد 16/10/2008، وعدد 9/11/2008.
* **إسقاط نظرية صراع الحضارات وإعادة تقديم الإسلام للعقل الغربى/ عزيز فهمى.**
* **نبوة محمد فى الفكر الإستشراقى المعاصر/د.لخضر شايب (مكتبة العبيكان).**
* النهضة العلمية والفكرية عند المسلمين وأثرها فى التنوير الأوروبى/ عبد المنعم أحمد عبد الرحيم (مكتبة الإيمان- المنصورة).
* مفتاح دار السعادة/ ابن القيم الجوزية (دار الحديث-القاهرة).
* دين الحق/ عبد الرحمن بن حماد آل عمر.

#### الإرهاب العالمى من يصنعه ومن يمنعه/ د. عبد المهدى عبد القادر عبد الهادى (مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع).

* معجزات الرسول التى ظهرت فى زماننا/د. عبد المهدى عبد القادر عبد الهادى (مكتبة الإيمان).
* قبس من الأخلاق النبوية/ د.أحمد فكير (دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع).
* الرسول الأعظم/ أحمد ديدات (مكتبة ديدات- كتاب المختار للنشر).
* محمد الخليفة الطبيعى/ أحمد ديدات (مكتبة ديدات- كتاب المختار للنشر).
* لا للإرهاب. نعم للجهاد/ د. أسعد السحمرانى ( دار النفائس – بيروت).
* فلسطين التاريخ المصور/د.طارق السويدان (الإبداع الفكرى – الكويت)
* سلسلة المعارك الكبرى- معركة القادسية/د.شوقى أبو خليل (دار الفكر المعاصر- بيروت).
* لماذا أسلم هؤلاء/ محمد عزت الطهطاوى (مكتبة النافذة).
* **لسان العرب**/ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري**.**

*الكتب المترجمة:*

* **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم بمقياس العلم الحديث/ موريس بوكاى –ترجمة: على الجوهرى (مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع).**
* **قصة الحضارة/ ول ديورانت- ترجمة: محمد بدران ( الهيئة المصرية العامة للكتاب).**
* **الإسلام والغرب- رؤية محمد أسد/صفوت مصطفى خليلوفيتش – ترجمة: هدير أبو النجا (دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة).**
* **محمد نبى لزماننا/ كارين أرمسترونج – ترجمة: فاتن الزلبانى (مكتبة الشروق الدولية).**
* **الحرب العالمية الرابعة؟/ باسكال بونيفاس – ترجمة: أحمد الشيخ (مكتبة الشروق الدولية- المركز العربى للدراسات الغربية).**
* **القدس لمن؟ القدس الصراع العربى الإسرائيلى/ القس.كولن تشابمان – ترجمة:نكلس نسيم سلامة (دار النشر الأسقفية- القاهرة).**
* **فلسطين أرض الرسالات الإلهية/ رجاء جارودى –ترجمة: عبد الصبور شاهين (نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع).**
* **الخالدون مائة / مايكل هارت – ترجمة: أنيس منصور (المكتب المصرى الحديث)**
* الخديعة المرعبة -11أيلول2001/ تيرى ميسان – ترجمة:تيرى ميسان ومايا سلمان (دار كنعان للدراسات والنشر- دمشق).
* الإسلام رمز الأمل- القيم الأخلاقية المشتركة للأديان/ هانس كونج –ترجمة:رانيا خلاف(دار الشروق).
* جيته الديوان الشرقى للمؤلف الغربى-ترجمة: عبد الرحمن بدوى (دار النهضة العربية).

***مواقع الإنتر نت***

* http://www.55a.net/firas/arabic
* [http://](http://www.albishara.org) [[www.kaheel7.com](http://www.albishara.org)](http://www.kaheel7.com)
* <http://www.albishara.org>

**الفهرس**

[**دعـوة عامـة 2**](#_Toc442266700)

[**الباب الأول: القرآن والإسلام 6**](#_Toc442266701)

[**الفصل الأول: القرآن كلام الله 7**](#_Toc442266702)

[**الفصل الثانى: الإسـلام 19**](#_Toc442266703)

[**الفصل الثالث: عالمية الاسلام 24**](#_Toc442266704)

[**الفصل الرابع: أركان الإسلام 29**](#_Toc442266705)

[**الفصل الخامس: الأخلاق فى الإسلام 35**](#_Toc442266706)

[**الباب الثانى/ الحضارة 41**](#_Toc442266707)

[**الفصل الأول: الحضارة والإسلام 42**](#_Toc442266708)

[**الفصل الثانى: الإسلام وصراع الحضارات. 55**](#_Toc442266709)

[**العقـل الغـربى 71**](#_Toc442266710)

[**الفصل الثالث: الإسلام والغرب 77**](#_Toc442266711)

[**الباب الثالث : الحرب 102**](#_Toc442266712)

[**الفصل الأول: الجهاد فى الإسلام 103**](#_Toc442266713)

[**الفصل الثانى: القتال فى الإسلام 106**](#_Toc442266714)

[**الفصل الثالث: الإرهاب والإسلام 110**](#_Toc442266715)

[**الفصل الرابع: سماحة الإسلام 116**](#_Toc442266716)

[**الباب الرابع : محمد رسول الله 132**](#_Toc442266717)

[**الفصل الأول: محمد قبل البعثة 133**](#_Toc442266718)

[**الفصل الثانى: محمد والوحى 147**](#_Toc442266719)

[**الفصل الثالث: محمد فى الكتاب المقدس 155**](#_Toc442266720)

[**الفصل الرابع: محمد الخليفة الطبيعى للمسيح 170**](#_Toc442266721)

[**الفصل الخامس: محمد رسول الله حقاً 174**](#_Toc442266722)

[**الفصل السادس: قبسات من أخلاق محمد 180**](#_Toc442266723)

[**المصادر والمراجع 201**](#_Toc442266724)